بين الحركة والجمود

ooo

الحركة في كل شيء ، دليل على الحياة . وقديما اعرب المثل الدارج عن هذه الحقيقة العلمية بلسان الشعوب ، فقال : « الحركة بركة! »ولم يزد .

وكذلك ، قال الشاعر القديم باسلوبه البياني : « وسرى البدر ، به البدر اكتمل ! »

ولعل صاحبي هذا الشعر وذاك المثل ، لوجيء بهما الى عالم اليوم ، فشاهدا القمر الصناعي، وابصرا عجائب الحركة ... لما بدلا في كلامهماالا قليلا .

فنحن نعيش في عالم يتحرك دائما ، يتحرك من فوقنا ، ويتحرك من تحتنا ، كما يتحرك في داخلنا ، في اجسادنا وعقولنا وقلوبنا واعصابنا . فاذا جمد ، او سكن ، ولو بمقدار لمح البصر ، لانهار هذا العالم بأسره كما ينهار بناء من الكرتون بين يدي طفل عابث .

وكذلك نحن في مالنا من وظائف عضوية ،وافكار بشرية او حيوانية ، وعواطف انسانية او وحشية ، لا نستحق الحياة الا اذا ظلت اجسادناوعقولنا وقلوبنا واعصابنا عاملة فاعلة متنبهة . حتى اذا سكن الجسد ، اي عضو رئيسي فيه ، او شل الدماغ ، او سكت القلب ، فقد المرء تلك الطاقة ، القدرة التي خصه بها الله ــ وتساوى مع الجماد في كينونته وصيرورته .

واذن فان الحركة هي قوام الحياة ، لاالجمود ، وان على ما اتفق الناس على انه الصالح . ففوق كل صالح ما هو اصلح منه ، وهكذادواليك حتى اللانهاية . ولولا ان اليقين بهذا الحق يساور نفوس الامم الحية ، لما بلغت في تطورهاما بلغته في العلم وفي الفن ، في العمل وفي الانتاج ، من تفوق يحار في تعليله صفار العقول .

ونحن الذين كنا في عدادتلك الامم ، في فترة من الزمن، ما عاقنا عن متابعة السير في القافلة، الا جمود حسبناه محافظة ، وسكون عده كبراؤنا استقرارا .

وكان جمود اللغة عنوانا على ذلك كله ، وبداية رائعة لهذه النهاية المفجعة .

اما وقد شرعت شعوبنا في التحرر من ربقةذاك الجمود وذلك السكون ، فما احرى علماء اللغة بان يعملوا على تطويرها ... ايذانا بنهايةذلك الليل الطويل الذي اناخ علينا بظلمته ، فشل العقول والقلوب والاجساد .

وتطور اللغة ــ ضمن نطاق تراثها العريق ــمن قواعد وحروف ــ تطوير للشعوب التي تتكلم بها ، حتى تبلغ الذروة في كل صعيد ، وناحية .وهذا التطوير التلقائي امر يقضي به لا الايمان بمنطيقية تلك القواعد وجمالية تلك الحروف ، بل التوفيق بين العلم الحديث ومنطق اللغة ذاته ، وهو منطق علمي في الاساس .

وانني لاعجب مثلا كيف تكون لغتنا هي هذهاللغة الجميلة السهلة المرنة بالذات ــ وتبقى لنا فيها مفردات لا جموع لها ، او جموع لا مفرداتلها ، من لفظها .

ان وضع تلك المفردات والجموع امر لايحتمه التطور الطبيعي للاشياء وحسب ــ وانما توجبه كذلك مقتضيات العلم الحديث وطبيعةهذه اللغة العلمية المنطيقية .

وقديما قال احد فقهاء اللغة الافذاذ ، أبوعمرو بن العلاء : « ان الكثير من كلام الاقدمين قد ضاع ، ولو وصلكم كله لوصلكم شيء كثير . »

فهل يكون ما ينقصنا في لغتنا اليوم ، هوبعض ذلك الذي لم يصل الينا ؟ وهل يكون اكثر ما يضايقنا من شواذات واجتهادات ، بعض ماوصلنا دون ان يكون كاملا ؟

ان الحركة دليل الحياة ، بل هي الحياة فيمظهرها المادي . فلنحرك لغتنا نحيها ــ بل نحي الشعوب التي تتكلم بهذه اللغة الجميلة ، وتقدسهاكما نقدسها .

اقول نقدسها ، لا لانها ام اللغات ، بل لانها لغتنا... ، ولانها بذلك اصبحت عنوان حضارتنا ، والحارسة الامينة على تراثنا !

رشاد دارغوث

وجوه التقليد في المعلقات

بقلم ايلي الحاوي

○ ◯ ○

يبدو ان الشعر الجاهلي كان قد سلفت فيه وتنازعته تجارب شتى ، حتى خلص الينا وقد استقر على سنة، وتساوق اسلوبه على غرار يكاد ان يكون مضطردا . ولئن حفل التاريخ بمن نعرف من الشعراء دون من سبقهم ، فانه يخيل الينا ، ان اولئك استنفدوا معاني بيئتهم وحياتهم حتى كانما شعراء المعلقات ، لم يكونوا يجرون على طبيعة شعورهم بقدر ما يشايعون المراسيم التي رسمها وافضى اليها اولئك الرواد المجهولون . فالشعراء الذين نعرفهم أفادوا ممن سبقهم بشعر لا يقل شأنه عن شأن الشعر الذي نعرفه ، ولعل أثر هؤلاء لم يقتصر على التجربة والمحاولة بل يوشك ان يكون اثرا لانموذج فيمن يحتذى على مثاله . ولا مجال بعد ، للاخذ براي جماعة من الادباء نمت نشأة الشعر الجاهلي الى نغم الحداء مباشرة لان في القصيدة الجاهلية تماسكا واستقرارا في النغم وربما كذا على الصياغة مما لا يخطر للفطرة والنغم البدائي . ولقد درجنا على اعادة النظر للاشياء بعد ان تستقر وتتكامل فلا نتمثل ما يمد ويجزر فيها ، ابان صيرورتها ، من فوز وفشل ، اقتضى في الواقع اعمارا وربما اجيالا من المحاولات والتجارب .

لا شك ان الفطرة البدائية شعرت بوظيفة النغم في الاداء الشعري الا ان النزوع من السجعة المرتجة والشطر المبتور الى القافية الصقيل والبيت المتوازن ، لم ينشأ في وهلة الاشياء وانما تناشأ بالاحرى ، حالا بعد حال ، في ملاحقة مكدودة كان اولئك الشعراء يريدون ان يسموا بها على من سبقهم وعلى ذواتهم ليشعروا بغبطة الخلق والابتكار . وقد يبدو لنا ان هؤلاء ألموا فضلا عن ذلك ، بمواضيع الشعر وجعلوا يخاطرون معانيه ، تشبيها واستعارة حتى استنفدوها واوشكت العملية الفنية ان تتحول فيمن بعدهم الى عملية ذهنية ليست تفيض من اعصاب التجربة بل تتخذ وتلاحق وربما تعاظل في مستنقع الذاكرة . فشعراء المعلقات تصحبهم وقد تطغى عليهم فيما ينظمون ، حدود وطقوس قد يحورون منها لكنهم قلما استطاعوا ان يتخطوها . من ذلك ان الطلل الذي كان يمثل في الواقع طلل ذكرياتهم وماضيهم ، تحول الى طقس وتقليد شعري ، تطلع به المعلقات ابدا اقتفاء على أثر مبهم سابق ، وربما التفتوا اليه التفاتا سريعا كمن يؤدي واجبا لا يؤمن به .

فلو كان الطلل تعبير ايمان وصدق عما يختلج في نفوسهم لما اكتفوا بالحديث عنه في بيتين باردين ، دون ان يلاحقوه او يكرروا الحديث عليه . فهذا الاقتضاب او هذه اللمحة فضلا عن وروده كمقدمة في مطلع المعلقة ، هذه جميعا تدل على ان هؤلاء الشعراء يجارون فيه عادة الاشياء لا طبيعة نفوسهم . هناك تسع من المعلقات تبدأ بالحديث عن الطلل ، ليلج منه الشاعر الى وصف حبيبته او ذكر غايته . فهذا الاتفاق ليس صدفة وانما هو منهجية واعية متعارف عليها . وربما شعر عنتر في قوله « هل غادر الشعراء من متردم » ، ان مطلعه في الطلل لا يعدو ان يكون تمضغا وتكرارا يستوفي به عادة القول والقصيدة كما جرت في السابق .

هذه الاسباب جملة تبين دون لبس ، على ان الشاعر الجاهلي لم يكن يوحي له جني خارق من الغيب بقدر ما كان يتقيد ويتمذهب بمذهب الشعر وعاداته، وانه غلبت عليه النظرية المبهمة على البديهة المرتجلة فهو قد جعل يعابث معاني الطلل في ذهنه لان عملية الشعر كانت قد استقلت لديه بما يعرفه عما يشعر به . وللقارىء بعض مطالع هذه المعلقات .

قال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقال طرفة :

لخولة اطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحب علي مطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وهذا مطلع معلقة زهير :

أمن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كانها مراجيع وشم في نواشر معصم

اما لبيد فقال :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تابد غولها فرجامها

وكذلك عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم ام هل عرفت الدار بعد توهم

لعل هذه المطالع تتوفر بالبينات والقرائن على صدق رأينا .

اما اذا اختلفنا للحديث عن النساء في شعرهم فنشاهدهم قد دعوا كل واحدة منهن باسم يخيل الينا انها تتميز به عن سواها من الحبيبات ، فامرؤ القيس شبب بام الحويرث وام الرباب فضلا عن عنيزة وفاطمة ، اما طرفة فقد تغزل بخولة ، وزهير بام اوفى وكذلك فقد عشق لبيب نوارا وابن حلزة اسماء ، كما تواترت في شعر النابغة اسماء عديدة مثل نعم وهند ومن اليهن ، فهؤلاء النسوة قد تمثلن واقعا عايشه الشاعر في حياته ، اما في الشعر فتمثلن انموذجا ذهنيا الفه مما يعرفه من مثال الجمال دون ما لمسه او بصر به . ان عنيزة او فاطمة امرأة عرفها امرؤ القيس وجرت له معها في غدير جلجل وغيره مغامرات تعابثا بها ، فذكر ذلك بشعره وانطلق منه لوصفها، فضاعت وتموهت واصبحت عنيزة امرؤ القيس تشبه خولة طرفة ونعم النابغة ، واصبحت هؤلاء الحبيبات لا يشبهن ذواتهن ، وانما يمثلن مثالا للجمال المطلق كان يعيش في ذهن الشاعر مما اقتبسه وعرفه من صفات الجمال العام ، دون ملامح عنيزة او خولة او نعم . وهكذا اصبحت الامرأة في قصائدهم امرأة ذهنية خيالية اكثر منها امرأة ذات هوية شخصية مميزة ، فهم لا يتقيدون بملامحها يصفونها بماهيتها ، بل يصدفون عنها ويستمدون لها اوصافا مما سلف في تقاليد الشعر . ولننظر الى هذه الابيات في وصف ملامح المرأة كما وردت في بعض المعلقات . قال امروء القيس :

لصد وتبدي عن اسيل وتتقي   بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش   اذا هي نصته ولا بمعطل

وقال طرفة :

وفي الحي احوى ينفض المرد شادن   مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربربا في خميلة   تناول اطراف البرير وترتدي

اما لبيد فقال :

زجلا كان نعاج توضح فوقها   وظباء وجرة عطفا آرامها

وكذلك هذا البيت للنابغة :

فبدت ترائب شادن متربب   احوى احم المقلتين مقلد

يبدو من هذه الابيات ان امرؤ القيس استعار لحبيبته عيني الظبية والمهاة المطفلة ، وجيد الرئم ، فاستعاد طرفة التشبيه ذاته في اطرافه ووجوهه ، الا شكل التعبير بين الافاضة والابتسار ، وكذلك القول في حبيبتي النابغة ولبيد ، فهؤلاء جميعا ، تشخص فيهن مقلة الظبي فضلا عن جيده ، وحوه ثغره ، يبالغ باحداها امرؤ القيس فيتصدى له بعض اولئك ، يحاولون ان يتخطوه بمبالغة او تفاصيل جديدة ، حتى كانما طفق اسلوبهم يعتمد على موالدة المعاني ، الواحدة من الاخرى في عبث ذهني لا صدى فيه لرعشة النفس امام الجمال .

لعلنا لا نوآخذ هؤلاء على تصرفهم بملامح الظبية لملامح جمال المراة ، لان البيئة تنطبع في النفس ، عبر الحواس ، فترفد الشاعر بصور وملامح خارجية يجسد به عتمة تجربته الداخلية . فمن الطبيعي لذلك ان تشخص في القصيدة الجاهلية ، مظاهر البيئة المادية ومشاهدها ، بما في ذلك الظبية والناقة والبقرة الوحشية وما اليها . والجاهلي خاصة حري ان يستعير التعابير من البيئة المادية ، لان ذهنه لصيق ابدا بالمادة ، فليس للمعاني صور في خاطره ، ليعمد الى نقل رواه الشعرية بالصور الفكرية . نستدل من ذلك ان الفطرة المخلصة خايلت للشاعر الجاهلي ، عيني حبيبته في عيني الظبية . الا انه ما عتم ان قدم من تخطاه وغالى عليه ، فخص عيني حبيبته بعيني ظباء وجرة التي بدت عيونها اجمل من عيون الظباء عامة . فشاع من ثمة ، هذا المعنى في عادة القول حتى اذا جعل احدهم يحاول ان يبث ما في نفسه من عيني حبيبته ، بصر ان سورة هذا المعنى اقل مما في نفسه ، وربما حاول ان يستنبط معنى جديدا ، فاستدق المعنى القديم او خصصه ، فلم تعد لحبيبته عينا الوحش عامة ، او وحش وجرة خاصة ، بل انها فضلا عن هذه جميعا تنفرد بكونها مطفلة اي ذات ولد . هكذا نشهد ان العملية الفنية ، في ذلك ، تحولت من نفس الشاعر او من الواقع الذي يعانيه فيها ، الى المعاني التي طرقت من قبله ، واصبح جهده يتسلط على المعاني ذاتها ، يوالدها ، يستنبط منها ، فتغفل بذلك عما في نفسه الى ما في ذاكرته وادراكه . وشد ما يبدو ذلك في بيت النابغة اذ يقول :

فبدت ترائب شادن متربب ، احوى احم المقلتين مقلد

ولنلتفت الان الى وصف ثغرها لدى طرفة والنابغة ، قال طرفة :

وتبسم عن الي كان منورا ،   تخلل حر الرمل دعص له ندى
سقته اياة الشمس الا لثاته   اسف ولم يكدم عليه ، بائمد

فقال النابغة :

يجلو بقائمتي حمامة ايكة ،   بردا اسف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه   جفت اعاليه واسفله ندي

فالذهنية والمعرفة فضلا عن التقليد ، تتجلى عبر هذه الابيات ، في اشعاع الثغر دون اللثم ، واستفاف الاثمد دون الاقدام عليه ، مما يحول وصف الثغر الى معادلة علمية تقوم على اضافة بعض الاشياء ، واطراح اخرى ، وهذا لعمري غاية الاجهاد في النظم ، اذ ندع ما نعرف في التقليد ، يقبض على التجربة ، فتصبح تقريرا مدركا ، متواضعا عليه ، لا لبس فيه يغمره بالذهول ولا معاناة تتقد طيه لتحوله من معرفة مطلقة لا مبالية ، الى واقع شعوري خاص ، اي الى حقيقة خاصة . ان ما تحدث به الشاعران عن حبيبتيهما حقيقي صحيح وكذلك اكثر ما نبصره او نسمع به يغلب ان يكون حقيقيا ، نعرف حقيقته ، لكنه بالرغم من ذلك كله ليس شعرا ، فالمعرفة الواعية او الحقيقة لا تصبح شعرا الا اذا اتقدت بها عاطفة وتحولت الى واقع ملزم في نفس الشاعر ، فتصبح حقيقة من خلال عصب ، من خلال نفس ، فيها شذوذ وفوضى ، وربما لا منطق ، لكننا نصدقه ونتأثر به ، بالرغم من فوضاه وشذوذه ، ولا منطقه .

اما شعراء المعلقات في الوصف خاصة فقد خمدت فيهم شعلة التجربة في الشعراء الاول ، واصبحوا يعبثون برماد تلك الشعلة بعد ان استنفدت حراراتها واصبحت مبذولة شائعة . لذلك نبصر ثغر حبيبة النابغة يتساوى مع ثغر حبيبة طرفة تشبيها واستعارة ، كلاهما يستغرق في وصف اقحوان الثغر فهو عند الاول منور في كثيب ند خالص لا يخالطه تراب . اما عند الثاني فمجلو بالغيث ، جفت اعاليه دون اسافله . وهكذا نراهم صدفوا عن وصف الثغر نفسه ، وافاضوا في وصف الاقحوان الذي يمكنهم ان يتداولوا فيه معاني جديدة او بالاحرى معاني تبدو جديدة لانها لم تطرق من قبل . فاستطردوا الى وصف الاقحوان كموضوع اخر يجري الى جنب الموضوع الاصيل ليخلصوا من المعاني التي يستمدونها في هذا شيئا من الجدة على ذاك . وهم في هذه المحاولات جميعا ، ينكشفون عن عقم نفوسهم وتجاوزهم عن تجربتها الى مزاولة التلاعب بالمعاني والكد عليها كغاية تستنفد بذاتها . ولنشاهدهم الان يعرضون لوصف الالق في وجه الحبيبة :

قال امرؤ القيس :

تضيء الظلام بالعشي كانها منارة ممسي راهب متبتل

وقال طرفة :

ووجه كان الشمس القت رداءها عليه نقي اللون لم يتخدد

والى القارىء قول النابغة في ذلك :

قامت تراءى بين سجفي كلة ، كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
بيضاء كالشمس وافت يوم اسعدها ، لم تؤذ اهلا ولم تفحش على جار
المحة من سنى برق رأى بصري ، أم وجه نعم بدا لي او سنى النار

هذه ابيات اجتمع عليها امرؤ القيس وطرفة والنابغة في التعبير عن الق الوجه وشعاعه ، حيث نراهم يتداولون المعنى ذاته في صور مختلفة ، كرسام يعبث ببعض خطوط اللوحة وملامحها الخارجية ، دون ان يتبدل موضوعها . فحبيبة امرؤ القيس تضيء الظلام بمصباح وجهها اما

حبيبة طرفة فليس يغشى شمس وجهها التجعيد . ولعل النابغة استنفذ المعنى جميعا ، فوجه حبيبته يشرق من سجفي الكلة كما تشرق الشمس فوق جبل الاسعد ، ولا يلبث ان يتمادى في الغلو والاكثار ، فينزع من ضياء الوجه الى شمسه ومن ثمة الى البرق فالنار ، مما يظهر بيقين اسلوب الكد على المعنى ذاته ، مغالاة اثر مغالاة ، يتجولون ضمن اطار المعنى الواحد ، يبنيه احدهم فيهدمه ثم يبنيه الاخرون . فهؤلاء لم يعودوا يتأملون وجه الحبيبة ليعبروا عما يختلج في نفوسهم تحت وطأته وانما تعرضوا عنه بوجه من المعاني الكلاسيكية تحول به الشعر عن كونه عملية نفسية تغشى ضمير الفنان الى كد خارجي على المعنى، تفتق فيه معان توهم بالجدة ، بينما هي في الواقع لا تعدو ان تكون تفاصيل او شروحا له .

ولقد يدعي بعض القوم ان وحدة الموضوع ادت بهؤلاء الشعراء الى توارد المعاني وتآخذها لان الانفس تتفق بنتيجة واحدة اذا خضعت لسبب واحد . ان هذا القول يصح في عادة الاشياء دون طبيعة العبقرية التي تنفذ من الظاهرة المبتذلة ، فلا تراها بل يتراءى لها عبرها ، تستطلع منها حقائق نفسية لا تبدو للذهن الغادي ، وانما تتقد بها اضواء الحدس . ان الطبيعة واشياءها جميعا ، ليست الا ملامح شتى للغز على الشاعر ان يفضه ويوغل بعصبه النبي الى ظلمته فيفضي الينا بحقائق ربما كانت هجست ببالنا دون ان نقوى على انتزاعها من غيبها وابهامها .

فالشعر الخلاق ، بعد ، ليس الا معان متباعدة مشردة جمع الشاعر اطرافها الخفية فبدت لنا حقائق نفسية كانت فينا ، دون ان نقوى على اكتشافها . لكم بصر القوم بمن يقوم على قلي الزلابية ، وصدفوا عن هذا المشهد حتى تيسر له ابن الرومي بمعان كانت فيه لا تبصرها العيون العقيمة ، او لم نشهد امرؤ القيس ذاته عندما تصفو نفسه ، وتتقد حواسه تشحذ فيه الرؤى وراء ما يراه ، فيبصر في غيهب الليل وجه البحر المتموج وكلكل الهموم يتمطى وينوء على صدره . او لم نبصر الشنفري ، قبل ، يرى السهم يزل عن القوس ، فيتراءى له فيه ، ثكلى تئن وتعول ، اذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة ثكلى تئن وتعول .

هؤلاء جميعا هدموا جدار المعاني التي تحيط بهم كأوثان ابدية ، وتغيبوا في ذواتهم وفيما وراءها ، فنقلوا واقع معاناتهم ولم يفتعلوه كالكيمائي في مختبره ينشيء معادلة مقننة .

وثمة مجال آخر كان يمكن لهؤلاء ان يبدعوا فيه عندما يتعذر عليهم الابتكار في الموضوع وفيما وراءه . فهم حريون ان يجددوا في التشابيه والاستعارات التي يشبهون بها معانيهم او يستعيرونها لها ، فينكشفون بذلك على عالم جديد للمعاني يستمدون به من جدة التشبيه جدة اوعمقا للمعنى القديم ، ان التشبيه في حكمة البلاغين يقوم على طرفين ووجه للشبه ، لكنه ليس في الواقع الا تأويلا خاصا ينزع به الشاعر من المعنى القريب الى ما وراءه من معان محتملة . وقد يمكننا ان نتمثل على ذلك بامثلة عديدة ، نقتصر منها على مثلين من بشار وابن الرومي ، قال بشار :

وكان رجع حديثها قطع الرياض كسين زهرا

وقال ابن الرومي :

فيه وشي وفيه حلي من النغم مصوغ يختال فيه القصيد

ففي مخايلة روض الحديث ووشي النغم واختياله ، تخطى الشاعران تقليد الخيال والعبارة العاديين ، واسبغا على المعنى جدة لانهما عبرا عنه من خلال نفسيهما دون ذهنهما . وهكذا نشهد ان الصدق في التجربة يقوم على اعتماد النفس كمصدر او كمصهر للمظاهر الخارجية ، تلونها بلونها وتعطفها بعاطفتها ، او تخلع عليها من خيالها . اما اذا قصر الشعر على الظاهرة ذاتها في عيني أو في ذهن الشاعر ، فانه يتحول بذلك ، الى مماضغة المعاني القديمة والعبث بها هدما وبناء ، تصريحا وتمويها ، بينما تبقى حقيقة النفس مستسرة وراء هذه البهلوانية او هذا التزوير

ولعل اشد ما يمثل هذه العينية او هذه الذهنية ، فضلا عما سبق ، اسلوب التجاوز عن المسمى الى نعت من نعوته . فتعوضوا بالاحوى عن الثغر ، بالفاحم عن الشعر ، بالمخضب عن البنان ، كما انهم يكتفون بلفظة شادن عن ذكر الحبيب ، فلو لم يتكاثر الحديث على هذه الاسماء بمثل هذه النعوت حتى عرفت فيها وقررت لها ، لما جعل هؤلاء يلمحون اليها فتؤدي المعنى دون الاسماء وثمة ظاهرة اخرى تؤكد ما ذهبنا اليه . فالشاعر من هؤلاء يصف الواقع بنتف من وقائع اخرى ، يجمعها ويلاحقها حتى يتعادل الواقع في الشعر معادلة علمية مع الواقع الشائع ، يذكره ويقرره كالعالم او كالمؤرخ . فكأن هؤلاء حققوا حلم البرناسيين الذين قصروا الفن على التصوير حتى تصبح العملية الفنية آلة فوتوغرافية تسترجع الواقع بحذافيره .

فامرؤ القيس يقف لامباليا في الوصف ، لا يداخله بنفسه او يسبغ عليه منها ، بل يراقبه بدقة حتى يستعيده تماما باللفظ والصورة . فهو وشعراء المعلقات ، ينشئون معادلة الواقع بما عرف عنه حتى كأنهم علماء طبيعيون اوزولجيون لا شعراء . والى القارىء وصف الفرس في شعر امرؤ القيس :

له ايطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تتفل
ضليع اذا استدبرته سدفرجه بضاف فويق الارض ليس باعزل
درير كخذروف الوليد امره تتابع كفيه بخيط موصل ...

مما لا شك فيه ان هذه الابيات بانعدام العاطفة فيها والخيال فضلا عن كثرة التعداد الواعي الصادق تتحول الى باب او فصل من فصول الكلام في علم الحيوان على شكل الفرس واوصافها . وكذلك قول طرفة في ناقته :

واني لامضي الهم عند احتضاره ، بعوجاء مرقال تروح وتغتدي
آمون كالواح الاران نصأتها ، على لاهب كأنه ظهر برجد
لها فخذان اكمل النحص فيهما ، كأنهما بابا منيف ممرد

حتى تتكامل الصورة ، حالا بعد حال ، فتبدو كما بدت المراة في شعرهم انموذجا ومثالا لصفات مقررة مادية كان يتداولها الشعر عصرئذ .

ولو لم يتفلت احدهم من ربقة المعرفة في ذهنه ، ويتجه الى المعاناة والتجربة في نفسه فيتحدث امرؤالقيس عن ليل همومه ، وزهير عن سأمه الكبير ، وطرفة عن تخطفه للذائذ الحياة ، لكانت المعلقات جملة تقرب الى المعادلة الذهنية العلمية المتخذة من العرف والتقليد .

ايلي الحاوي

الخريف

٥

غاص ناي الخريف في الحانـه فاستفاقت نفسي على أشجانـه
فاذا عالم الطبيعـة أسيـان ينـم الشحـوب عـن أحزانـه
اصفر الوجـه ، شفـّه الـم الذات تمـوج الاهات طـيّ جنانـه
لم يجد في الحيـاة سلوتـه الكبرى فضـج النعيـب مـن غربانـه

★ ★ ★

هـوذا ينثـر الامانـي وريقـات وتطفو الدمـوع فـي أجفانـه
جردتـه يـد الزمان من الزهـو فمـات الـرواء فـي أغصانـه
النسيـمات مـن شفـاه الروابـي تتلقـى الاسـرار من وديـانـه
راهـب شفـه التصـوف فـانهدّ سكونـا وغـاب في كتمانه

★ ★ ★

الغدير الرقراق ينبوع شجـو هـو قلب معبّـر عـن حنانـه
والسواقـي ثكلـى يهدهدهـا النوح ويُجري فيها رقيـق بيانـه
والقرى لهفة العشيـق الى البـوح كساها المسـاء مـن ارجوانـه
والجبال التفاتـة مـن ابـاء كبريـاء تصيـح مـلء لسانـه
والكروم الخضر ابتهـال قديم زرقـة اللازورد رجـع افتتانـه
حانـة والخريـف اول عربيـد يعبُّ الخمـور مـلء دنانـه
روح « باخوس » قد تقمص فيه مشرئبـا يحنـو عـلى ندمانـه

★ ★ ★

يا خريفي انا الخريـف حزينـا انا فصل الشتاء فـي عنفوانـه
انا فصل الربيع عـرس جمـال انا صيف الاشواق في غليانـه
انا لا اعـرف الثبـات لانـي انا هذا الوجـود فـي دورانـه
كل هذي الفصول وحدة عُمـرٍ قد حباهـا الالـه بعض كيانـه

مصطفى محمود
من اسرة الجبل الملهم

الشعر العربي في لبنان بين الحربين العالميتين

بقلم سامي نسيب مكارم

ماجستير في الادب العربي

ooo

الشعر اللبناني في مطلع القرن العشرين

١ ــ أثر الثقافة الغربية : الترجمة والاقتباس

في هذا الوقت الذي كان الشعر العربي فيه لا يزال يتلهى بالصناعات اللفظية ، والانواع البديعية ، والاوصاف الحسية ، وتقليد الاقدمين ، في هذا الوقت الذي كان فيه الشعر عندنا لا يزال نظما ورصفا للكلمات على تفاعيل الخليل ، كانت اوروبا تنبت اعاظم الشعراء امثال موسيه وفينيي وهيجو ولامرتين وجوته وشلي ووردزورث وبيرن بعد ان كانت قد انبتت شكسبير وراسين وكورنيل وموليير . فلا عجب اذن ، وقد انشئت في لبنان مدارس المرسلين التي عنيت بنشر الثقافة الغربية ، ان يتهافت اللبنانيون على رشف الثقافة الغربية التي راوافيها ثروة لم يجدوها في ثقافتهم الموروثة عن عصور الانحطاط. فاخذ ادباؤنا يتأثرون بآثار الغرب ، وينهلون من معينهم ، كما فعل مارون النقاش ١٨١٧ ــ ١٨٥٥ ، اول من ادخل فن التمثيل الى العربية ، الذي الف مسرحية « البخيل » ومثلها في بيته في اواخر سنة ١٨٤٧ ، او كما فعل نجيب الحداد ١٨٦٧ ــ ١٨٩٩ الذي نقل مسرحية « غرام وانتقام» عن « السيد » لكورنيل ، ومسرحية « حمدان » عن هرناني لفيكتور هيجو ، وقصة « غصن البان » عن قصة «رفائيل» للامرتين .

وكان لاثارهم تلك الفضل على النهضة في ذلك الوقت « فاقدام نجيب الحداد » ــ كما ذكر الياس ابي شبكة ــ « على ترجمة روائع الغرب بارقى اسلوب كتابي عرف يومئذ، وقيام اديب اسحق الذي ابتدع طريقة في الانشاء بليغة احسن فيها التطبيق بين الاسلوبين الفرنجي والعربي بمشاركة سليم النقاش في نقل المسرحيات الفرنجية الراقية وتمثيلها ونشرها ، احدثا حركة ادبية لم يسبق مثلها في العالم العربي وكانت فاتحة عهد خصب بالنقل والاقتباس نشأ عنه عهد خصب بالتفكير والتاليف » (١)

ان حركة النقل والترجمة هذه زادت الناس تعرفا بادب الغرب ، واغنت الادب العربي ووسعت له الافاق . فاذا عندنا مذاهب جديدة في الشعر لم يألفها القدماء ، سنتكلم عنها فيما بعد .

هذا الياس فياض ١٨٧٢ ــ ١٩٣٠ يتأثر بالشعر الغربي وخصوصا الفرنسي منه ابعد التأثر ، ويترجم كثيرا عن شعراء الغرب ويقتبس منهم ما شاء ، وكانت قصائده هذه في معظمها قصائد رومانتيكية تعبر عن ذات الشاعر بعاطفة ورقة وانسياب . من هذه القصائد قصيدة «سقوط الاوراق » التي عربها عن الشاعر ميلفوا ، وقصيدة «النجوم» (٢) التي اقتبسها عن قصيدة La Voie Lactée لسوللي برودوم وغير ذلك .

وكذلك فعل اخوه الدكتور نقولا فياض الذي عرب قصيدة « البحيرة » عن لامرتين ، والذي اقتبس قصيدته « اذكريني » عن الفرد ده موسيه ، كما ترجم قصيدته « بكاء الاطفال » عن الشاعرة الانكليزية مسز برونن ، وقصيدة « السيف » عن سوللي برودوم ، والذي اقتبس قسما كبيرا من قصيدته « الزهرة والفراشة » عن فيكتور هيجو كما انه نقل الى العربية رواية « الخداع والحب » للشاعر الالماني شلر (٣)

وهكذا فعل بشارة الخوري الذي عرب واقتبس كثيرا من قصائده عن شعراء الغرب كقصيدة « العيون » و « ماذا أقول له » و « انا لو كنت يا سليمى » و « قلب خافق » و « الى امرأة » وغير ذلك (٣) .

وكان ان اقدم قبل ذلك سليمان البستاني ١٨٥٦ ــ ١٩٢٥ على ترجمة الياذة هوميروس شعرا . فكانت هذه التحفة الادبية التي ظهرت سنة ١٩٠٤ ذخيرة جديدة اثرت على الادب العربي الناشيء ايما تأثير سواء من حيث طرق النظم ام من حيث الفن الملحمي(٤) والفن القصصي

القصة الشعرية

ولعل المرحلة القصصية ، كما يقول بطرس البستاني (٥)، هي اظهر مرحلة وقف عليها شعر النهضة . وقد كانت القصة بحق اول مظهر من مظاهر الجدة في الادب العربي الحديث. فالعرب القدامى لم يعرفوا القصة الشعرية الا في تلك القصص الغرامية التي حفل بها شعر عمر ابن أبي ربيعه وامثاله . اما القصة الشعرية الراقية ذات الغرض الاجتماعي والاخلاقي فانها كانت من بنات الشعر العربي الحديث . وقد تناول الشعراء اللبنانيون هذا الفن الجديد فازدهر على ايديهم ، وكانت القصص الشعرية اما اقتباسا من الادب الغربي كما فعل بشاره الخوري في قصيدة « سلفين وجيروم » واما استلهاما من التاريخ كقصيدته « عروة وعفراء » او قصيدة « خولة بنت الازور » لشبلي الملاط ، واما قصصا مستمدة من المجتمع كقصيدتي « الريال المزيف » و « من مآسي الحرب » لبشارة الخوري وقصيدة « هذه الخائنة » (٦) لامين ناصر الدين او كقصيدتي « الجمال والكبرياء » لشبلي الملاط و « والجمال

---

(١) الياس ابو شبكة : روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ص ٨١

(٢) راجع ديوان الياس فياض (٣) راجع رفيف الاقحوان للدكتور نقولا

والتواضع » لامين تقي الدين .

ومن الشعراء الذين ابدعوا في القصص الشعري شبلي الملاط . هذا الشاعر الذي نظم عدة قصص شعرية تنبيء عن مقدرة فائقة بالسرد ، في قالب لا تنقصه الشاعرية والرقة والسلاسة والانسياب . وجميع هـذه القصص الشعرية ، سواء اكانت اجتماعية ام تاريخية، تمجد الاخلاق والقيم . من هذه القصص قصيدة « الوردة الذابلة » ، وهي قصة فتاة بارعة الجمال ، كانت امها ذات السيرة السيئة سببا لتنكيد عيشها ، وحرمانها لذة الحياة ، ولموتها اخر الامر

اومات بنت زينب بالسلام — وتلاشى ما تمتمت من كلام
كل ذلي وخجلتي وسقامي — وبلائي وما رايت امامي
كل هذا جنته امي عليا

اما في قصيدته « الجمال والكبرياء » ، فلسان حاله يقول : ما نفع الجمال ان لم يكن مقرونا بالخلق الطيب السمح

رب قالت حبذا الان الفنا — قل لمن بالحسن احيانا بلي
وبه اعتز زمانا وطلب — ان يرى في الوجه اسباب النعيم
خل عنك الوجه واحفل بالادب — وجمال النفس والاصل الكريم

وهو يحمل في قصيدته « بين العرس والرمس » على ظلم المجتمع للانسان ، وكيف ان الابن يقع ضحية انانية الوالدين ، فيصور لنا كيف ان ابا قاسيا فرق بين متحابين بان ازوج فتاته لرجل عجوز طمعا في ماله . فيقول :

لم نكن نحن مرة مذنبينا — ان اباءنا هم المذنبونا
ظلمونا وليتهم انصفونا — ولدونا وليس حبا فينا
بل هو الذات علة التوليد (٧)

ويجب الا ننسى قصصه الشعرية التاريخية التي نلمس بها النفس الملحمي والتي يصور فيها البطولة والشيم والاخلاق كقصائده « خولة بنت الازور » و « بين اليمن والشام » و « سيف بن ذي يزن » .

٢ ــ أثر المهجر :

حتى اذا ما هبت انسام المهجر تفتحت مصاريع ادبنا بكليتها على الغرب ، فدخلت تلك الانسام تنشر في ارجاء بلادنا ادبا جديدا غنيا متشبعا بالروح الغربية ايما تشبع .

هاجر اللبنانيون الى العالم الجديد ، فرافقهم حنين الى ربوع لبنان الجميلة عميق ، كان من شانه ان ارهف مشاعرهم وعواطفهم ، فاذا شعرهم تتراءى فيه طبيعة لبنان ، فيمتليء حنينا وكآبة ، ويمتليء رقة وشعورا ، ويمتليء فوق هذا كله ثورة على النظم والشرائع ، وثورة على المجتمع الذي حرمهم الاهل والوطن . وكانوا قد اخذوا بحضارة الغرب وثقافته ، وتفاعل هذا كله في نفوسهم ، فاذا عاطفة جياشة ، وقد صقلت بالثقافة والحضارة ، تنفجر شعرا جميلا ، مليئا بالحنين للوطن بالتالي للطبيعة ، ومليئا بالثورة على المجتمع والانسان . وزادته الثقافة الغربية عمقا في الفكر ، وتفهما للاوضاع ، وفلسفة في الحياة . فكان لنا شعراء المهجر وكتابه ، كجبران خليل جبران وامين الريحاني وفوزي المعلوف ، الذين شادوا لنا دعائم المدرسة الرومانتيكية العربية بما اودعوا شعرهم من حنين وعاطفة ، وثورة ومثالية ، وتجاوب مع الطبيعة ، وتعبير عن الذات المتالمة المحرومة .

نظم الريحاني اشعاره المنثورة فاذا هي في روحها رومانتيكية ، بما حوته من تعبير عن الذات المريرة الثائرة المتالمة ، وبما حوته من مثالية ، وبما حوته من حب للطبيعة واتحاد معها ، كقصيدته « داويني ربة الوادي » (٨) التي هي نداء للالتجاء الى الطبيعة احدى صفات الرومانتيكية الاصيلة .

ونظم فوزي المعلوف قصيدته « على بساط الريح » فاذا هي تطفح بالحنين او النوستالجيا على حد تعبير الفرنج ، واذا هي دعوة الى الانفلات من الواقع ، وتوق الى بلوغ المثالية ، وثورة على الاوضاع ، وكل تلك الصفات هي صفات محض رومانتيكية . حتى قال عنه الشاعر الاسباني فرنسيسكو فيلاسباسا : « ان فوزي المعلوف كانبياء التوراة ، علق ربابته على غصن صفصافة لتعزف على هوى الريح ، ناطقة بما في لغة الطبيعة من نبرات خفية تهمس بها الالوهة . » (٩) ولعمري فقد كان الشاعر الاسباني يلخص بهذه الجملة مفهوم الرومانتيكية بكامله .

اما جبران خليل جبران فانه لم يشيد دعائم الرومانتيكية العربية فحسب ، وانما شيد ايضا دعائم الرمزية في الشعر العربي الحديث او على الاقل شارك في تشييد هذه الدعائم . لقد مهد جبران الرومانتيكية في لبنان كما مهد الرمزية على حد سواء ؛ فهذا الاحياء ، وهذا الجرس ، وهذه الكيمياء اللفظية ، وهذه الصور التجريدية التي نجدها في شعره ونثره على السواء ، هي ولا شك صفات رمزية . كقوله :

هل تحممت بعطر — وتنشفت بنور
وشربت الفجر خمرا — في كؤوس من اثير

ولا ننسى هذه الموسيقى الشعرية التي كان جبران كلفا بها الى حد انه كتب كتابا كاملا عن الموسيقى .

الا ان جبران ، وان كان مهد للرمزية في لبنان ، كان رومانتيكيا اكثر منه رمزيا . فالكآبة والتشاؤم والعاطفة الجياشة التي تطغى على شعره جميعه ، حتى انه يعبر عن الفكرة الفلسفية بطريقة عاطفية حارة ، والثورة على الاوضاع ، والالم ، وتقديس الطبيعة ، والمثالية ، كل هذه الاشياء هي رومانتيكية اكثر منها رمزية . فجبران شاعر رومانتيكي لا هم له الا عرض ذاته ، والتعبير عن عواطفه واحساساته ومشاعره .

فياض (٤) راجع الهوى والشباب لبشاره الخوري (٥) نشأت الملحمة في لبنان لاول مرة وازدهرت على يد بولس سلامه صاحب ملحمتي « عيد الغدير » و « الرياض » (٦) راجع المكشوف عدد ٤٣٩ سنة ١٩٤٦
(٧) راجع ديوان الالهام لامين ناصر الدين .

(٧) راجع ديوان شبلي الملاط.
(٨) راجع الريحانيات الجزء الثاني ــ (٩) راجع شاعر الطيارة للبدوي الملثم ص ٥

٣ ـ الصراع بين القديم والحديث :

ان شعراء المهجر قد بالغوا في تقدير الفكرة والخيال والعاطفة حتى انهم تغاضوا احيانا عن التعبير اللغوي الصحيح ، وتغاضوا عن قواعد الصرف والنحو . ولم يهتموا الا باداء الفكرة دون الالتفات الى اللغة والشكليات . وكان من نتيجة ذلك ان ثارت ثائرة انصار القديم فقاموا ينتقدونهم نقدا موجعا . ويهاجمون لغتهم الركيكة في ظنهم، ويهاجمون اساليبهم المتحررة ، ضانين باللغة ان يدركها هذا الضعف وهذا الوهن كما احبوا ان يدعوه ، رائبين بها ان تنحط في نظرهم اساليبها هذا الانحطاط . واذا بحرب عوان يشنها انصار القديم تدور معاركها على اشد ما يكون . قال امين ناصرالدين :

« المنشئون في اللغة العربية فريقان اولهما تضلع من اللغة واستطلع خفاياها فبلغ منها مبلغا جليلا . والثاني قصر على غيرها جهده فلم يدرك منها الا ذروا وفاتته معرفة اصولها ودقائقها ومصادرها وموازدها كأنها لم تكن لغة قومه وتراث اجداده ولكلا الفريقين في هذه اللغة آراء ومذاهب

اما الفريق الاول فيضن باللغة ان تشوبها شائبة من لغو او خطل ويربأ بها ان يتنازع اساليبها انحطاط وسخف ويؤلمه جد الايلام ان يرى قواعدها مختلة وتراكيبها قلقة والفاظها مبتذلة مخافة ان يأتي يوم لا تبقى للفصحى فيه مزية على العامية . »

وبعد ان يسترسل في الدفاع عن قدسية اللغة ، يهاجم انصار الجديد فيقول : « اما الفريق الثاني فقصاراه ان يستبدل بالفصحى لغة جديدة تكاد العامية تكون امتن منها اسلوبا واصح تعبيرا لا يتقيد المنشيء فيها بقاعدة ولا يبالي خطأ ولا يضطر الى اتباع اللغويين والنحويين والبيانيين في مراعاة الاصول واستقراء الدقائق ووضع الكلمات في المواضع اللائقة بها بل يكتب ما شاء كما يشاء ويبتدع ما استطاع الابتداع . » ثم يضيف بعد ذلك فيقول : « واما الفريق الثاني ـ وهو لسوء حظ اللغة والشعر ـ اوفر من الاول عددا واكثر اتباعا فخير الشعر عنده ما كان سوقي الالفاظ سخيف التراكيب مبتذل الاسلوب . »

ثم يقول : « وهناك فريق جاء يدعو الشعراء الى اهمال الوزن والروي وسمى طريقته هذه (الشعر المنثور) فكان ذلك احدى المضحكات ... واذا كان اصحاب الشعر المنثور لا يتقيدون بوزن ولا تقفية وما دام كل شيء في الكون لا يخلو من معنى شعري فمن الواجب ان يعدوا ضدائح الطائر ومواء الهر ونبيب التيس من باب الغزل والتشبيب ... ولست بمبالغ اذا قلت ان (شعر) هذه المذكورات يكاد يكون ابلغ من شعر اولئك (العصريين) وافصح لانها انما نطقت بلغاتها الطبيعية التي لم يعتور قواعدها خلل ولا فشا فيها لغو ولا لحن ولا فسدت اساليبها وتعابيرها . »

ويرد انصار الحديث على اعدائهم بالشدة ذاتها فاذا كان امين ناصر الدين شبه المجددين بالطيور والهررة والتيوس وغير ذلك فهذا ميخائيل نعيمة يشبه المحافظين بالضفادع . قال مدافعا عن جبران خليل جبران الذي استعمل كلمة « تحمم » بدلا من « استحم » اللغوية :

« مصيبة ضفادع الادب ، يا سادتي ، ان الحياة تسير بهم وهم قعود ، فيتوهمون ان الحياة قاعدة مثلهم .. ان ما تنبذه الحياة ، ان في الادب ، وان في اي مظهر اخر من مظاهرها ، تنبذه من نفسها احبه ضفادع الادب ام لم يحبوه . وما تستنسبه تحتفظ به رضي بذلك ضفادع الادب ام لم يرضوا . ومن اغرب ما في الكون ان يكون فيه اناس يجهلون ذلك ...

ان اللغة التي هي مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع الا لقوانين الحياة . فهي تنتقي المناسب وتحتفظ من المناسب بالانسب في كل حالة من حالاته ..

سألتم ، يا سادتي ، باسم العدل والفهم والقاموس . لماذا جاز لبدوي لا اعرفه ولا تعرفونه ان يدخل على لغتكم كلمة « استحم » ولا يجوز لشاعر اعرفه وتعرفونه ان يجعلها « تحمم » ؟ وانتم تفهمون قصده بل تفهمون « تحمم » قبل ان تفهموا « استحم » ؟ وما هي الشريعة السرمدية التي تربط السنتكم بلسان اعرابي عاش قبلكم بالوف السنين ولا تربطها بلسان شاعر معاصر لكم ؟ ...

ان شأننا مع ضفادع الادب لشأن والله غريب عجيب، يطالعون ما نكتب فيقولون : نعما الافكار ونعما العواطف ونعما الاسلوب . لكن ... اللغة ، كأننا فيما نكتب او ننظم نلقي عليهم دروسا في اللغة وكان لا هم لنا من النظم الا ان نتحاشى الخطف والاشباع واستعمال « تحمم » بدلا من « استحم » . »

« ويستحم » الادب في بحر من الصراع بين القديم والحديث متلاطم الامواج ، ويشهد العصر حربا عوانا .

سامي نسيب مكارم

عودة الى الريف

هوذا الريف وهذي السنديانه
وغدير عرف القلب مكانه
ههنا وادي الهوى يا خافقي
وغرام أرجع الله زمانه
وهنا الصفصاف كم هدهدنا
خدر أم عطر الحب حنانه !

★

هوذا الجدول مخضر الضفاف
فوقه ظل من الصفصاف ضاف
وهنا الصحراء يا قلبي ... فهل
تذكر الامس ... وايام القطاف
تحت زيتون رصاصي ... مضى
في فضاء رائع الزرقة صاف

★

ههنا السفح وازهار التلال
والجمالات وسرحات الخيال
هل نسيت السفح يا قلبي وهل
غربت عنك ثريات الدوالي
وصبايانا الرشيقات الخطى
كيف يحملن الاغاني في السلال

ههنا يا قلب قد كانت تغني
حلوة الريف ... بمجروح مرن
تسكب الانغام لحنا يائسا
سلخت آلامه منك ومني
وسرت في ريفنا شائقة
حبكتها غيدنا عنها وعني

★

ههنا كنت مع الصحب أتيه
في مدى ريف مضى عنه بنوه
ههنا الاشياء ما زالت كما
تركت لكنما أين الوجوه ؟
كل ما في الريف شوق صارخ
لشباب طمح قد هجروه

★

ههنا تغفو « شويفاتي » الحبيبه
بين زهر نشر الفجر طيوبه
وهنا يا قلب نغفو عندما
تنتهي دقاتك الثكلى الرتيبه
تحت زيتونة سفح هادىء
سوف تبكينا بدمعات خضيبه !

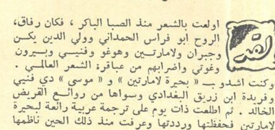
الشويفات ـ لبنان

فؤاد الخشن
من اسرة الجبل الملهم

نقولا فياض الشاعر

بقلم منير بصري

ooo



اولعت بالشعر منذ الصبا الباكر ، فكان رفاقي الروح ابو فراس الحمداني وولي الدين يكن وجبران ولامارتين وهوغو وفنيي وبيرون وغوتي واضرابهم من عباقرة الشعر العالمي . وكنت اشدو بـ « بحيرة لامارتين » و « موسى » دي فنيي وفريدة ابن زريق البغدادي وسواها من روائع القريض الخالد . ثم اطلعت ذات يوم على ترجمة عربية رائعة لبحيرة لامارتين فحفظتها ورددتها وعرفت منذ ذلك الحين ناظمها الدكتور نقولا فياض .

نقولا يوسف فياض شاعر رقيق واديب المعي وخطيب وطبيب . نشأ في لبنان وعاش عهدا طويلا في مصر ، ثم عاد الى الجبل الاشم حيث يقضي الان شيخوخته الهانئة الجليلة . قرض الشعر وهو صبي يافع ، فنشرت له مجلة المقتطف في سنيها الاولى ابياتا من الشعر قبل نحو من سبعين عاما . ثم درس الطب ومارس الخطابة والكتابة واشتهر بترجمة قصيدة لامارتين السائرة التي صدر بها ديوانه « رفيف الاقحوان » :

اهكذا ابدا تمضي امانينا ... نطوي الحياة وليل الموت يطوينا
تجري بنا سفن الاعمار ماخرة ... بحر الوجود ولا نلقي مراسينا
بحيرة الحب حياك الحيا فلكم ... كانت مياهك بالنجوى تحيينا...
احبها واحبته وما سلما ... من الردى ، رحم الله المحبينا

ان شاعرنا لم يوفق لنقل روعة الاصل وبداعته شعرا سائغا بليغا في لغة الضاد فحسب ، بل بارى في الوقت نفسه قصيدة من روائع شعر الغزل العربي الا وهي طرفة ابن زيدون :

اضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وللدكتور نقولا فياض الى ذلك شعر جميل رائق ، أليس هو القائل ؟

ليس « البيانو » الذي باتت تكهربه ... يداك اطوع من قلبي وافكاري
لمسته فتمشى السحر بي فكما ... تهتز اوتاره تهتز اوتاري
اصابع العاج هذي تلعبين بها ... إم تلعبين باسماع وابصار ؟...

ولد نقولا فياض في بيروت سنة ١٨٧٣ ، فهو اليوم قد اناف على الثمانين ، ودرس في مدرسة الثلاثة اقمار ففرس في نفسه معلمه نعمة يافت حب الادب وقاد — كما قال — خطواته الاولى في حياة الفكر والعمل . وحفظ التلميذ النجيب لمعلمه يده تلك فقدم اليه — وهو رميم بال — ديوان شعره بعد نحو من ستين عاما . ومال الصبي نقولا الى الصحافة ، فبعث الى بشارة تقلا صاحب « الاهرام » في مصر برواية منظومة وطائفة من شعره ونثره آملا ان يستقدمه ليحرر في جريدته ، لكن لم يكن في مقاعد التحرير شاغر . فانتسب الفتى بعد ذلك الى مدرسة الطب الفرنسية في بيروت ونال شهاداتها في سنة ١٨٩٩ . وساح في فرنسة سنة ١٩٠٦ ثم عاد الى مصر واستقر في الاسكندرية يزاول الطب . وقد مكث في القطر المصري نحوا من ٢٣ سنة ، ومصر آنذاك منتجع السوريين واللبنانيين يمارسون فيها الصحافة والادب والتجارة والاعمال ويتبوؤن الوظائف والمناصب . وكان ممن شد الرحال الى مصر ايضا اخوه الكبير الياس فياض ، وقد عرف مثله شاعرا رقيقا واديبا موهوبا وله في ميدان التاليف والنظم صولات وجولات .

ساهم الدكتور نقولا فياض في الحركة الادبية بقسط وافر ، فنشرت له « الهلال » وسواها من المجلات والصحف القصائد والمقالات . ومن الكتب التي نشرت له آنذاك « خواطر في الصحة والادب » و « حول سرير الامبراطور » (وهو مترجم عن الدكتور كابانيس الذي نظر الى نابليون نظرة الطبيب الفاحص) و « مملكة الظلام » او « حياة الارض » وقد عربه عن الاديب البلجيكي الكبير موريس ماترلنك الذي تناول فيه بحثا علميا باسلوب شيق عن الدودة المعروفة Termites وعرف شاعرنا الطبيب اضافة الى ذلك بالتبرز في الخطابة ، فكان ينتهز الفرص السانحة ليرتقي المنابر في الاندية والجمعيات والمدارس وليهز السامعين مازجا في خطبه الشعر والنثر واصدرت له ادارة الهلال سنة ١٩٣٠ كتابا في الخطابة لعله الاول في موضوعها باللغة العربية ، تناول فيه البلاغة نظريا وعمليا والانشاء الخطابي وانواع الخطابة واردفها بنظرة صحية وتشريحية ، ثم ختم كتابه بنماذج من الخطب الشهيرة الغربية والعربية .

وانتخب نقولا فياض آنذاك عضوا في المجمع العلمي العربي بالشام . ثم عاد الى لبنان في سنة ١٩٣٠ ، فعين نائبا ثم قلد ادارة البريد والبرق ردحا من الزمن . ولم يكن شاعرنا بالطبيب الوحيد الذي تولى ادارة البريد في البلاد العربية ، فقد سبقه الى ذلك في العراق الدكتور فائق شاكر وتبعه الدكتور حنا خياط الذي تخرج في نفس مدرسة الطب الفرنسية ببيروت بعد الدكتور فياض بسبع سنوات .

واعتزل الدكتور فياض الوظيفة فانقطع الى ممارسة الطب والادب . واصدر في سنة ١٩٥٠ ديوان شعره باسم « رفيف الاقحوان » ، ثم اردفه في السنة الحاضرة بمجموعة شعرية صغيرة دعاها « بعد الاصيل » . ونشر في هذه الاثناء كتبا اخرى موضوعة ومترجمة ، منها « على المنبر » و « كيف تغلب الانسان على الالم » و « دنيا واديان » و « من نافذة العقل » الخ ..

ان نقولا فياض الشاعر قد تأثر كثيرا بالادب الفرنسي الحديث ، وكان من رواد الشعر الطليق ، وهو شعر منظوم قد تصرف في مبناه فمزج البحور المختلفة في القصيدة الواحدة ونوع القافية . وكذلك قرن شاعرنا الجديد بالقديم فكان كما قال :

ما سكبت الجديد صرفا بكاسي ... لا ولا ذبت في القديم احتراقا

وهو بارع في ترجمة الشعر الاجنبي ليخلقه في القريض العربي خلقا سويا . فمن يقرأ له « بحيرة » لامارتين او « اذكريني » لموسيه او « سيف » سولي

برودوم ، تهزه روعة الاصالة وعذوبة البيان . ومن الطريف مقابلة ترجمته لقصيدة فكتور هوغو « الزهرة والفراشة » (رفيف الاقحوان ص ٤٣) بترجمة شعرية ثانية للشاعر العراقي محمد الهاشمي عنوانها « الوردة والفراشة » (الادب العصري في العراق العربي الجزء الثاني ص ٢٨) ، وقد اردف الشاعر اللبناني ترجمته بجواب الفراشة على تساؤل الزهرة وشكواها كما افصح عنها الشاعر الفرنسي الخالد

ان تفوق نقولا فياض في ترجمة الشعر لم تحل دون تبريزه في شعره الاصيل ، وديوانه « رفيف الاقحوان » الذي جاء خلاصة عمر مديد يزخر بالشعر النابض بالحياة فلنقرأ له « البنفسجة » قصة الزهرة الطامحة التي ضاقت ذرعا بمنيتها المنعزل وطلبت التجوال والتعالي فانتهت الى الهلاك

مسكينة قد غرها طمع   هو كالسراب لكل مفتقر
ظنت بان لها العلاء غنى   فاذا به فقر على فقر
ما كان اغناها واسعدها   لو لم تفارق ضفة النهر

ولنقرأ « اخي » ذلك الرثاء المشجي للشقيق الغائب ، ولنقرأ « الشاعر والمومياء » ذلك الحوار البارع الذي يكشف عن ناحية مجهولة في النفس البشرية التي تنزع الى الخلود، ولنقرأ غير تلك القصائد من الشعر الذي يؤسي ويطرب ويسحر ويهز .

ان قصيدة « الشاعر والمومياء » قد مثلت فكرة فريدة في النظر الى تراث مصر الفرعونية : فشعراء مصر الحديثة من البارودي الى اسماعيل صبري واحمد شوقي قد استوحوا الاهرام وأبا الهول وغيرها من آثار الفراعنة ، لكن لم يكن يخطر ببال احد ان يلتفت الى تلك الاجسام المحنطة التي ظلت تنتظر الينا من وراء الاجيال بعيونها الهامدة حتى جاء نقولا فياض فسألها عن سر سكينتها وجمودها ، فاذا بالمومياء تكشف عن شقائها بالخلود المصطنع وتتمنى لو كانت قد تركت طعمة للفناء شأن سائر الجثث

بل ليتهم طرحوا رفاتي في الفلا   لوحوشها نهبا وللعقبان
او في التراب اصير من اجزائه   والريح تذريني بكل مكان
فاعود للكون الذي فارقته   ويجدد الدهر الجديد كياني

ولقد انطق الشاعر الفرنسي تيوفيل غوتييه قبل ذلك « مسلة الاقصر » ، فاذا بها تندب حظها في الوقوف وحيدة في هذا القصر العظيم المتداعي تحرس الصحراء اللامتناهية في سكون العزلة الخالدة. لقد امتد الافق صامتا مجدبا عقيما ، وضربت السماء قبابها كصحراء ثانية خالية من الغيوم ، وجرى النيل يدفع بمياهه الهامدة كذوب الرصاص لا يقلق راحته سوى الكركدن الذي يطل براسه على الشاطيء والتمساح الذي يرقد على الرمال اللاهبة . . . وماذا تتمنى المسلة الشاكية ؟ انها تتمنى حظ اختها التي نقلت الى باريس ونصبت في ساحة تعج بالناس ، فهي حية بين الاحياء واختها « مسلة الاقصر » ميتة في الصحراء الخالية .

اما قصيدة « المراة والشاعر » التي نظمها نقولا فياض في شبابه فاننا نجد فيها قبسا من روح الفرد دي موسيه في « لياليه » ونجد فيها شيئا من الحب واليأس والندم والالم ــ كل تلك العواطف المضطرمة المتشابكة المتناقضة التي خفق بها فؤاد الشاعر الفرنسي وماج بها شعره . » ففي « ليلة ايار » نصغي الى ربة الشعر تدعو الشاعر الى الحب ، لكنه يجيب آسيا حزينا : « انني لا اتغنى بالامل ولا بالمجد ولا بالسعادة ، كلا ولا اشدو بالالم . ان الفم ليطبق في الصمت ليستمع الى كلام القلب . » وهذه المراة في قصيدة فياض توجه نفس الدعوة الى الشاعر :

عد للهوى فربيعه قد عادا   والعشب للعشاق مد وسادا
وعلى الارائك للهزار مواقف   تستعبد الارواح والاجسادا
فعلام شعرك لا يكون لها صدى   اعدمت نطقا ام عدمت فؤادا

وها هوذا شاعرنا في شغل شاغل عن الحب ، فهو قد مل الحياة قبل ان ينضو رداء الشباب . بيد ان المراة لا تلبث ان تقنعه بحجتها فيعود الى صوابه ويعترف بفضل النساء امهات وازواجا واخوات .

بدأ شاعرنا ينظم الشعر الطليق منذ مطلع القرن الحاضر حين كان الشعر العمودي سائدا لا يكاد يخرج عليه ناظم و لايستسيغ سواه قارىء ، وكان شعر المهجر المنطلق جنينا لم يكد يبصر النور . وقد تضمن ديوانه « رفيف الاقحوان » عددا من هذه المنظومات التي تفنن في اوزانها وقوافيها كـ « زيارة من غير موعد » و « اسطورة نورية » و « الارض تخاطب الانسان » ومن تلك ايضا مقطوعة لطيفة عنوانها « اعترف » كانت قد نشرتها مجلة « الحرية » البغدادية لمحررها المرحوم رفائيل بطي في عددها الاول (تموز واب ١٩٢٤) بعنوان « وصال الخيال » :

ان اكن قد بحت يوما بالهوى
بحت للريح التي تضحك او
بحت لليل الذي اسهره
بحت للعصفور اذ انشده ،
بحت للنهر الذي يصغي الي
كلما ملت بوجهي نحوه
صامتا في جريه متئدا
ان اكن بحت فقد بحت به
للصدى   الخ...

فلانفاس السحر
تبكي باوراق الشجر
بين احلام وذكرى
كلما غرد ، شعرا

وينحصر الابتكار في هذا الشعر ــ الذي يقارب الموشحات من حيث الاسلوب ــ في مزج البحور المتقاربة واختزال المصاريع بين الحين والحين وتنويع القافية او اغفالها اغفالا باتا . ولم يحاول شاعر عربي حتى الان ــ فيما عدا دعاة الشعر المنثور الذي يعتمد على الايقاع ــ لم يحاول شاعر استنباط مقاييس جديدة للنظم تقوم مقام اوزان الخليل .

والان ننتقل الى ديوان « بعد الاصيل » الصادر في سنة ١٩٥٧ وقد تضمن شعر الشاعر الشيخ في الاعوام الاخيرة . قدم له نقولا فياض بابيات منها :

راعني عند احمرار الشفق   يا اخي القارىء ان لا نلتقي
والقوافي لم يزل يغمرني   حلمها الذاهب خلف الافق...

ان الشعر الذي حوته هذه المجموعة لم يكد يضيف الى مجد الشاعر شيئا مذكورا ، فاغلبه من شعر المناسبات الذي لا شأن له . ولقد يستمتع القارىء بـ « قصة من الصين » او « الارغن الصغير » او « بوذا والسنونة » او « منطق جديد » ، لكنه سيذكر ابدا نقولا فياض مترجم « البحيرة » وشاعر « رفيف الاقحوان ».

بغداد   مير بصري

من وحي يافا

الداليـة

حكى أخي حكايةً ليتَ أخي لم يحكِها
قصةَ حبٍّ مفجعٍ ضيَّعت منه النُهى

قالَ أخي :

« هل تذكرُ المعرَّشا ؟
نجلس تحتَ الدالية ؟
كنا هنـاكَ للعشـا ،
وجمعُنـا ثمانيـة
أمـي واختـي وأبـي
وأخوتـي حواليـه ،
اذ سقطـت قنبلـة
دوتْ بكـل ناحيـة ،
لكنهـا مـن لطفـهِ
هوتْ بأرض خاويـة ،
ثـم هربـنا نحتمـي

في دار أمن نائية ، لخوفنا من ثانية
من تل ابيب قادمة، من الايادي الاثمة

وفي الصبـاح عندمـا
عدنا الى البيتِ الحمى
اذا بـه تهدَّمـا
لم ينجُ منه قطعـةٌ مـا
يمكـن ان يلملمـا

قـد سقطت قنبلةٌ
ودكَّـت المعـرشا
والتهمت حتى العشا
وأشعلت نار الحشى
اذ احرقت لي الدالية
لم تكْ يا أخي معـي
ولم تشاهد أدمعـي
اسكبُها من منـبعي
على جذورِ الدالية
والان في المنفى معي
من رملها المشبَّـعِ
بانهر من مدمعـي
تذكارُ حبٍّ لا يعي
حزنا دفينا موجعي
منذُ احتراق الدالية،

ذا كلُّ ما املكه ذكرى البلاد الغالية »

* * *

تلك اذن قصته لكنني اشقى بهـا
عند اخي تذكارُه من ارضنا من رملها
أما أنا فلاجيء ابكي علـى فقدانـها
وليس عندي مثله تذكارها او تربهـا .

لنـدن — معاوية محمد الدرهلي

قصة مصرية

الفتنة

بقلم منيرة عبد الجواد

○ ○ ○

جلست صديقتنا يسرية صامتة حزينة ، معتمدة رأسها بين يديها ، غير ملتفتة الى وجودنا حولها في زيارتها وعبثا حاولنا ان نعرف منها سبب حزنها والمها ، او ان نسري عنها بعض الشيء ، او نخفف مما بها.

وخيم علينا صمت ثقيل قاتم ، احسست به يضيق علينا الخناق ويكاد يزهق انفاسنا ، واصابنا تبلد عجيب لم اره يخيم على شلتنا طوال مدة صداقتنا الطويلة .

فها هي ذي يسرية المرحة الطروب التي لا تفارق الابتسامة شفتيها الا لتنفسح لضحكة فضية تنطلق صاخبة مرحة مجلجلة تجبر من حولها على مجاراتها في الضحك وتدعوهم الى مشاركتها مرحها وابتهاجها ، يسرية هذه تجلس حزينة صامتة متوترة الاعصاب وفي حالة لا تتحمل معها مجرد سماع كلمة واحدة ، وسلوى التي لا تهدأ ولا تستقر في مكان ، الدائمة الحركة والتي لا تكف عن التهريج والدعابة والاتيان بحركات مضحكة سواء بيديها او وجهها او رأسها ، سلوى هذه تجلس هي الاخرى صامتة مطرقة ، وبقية الشلة مطأطئة الرؤوس حائرة لا تدري كيف تتصرف ازاء هذا الصمت الثقيل الاسود الذي ملأ جو الغرفة بالسأم والضيق ، وكأنما يسرية قد اعدتها بحزنها وضيقها كما كانت تعديها ببشرها وسرورها ...

وفجاة وفي محاولة يائسة ، وكمن يلقي باخر ما في جعبته كآخر امل له في النجاة من موقفه اليائس ، قامت سلوى من مكانها ، واتجهت الى يسرية وانحنت امامها في حركة تمثيلية رشيقة متقنة ثم تفرست في وجهها لحظة ، وقامت بحركة من حركاتها المضحكة العديدة ... وكنا في حالة من الضيق والضجر لم تسمح لنا بتقبل هذه الحركة منها وكنت انا متوترة الاعصاب قلقة فصحت فيها بغيظ وحنق : فتنة .. عليك لعنة الله .. اهذا وقته ؟ وقبل ان اتم جملتي كانت يسرية قد انطلقت في نوبة قوية من الضحك المتواصل تبعتها فيه بقية الشلة وكأنما تريد ان تعوض الضيق والضجر السابقين ، وجلست سلوى منتفخة الاوداج مزهوة كالطاووس وكأنها قامت بعمل خارق لم يحدث من قبل .

وما ان هدأت نوبة الضحك قليلا حتى قالت احدى الصديقات : سبحان مغير الاحوال ، أمثل هذه الحركة تفرج عنك بهذه السهولة؟ ليتنا عرفنا هذا من اول الامر .. واسترحنا من الجو الدرامي الذي كنا فيه .

فردت يسرية وهي ما زالت تغالب الضحك : لا .. لا .. انها ليست حركة سلوى التي اضحكتني فقد رأيتها — قبل ذلك كثيرا — بل لقد كنت على وشك ان اصفعها من شدة غيظي وضيقي لولا سماعي كلمة فتنة ، ان كلمة « فتنة » والطريقة التي نطقتها بها صديقتنا هي التي جعلتني انفجر في الضحك .. فمهما كانت حالتي النفسية التي انا بها فاني — ما ان اسمعها — وخاصة اذا قيلت بغيظ — الا وانفجر في ضحك متواصل . انها تذكرني بحادثة وقعت وانا في بدء دراستي الجامعية واعتقد اني لن انساها ما حييت .

وصمتت يسرية برهة لتسترد انفاسها وتجفف دموعها من كثرة الضحك وقرأت في عيوننا الفضول لسماع القصة فعاودت الحديث .

كان ذلك في بدء دراستي الجامعية — في السنة الاولى بها ، ولم يكن بالقسم الذي التحقت به سوى آنسة واحدة غيري اسمها امينة والباقون طلبة .. وامينة هذه وحيدة ابويها ، طويلة مفرطة في الطول نحيفة جدا ، ذات وجه لا يرتاح الناظر اليه ما لم ينفر منه ، عيناها واسعتان معتمتان تذكران الناظر اليهما في التو واللحظة بعيون البلهاء وتدلان دلالة واضحة على مدى ما تتمتع به من غباء مطبق ، وعظمتا وجنتيها نافرتان وخداها غائران وفمها واسع ذو شفتين رفيعتين لدرجة عجيبة ، وانفها طويل رفيع مدبب معقوف ، وجبهتها ضيقة بارزة ، وشعرها اصفر ناعم قصير تمشطه للخلف فتبدو كأحد العمال الذين يصبغون شعورهم باللون الاصفر ويطيلونها حتى تصل الى مؤخرة الراس ، وعنقها طويل نافر العروق واذناها كبيرتان طويلتان وذراعاها نحيفتان كالجريد واصابع يديها طويلة رفيعة وبقية قوامها ليس به شيء من علامات الانوثة .. فصدرها ماسح وساقاها طويلتان رقيقتان يغطيهما شعر كثيف .. يشبهان الكرابيج على حد قول احد الزملاء ، وصوتها غليظ مؤلم الوقع على السمع .. وتكوينها عجيب غريب ، وكم تعجبنا جميعا كيف استطاعت الوصول الى المرحلة الجامعية رغم ما تتمتع به من غباء مستحكم .

كان الزملاء من الطلبة ينفرون منها ويتندرون عليها تندرا مرا . واقسم احدهم انها فتى هارب من الجندية متنكر في زي فتاة ، واقسم اخر ان اسمها ينقصه شيء مهم جدا .. هو اضافة لفظة تعيسة او ضائعة او مكروهة بعد اسمها حتى يطابق الاسم الواقع ويصبح اسما على مسمى .. وثالث يخاطبني بصيغة جدية قائلا : لقد فرقت الطبيعة بينكما في كل شيء حتى في كشف الاسماء فهي اوله وانت في اخره ، تسمحين لها بتحطيم ناموس الطبيعة وتتركينها تصر على ملازمتك طول اليوم فيرد اخر : انها فدائية يا اخي تريد ان تستأثر بالجنة .. يا بخت اللي يصبر ويقول غيرهم بلهجة الوعظ ، صبرا آل ايوب . سينتهي العام بخير ان شاء الله ونتركها لتكون في استقبال الطلبة الجدد ترحب بهم باسم القسم اما من يتخاذل منكم في المذاكرة او من تحدثه نفسه بالتخلف عنا فسيكون جزاؤه الرادع ان يقضي سنة اخرى معها ..

كان هذا يا صديقاتي شعور الزملاء من الطلبة وهم بعيدون عنها ، اما انا فقد كان عذابي اشد وانكى اذ كانت تلازمني طوال اليوم بحكم انه ليس معها في القسم طالبات سواي.

وكان يوم الحادث هذا .. ولا ادري اي شيطان وسوس لها في ذلك اليوم ان تتجمل او بالاصح تصبغ وجهها باللون الاحمر . اقول صبغته وشفتيها باللون الاحمر بطريقة مضحكة لانها فعلا قد طلت وجهها كله تقريبا

وشفتيها باللون الاحمر بطريقة مضحكة تثير السخرية ، ويومها ضحك الزملاء وتندروا ما شاء لهم الضحك والتندر وانتهت المحاضرة الاولى وغادروا قاعة الدرس وبقيت انا مكاني انقل بعض المحاضرات وهي بجواري معتمدة راسها على يديها فوق المنضدة شبه نائمة ، واذا بالباب يفتح وارى زميلين معنا في القسم يهمان بالدخول ولكنهما ما ان رايا امينة حتى تراجعا في الوقت الذي رفعت هي فيه راسها واحدهما يقول بسخرية : الفتنة نائمة فيلكزه الثاني بمرفقه ويرد بغيظ : لعن الله من ايقظها .

وانفجرت امينة في البكاء بصوتها القبيح ولم افلح في تهدئتها واسكاتها فصحبتها الى حجرة الطالبات وكانت حجرة الطالبات تجاور حجرة عميد الكلية الذي كنا نحبه حبا جما مبادلة لشعوره نحونا ، فقد كان يحبنا نحن الطالبات بوجه خاص ، ربما لانه لم يرزق بنتا ، وربما لان الكلية كانت في بدء نشأتها وعدد الطالبات بها قليل جدا يعرفن بالاسم ، وربما لاننا لم نكن نسبب له اية متاعب .. وربما لذلك كله ، وكانت كل واحدة منا تعتبره ابا لها ونحترمه جميعا ونقدره وكان يفصل حجرتهعن حجرة الطالبات باب كثيرا ما كنا نسمع عليه طرقا ثم يدخل العميد يسألنا عن احوالنا واحوال الدراسة معنا وعما اذا كان ينقص الحجرة شيء ما ، وما الى ذلك مما كان يزيد تعلقنا به ..

ودخلنا حجرة الطالبات وامينة مستمرة في بكائها ونحيبها بصوت اقرب الىالنهيق منهالى البكاء، تقطعه بقولها : لا بد ان اشيكهما للعميد .. كيف تبيح لهما اخلاقهما ان يغازلاني؟

كانت امينة تبكي وكنت ابكي معها ولكن من كثرة الضحك الذي لم استطع كتمانه لتخيلها انهما يغازلانها وبينما انا احاول ان اقنعها بعدم الدخول للعميد ومسامحة الزملاء اذ بالعميد يدخل علينا الحجرة ليسأل عن سبب بكائهاوهو يتعجب من ضحكي، خاصة وانه ليس بالحجرة سوانا .

وما ان قصت عليه القصة حتى رأيت العميد يخرج منديلا من جيبه ويسرع به الى فمه ليكتم ضحكة عالية كانت قد انطلقت ولم يفلح في كتمانها عندما سمع قولها بانهما غازلاهابقول احدهما « الفتنة نائمة » ورد الاخر عليه لعن الله من ايقظها .

وبالطبع لم يكن العميد في حاجة الى ادراك الحقيقة ولكنه ارضاء لها استدعى الطالبين وهو يغالب الضحك وطلب منهماعدم التعرض لهامرةاخرى

ولن انسى ما حييت منظر الطالب الاول وهو مذهول مندهش ثم وهو ثائرلكرامته واستنكاره ان يغازلها وهو يقول باستغراب ، ليه ؟ جرى ايه في الدنيا ؟ اتقلبت حيوان ؟ ابتديت ارمرم ؟ تهمة .. فضيحة لي دي والله .. فيرد الاخر مواسيا بسخرية : معلهش ، ما تزعلش ، النفس الحلوة لها الجنة .

ورغم مرور هذه المدة الطويلة على الحادث فاني ما ان اسمع كلمة الفتنة او الفتنة نائمة الا وتسرع الىمخيلتي صورة العميد وهو يغالب الضحك ويحاول اخفاءه حرصا على شعور امينة ونظرته المندهشة المتطلعة الى امينة متعجبا ان يدور بخلدها رغم ما بها من غباء ان هناك طالبا مهماكان ذوقه يرى فيها نوعا من الفتنة ، فلا اتمالك نفسي من الضحك .

القاهرة **منيرة عبد الجواد**

السـراب

وشجرات البرتقال الثلاث

اطرقت رأسها تفكر
في المجهول كانت تفكر
انما ستائر اشجانهاكانت تحجبهعنها،
وعن دموعها

وعلى مرمى البصر...
رأت اشجارا باسقات
وحملت اليها انسام الصباح ؛
رائحة زهر البرتقال .

كانت اغصان الاشجارتتحركمنبعيد
من بعيد كانتاغصانالاشجارتتحرك
في قلبها تتحرك
في روحها تتحرك .

ثلاث شجرات كانت مائلة
انسام الصباح معطرة لشذاها
السراب وشجرات البرتقال الثلاث
وقلبها الذي يتحرك
وروحها التي تتحرك

في المجهول كانت تفكر
في السراب كانت تفكر ..
واغصان الاشجار المتمايلة ؛
في قلبها تتحرك
في روحها تتحرك

حلب **علي بدور**

من « الاصدقاء »

ثلاثة شعراء من ايطاليا

بقلم مصطفى آل عيال

ooo

ثلاثة من الشعراء تباعد الزمن بينهم وجمعهم الوطن ضمهم بلد واحد ولم يتعرفوا على بعضهم . ملأوا الدنيا شعرا وانشادا وفصاحة . ثلاث قيثارات جاب صداها الاعصر ، وانسابت موسيقاها في الاجيال شجية كئيبة مرنانة . عاشوا كما يعيش الناس ولكن لغنهم لا لانفسهم . لم يرووا غير الشعر وان من الشعر لسحرا تردده الافاق وتبعثه انغاما لها في النفوس وقع واي وقع وهي في الاذان ارق من نسيمات الصباح،وهي في الاذهان أشد من عاتي الرياح

ثلاثة شعراء لم يلتقوا في الزمن وكان بينهم وبين المجد موعد . لقد اختلفت مشاربهم واهواؤهم ولكل منهم منهجه وطابعه ، جمعتهم الشاعرية والعبقرية على صعيد الخلود وسط اكليل من الزهر كبير الدائرة اريج .

لقد تباعد بينهم الزمن وكان بين الواحد والآخر قرن او زهاء قرن .

كان مولد توركواتو تاسو Torquato Tasso عام ١٥٤٤ وكانت وفاته سنة ١٥٩٥ . ارستقراطي النبعة والتربية .

وولد بطرس ماتستازيو Pietro Metastasio عام ١٦٩٨ وتوفي عام ١٧٨٢ متواضع المحتد ، هو من صميم الشعب وعامته .

وثالثهم اوكو فوسكولو Ugo Foscolo ولد عام ١٧٧٨ وتوفي عام ١٨٢٧ . اسرته وسط موفورة الحال ، سرعان ما تألق نجمه ولم يعرف الافول وشغل بشعره ونفسه الربع الاخير من القرن الثامن عشر والربع الاول من القرن التاسع عشر .

ثلاثة شعراء جمعت بينهم ثقافة واحدة كلاسيكية متينة التراكيب ونهلوا من مناهل الاداب اليونانية واللاتينية الثرة ، وتألموا تألم البحاثة الحق يريد ان يتطلع الى كل ما في هذا الكون من اسرار ... وهيهات ثم هيهات ... وشادوا في بعض زوايا انفسهم معابد للقصص الخيالية والاساطير الخرافية . لقد تمكنوا من تحريك اوتار الشاعرية تحريكا لا مثيل له . وتمتع ثلاثتهم بعناق ربات الالهام .

في اعماق نفس التاسو Tasso آلام ومتناقضات متعددة الانواع هي كلها وليدة بيئة ذاك العصر القلق . كان يتلدد في آن واحد الى الوثنية والمسيحية ويتردد بين الجحيم والنعيم . كان يفزع من نفسه الى نفسه فتتنازعه الهواجس والسوداء ويظن بالناس الظنون فيهرب منهم ويعتزل بعيدا ...

وفي شعر الماتستازيو Metastasio لين منبثق من نفسه الرضية وقد انطبع بطابع القرن الثامن عشر وذهب مذهب الامثال اللطيفة فكان له وشوشة وريقات ازهار الربيع لامستها انامل نسيمات المساء بلونها الادكن الشفاف .

واطل فجر الثورة الرومنطقية واشتد ساعده من وراء طلعة الفوسكولو . هذه الثورة التي معناها معرفة الصراط الى النصر ونحن قاب قوسين او ادنى من الموت !

وهذا هو المفهوم الذي يسم بميسمه القرن كله فيتسرب منه الشيء الكثير الى القرن الذي نعيش فيه وقد خالطته ادعاءات كثيرة جوفاء ومثاليات متصدعة من الاخاء والحرية والمساواة .

واقام التاسو للجمال هيكلا في اعماق نفسه ، هذه النفس التي طالما خالطها الحزن والقلق . وهكذا نقرا في احد مؤلفاته ــ « نجوى غزل » هذا التعريف : « الجمال هو كالعذراء الجميلة التي تكسو الافكار رونقا وبهاء وتلهم الشعر وتبعث الزفرات وترقرق العبرات وتهيجها وتلطف الالام وتبرد من لواعج الهوى والهيام . الموت جميل وكذا الجراح التي تسببه . جميل الهواء والارض والسماء والانهر والينابيع والجنائن في الربيع والاودية الموحشة والادغال الموغلة والجبال الشاهقة حيث النور والكهوف المدلهمة حيث الظلام البور . الجمال كالشمس النيرة يضيء كل ما حوله» .

ان العالم الذي يمسك على التاسو انفاسه ويملأ حجيرات قلبه هو عالم الشعور المرهف والاحساس القلق والهوى الكظيم المردي . لقد شقي كثيرا في حياته ، وشقاؤه هذا من جملة وساوسه . لا شيء يسليه ولا علم يجديه ولا شعر يلهيه . ومثله كمثل راكب البحر في يوم عاصف تطير امواجه كالجبال الراسيات . كانت تحف طريقه الى المجد الاشواك الدامية ، فتعب وتألم وتعذب ولم يأته المجد من الابيات « القدس المحررة » حيث تبرز شاعريته الفذة الا والزفرات الاخيرة تخالط حشرجات الموت .

ان جل شهرته ترتكز على ملحمة من الشعر في الاف الابيات «القدس المحررة» حيث تبرز شاعريته الفذة وخياله الواسع الخصيب ونفسه الطويل ، فيها وصف كامل لجميع الحروب الصليبية وما رافقها من احداث وتقلبات يملأ هذا الوصف كله خيال مبدع محلق . وفي هذه الملحمة كثير من التجني على الشرق ، كثير من الافتراءات وربما كان ذلك سببا من جملة الاسباب التي ساهمت في تشويه سمعة الشرق وتعكير صفو العلاقات بينه وبين الغرب . وبالرغم من كل هذا لا يسعنا الا ان نقف وقفة الاكبار والتقدير لعبقريته وشاعريته الخلابة بغض النظر عما افترته وتجنته وعما تركته من شنيع الاثر في نفوس بعض الشرقيين الذين واتتهم الفرصة فقراوا ملحمته .

لم يمت الا ومس من الجنون ران على حجاه وملك عليه منافذ حياته . وقد كتب في اواخر ايامه الى صديق له كاهن : « انا اتعس رجل شريف على هذه الفانية ... ولقد حان الوقت الذي يجب ان تزول عني تعاستي او تزول عني حياتي ... »

ولم يكن الماتستازيو Metastasio اخا اسفار ، واقصى رحلة قام بها كانت بين نابولي وفينه . ولقد تخطى الزمان والمكان حسب طريقته هو . لا يحب العمل الكثير فهو والحالة هذه قليل النشاط ومع ذلك فقد ابتسمت له الشهرة من زوايا الارض كلها . ودعي بالاجماع الشاعر « الملهم » .

هو اشبه بآلة موسيقية كاد الزمن يأتي عليها ليستبدلها بغيرها اجد منها واحسن . وكان بيت الشعر في قصائده قصيرا يدور حول نفسه ويتخطى الحدود ويزيل الفوارق بين الناس والثقافات والاذواق وما شاكلها .

Mustafà Al Ayal — Centro per le Relazioni Italo-Arabe Roma.

وهكذا فانه يلفت اليه انظار العالم وينتزع اعجاب الناس فيهللون له ويطربون .

تختلط عنده وتتشابك التعبيرات السطحية ذات التأثير الخيالي ببعض المقاطع المكثفة من الحكم . هو كهربائي الانتفاضة وبليد في آن واحد . يمزج ومضات العبقرية الى عبارات التهذيب المصطنع . له في كل منعطف مفاجاءات ودغدغة وتأثير . لم يفته شيء من التعبيرات السائدة في عصره ، موزون الاقوال شعره مطواع له . هو كالينبوع البارد المتفجر يتفتح الالهام عنه كما تتفتح الازاهر عن البراعم . ولقد الهبت مآسيه بعض عباقرة الموسيقى امثال موزرت وبيتوفن .

الفن والحياة تؤمان لا ينفصلان بالنسبة اليه ولقد كتب عام ١٧٣٣ في ديوانه « اولمبياد » هذه القصيدة ذكر فيها افتراقه عن صديقين حميمين له فتأثر حتى البكاء . ثم تعجب من تأثره هذا وآل به ذلك الى اطالة التفكير عن النشاط الزائل الذي نبديه ونحن احياء فهو بنظره نشاط ضائع سدى .

احلام واساطير تتنازعني فابثها
الطرس الابيض وبيدي اخطها
هل مسني الخبل فاقاسمها مغامراتها
وابكي الالم وقد افتريته ، واغضب له .
آه ، لا ادري ماذا انشد واخط ،
اساطير هي . اخشى كل شيء وآمله
الخوف اكذوبة . افيق واغيب معا
تجري حياتنا مجرى الحلم ...
دعني اجد يا الهي متى بلغت اليقظة
الراحة في صدرك صدر الحق .

اما ثالثهما ، اوكو فوسكولو Foscolo فانه يضم بين ذراعيه حياة عالية النزعة شاسعة الافق . يتوسع بنظراته الارض والبحار والقبة الجوزاء . ينقل الفكر في ارجائها فاحصا ثم يرتاح اليها فيقول « الكون غابة فيها الوحوش الضارية ترتع وتمرع » . ثم يهتف هتافا متواصلا فيقول « اصعد في الجبل الشامخ فانتصب فوق قمته لاهثا فافتح ذراعي نحو المشرق وانتظر الغزالة ... » . لقد احب الشمس اكثر من ميليه فغناها وهتف لها وقدسطعت في الحقول فوق السنابل الذهبية المتوجة ، ولمعت على نصل منجل الفلاح ... ان عيني المسجى على فراش الموت تفتشان عن الشمس ... والزفرات الاخيرة تصعد من الصدور والى نور الشمس تتجه .. »

وفي كبرياء الحصول على الحرية والذود عنها مهما كلف الامر ، كان يعتبر « ... فقر الذي لم يسخر ذكاءه لذوي السلطان ولم يستسلم بنفسه الى المصائب والاحن ، كان يعتبر فقر هذا الانسان فقرا عظيما مشرفا » ..

حمل القلم والسلاح معا . وكان هذا من دواعي فخره وافتخاره . ولما جرح في جسده وفي نفسه هتف قائلا « انا نفسي اتحسس جراحي وحيث هي اشد عمقا والما انكؤها لتصير اشد مضاضة ، ثم اتأملها وهي تدمي وتنزف فيلوح لي ان استشهاداتي والامي تحمل لي التكفير عن ما سبق واقترفته من الاثام . »

هذه القسوة في الفوسكولو سرعان ما يخبو اوارها وتصبح وديعة حلوة حينما يعثر على قوافيه الشعرية وانغامه الموسيقية الممتعة في « السلم بولكري » اي المقابر، و « لا كراتسيه » (ربات اللطف) ، و « لا ميكه ريزاناته » (الصديقة التي ابلت) :

.... واذا انسام الليل الرطيب
هبت تدغدغ زبد المويجات
سمع لها عتاب تأوهات الاوتار

— نفي فراقه في منفاه حزن بعيد الغور ، بعيد الاثر في نفسه المرهفة الحساسة . ان قساوة الفراق ومضاضته وانقطاع الروابط الانثوية من حيث هي رقة ولطف ، كل هذا مجتمعا الهمه قصيدة من الشعر يفضلها الكثيرون المعجبون به على قصيدته الشهيرة التي وصف بها نفسه.

حسبت ان الزمان وشظف العيش والصخور
التي اجتازها لاهثا والادغال
الموحشة ابدا حيث تأوي الضواري
حسبت ان تكون لقلبي بلسما .
ايها الامل الاجوف آه منك . يتبعني
الحب قويا بين ظلال الجحيم الابدي

هؤلاء ثلاثة من شعراء حوض البحر الابيض المتوسط هؤلاء هم قيثارته الطبيعية . اشعارهم الخالدة مفعمة انغاما ودغدغة ، يصعد صداها من صفحة اللازوردي فتجلجل وتملأ ارجاءه وتنبث في بلدانه .

كم مضى من الزمن طي هذا كله . ليس للزمن تأثير على الثروات الجمالية . للشعر الخالد اريج لا ينقطع ونشوة ابدية لا تصطنع . وللعبقرية عروش لا تتصدع .

روما — **مصطفى آل عيال**

قصة اردنية

بقلم سليمان موسى

الارض والحب

كانت اعواد الذرة الخضراء قد ارتفعت في الحقول ، وبدات سنابل بعضها تشق اكمامها وتتفلت من محبسها لتواجه ضوء الشمس ، حتى اذا هبت عليها نسمات المساء المعطرة تمايلت على بعضها كأنها قامات الصبايا الفضة ، وسمع لها حفيف ناعم اشبه ما يكون بهمسات الاحبة ووشوشات العشاق .

وسار خليل في الطريق التي تخترق تلك الحقول ، يسوق حماره الاشهب ولكن دون عجلة او انهماك ، ويبدو ان الحمار كان يدرك مزاج صاحبه فلم يكن يتورع ان يميل تارة الى يمينه وتارة اخرى الى يساره كي يقضم ، بشيء من النهم ، ورقة من اوراق الذره او نبتة من نبات المديد الذي ينمو على اطراف الحقول ويستمد ريه من هذه الشجيرات النامية حواليه .

والحقيقة ان خليلا كان يستمتع بتلك الامسية ويستنشق النسيم بملء رئتيه ، ويشعر بالحياة المتوثبة تتدفق في عضلات جسده ، كان يحس بعواطف مطربه وهو يتملى من هذه المناظر الرائعة الخلابة ، مناظر الريف في بلاده الحبيبة . لم تكن هذه الحقول ملكا له وحده ، بل كانت قد قسمت حصصا بين اهل قريته ، واشترك الجميع في حراثة الارض وفي بذرها وفي تعهدها ، ولكن هذا كان امرا طبيعيا بالنسبة له في الارض متسع كاف للجميع . ولقد توارثها الناس عن ابائهم واجدادهم ، حتى صارت جزءا لا يتجزأ من كينونتهم ، بل صارت في الواقع اكثر من هذا بالنسبة لهم . انهم يتعاقبون عليها جيلا بعد جيل ، يجوسون خلالها في ايام الصبا ، ويتعهدونها بعرق جباههم في ايام الشباب والكهولة ، ويسيرون الهوينا على اطرافها في ايام الشيخوخة وهي باقية كما هي ، كأنها الازل الخالد ، لا تتغير ولا تتبدل ، ولا يعرو مفرقها المشيب .

وها هو الان يمزج حياته بحياة هذه الارض كما مزجها من قبله ابوه وجده ومئات الناس من اهل قريته ، وهو لا يريد ان يساءل نفسه اذا كان سعيدا ام لا . فما هي السعادة اذا لم تكن القناعة والرضى ، وهو لا يشك في انه راض قانع بحياته الحاضرة .

لقد نشأ خليل في هذه القرية كما ينشأ سواه من ابناء الريف ، وارسله ابوه الى المدرسة الابتدائية ثم بعث به الى المدينة كي يتم تعليمه الثانوي ، ولكن اباه لم يلبث ان توفي ولم يكن هناك من يعني بامه واخواته سواه ، واشار عليه بعضهم ان يبيع قسما من الارض التي ورثها عن ابيه كي يتم تعليمه ، وذات مرة اخذ يحلم احلاما طويلة عريضة عن المستقبل ، تصور نفسه موظفا من موظفي الدولة ، يدخن السجاير الفاخرة ويمضي الى عمله في تمام الساعة الثامنة ، ويقضي امسيات ايامه متعطلا متبطلا بين منزله والمقهى . أليست حياة الوظيفة مطمحا غاليا بالنسبة لمعظم هؤلاء الفتيان الذين يتعلمون في المدارس ؟ واستشار امه في الامر فلم تستطع ان تعطيه رايا جازما ، فهي من جهة تريد ان ترى ابنها افنديا ، من هؤلاء الذين تشير اليهم بنات القرية بالبنان ويتحدث عنهم الفلاحون بشيء من التهيب والتوقير ، وهي من جهة اخرى لا تحب ان تفقد حفنة واحدة من تراب هذه الارض الطيبة التي ورثها خليل عن ابيه .

هذه الارض المعطاء التي تفتح صدرها كل عام لحبوب البذار وتعطي من ذات نفسها اضعافا مضاعفة لكل حبة دخلت في جوفها .

لم تكن الارض بالنسبة لام خليل شيئا ماديا يمكن ان يقدر ثمنه بالنقود انها اكبر قيمة من ان تباع ، فهي جزء من كيانها العائلي ، جزء حي له روح وله قلب وله وجدان ، واولئك الذين عاشوا من غلة الارض وعاشروها على مر السنين يستطيعون ان يدركوا مبلغ الصدق في شعور هذه السيدة نحو ارضها . ولقد تحدثت هي لابنها بشيء من هذا ولكنها لم تستطع ان تتغلب على طموحها في ان يغدو رجلا يشار اليه بالبنان كما يزعم الزاعمون وفهم خليل حقيقة عواطفها وكان فتى متبصرا رزينا ، وقد اولع بتسلق اشجار الزيتون منذ صباه الباكر ، فعز عليه ان يرى واحدة من زيتوناته ملكا لشخص غريب ، عز عليه ان يفقد قطعة من هذه الارض التي احتفظ بها اهله منذ مئات السنين . انه لن يكون الولد العاق ولن يرتكب هذه الجريمة .

وها هو الان يسير الهوينا بين اعواد الذرة الخضراء . لقد مرت عليه بضعة اعوام بعد ان غادر المدرسة الى الحقل . اما العلم فقد تزود منه بما يعينه على العناية بنفسه ، وهو لم يطلق العلم على كل حال ، انه يبتاع الصحف والمجلات ليتصل باحداث العالم الذي يعيش فيه ، وهو يجد من الفراغ ما يستطيع خلاله ان يستمتع بقراءة كتاب ، وان الرواية الجيدة والقصة الطريفة لتجد في نفسه مكانا اثيرا . ولكن لا بد لاي امريء ان يعمل في هذه الحياة ، وقد اختار خليل ان يؤدي عمله في الحقل يتعهد الارض ويعني باشجار الزيتون ، والارض لا تبخل عليه بغلالها وكذلك الزيتون .

وهبط كتف تلة صغيرة قبيل وصوله الى القرية ، وكانت الطريق تنعطف قليلا الى اليمين . وهناك خفق قلبه خفقات متلاحقة سريعة اذ شاهد نعيمة تسير امامه برفقة اخيها الصغير .

وساق حماره باهتمام وعندما اقترب منها تنحنح فالتفتت الى الوراء وحياها بحرارة وشغف فردت تحيته بشيء من الخفر والحياء .

وقال اخوها الصغير مزهوا مباهيا: انظر يا خليل ماذا وجدت

وفتح الصبي كيسا من القماش الابيض فشاهد فيه بعض حبات من القثاء والخيار .

ورفع الصبي عينيه اللامعتين الى وجه خليل ومضى يقول : لقد وجدت هذه بين اعواد الذرة في حقلنا، واكلت واحدة منها فوجدتها حلوة الطعم كأنها قصب السكر . سوف اوزعها على اخوتي واخواتي وساعطي واحدة لابي وواحدة لامي .. اتريد واحدة لك ، خذ ، انها لذيذة الطعم .

وابتسم خليل في وجه الصبي .

دموع على ورق

يا ادمعا على ورق
بها السطور تحترق
ماذا وراء ما تقول
سوى الشحوب والنحول
وغير لوعة القلق
الفيتني ذات صباح
مطوفا ، مع الرياح
فقلت : فلاكن شعاع
ينير عالم الضياع
في هالة من الالق
يا رفقتي هي الدموع
احيلها لكم شموع
لكي تنير ، ها هنا
لكي تصير سوسنا
لكي تبعثر العَبَق
جعلت قلبيَ الصغير
نجما مجنحا ، ينير
ينير كوننا الكبير
يبيد عالم السعير
يزيد ذلك الشفق

كلامنا ندى الصباح
غناؤنا شجى الجراح
نصوغه من القلوب
وفي قلوبكم يذوب
كالنور يسكن الحدَق
نسيجه أسى اليتيم
ولونه ، دمُ الكليم
وفيه صرخة الذبيح
وفيه بسمة المسيح
وشدو شاعر عشق
تميمة ، لعاشقين
وصرخة ، لثائرين
نبثها ، بلا ثمن
هدية ، على الزمن
تزهو ، ونحن نحترق
ونحن حينما نموت
نمضي هناك في خفوت
مخلفين ، للوجود
شذى الزهور والورود
وأدمعا على ورق

القاهرة — عبد المنعم عواد يوسف

وربت على خده وقال : شكرا يا شاطر ، ابقها لاخوتك . أترى كيس الحشيش على ظهر الحمار ؟ لقد خبات فيه كثيرا من القثاء والخيار ، وسوف اوزعه انا ايضا على اخوتي
والتفت خليل الى نعيمة وقال :هل شاهدت البقرة البرشاء التي اشتريناها ؟ انها تشبه احدى بقراتكم
وقالت نعيمة ـ اجل يبدو انك تريد ان تستكثر من الحيوانات .
واجاب خليل ـ هذا صحيح لقد صممت ان اكون فلاحا اصيلا ، ويبدو لي انني ساسعد هنا . كل شيء يتوفر لي ، وانا احب قريتي واهل قريتي ، انا احب هذه الربوع التي نشأت فيها . ان كل هضبة منها تذكرني بيوم من ايام صباي ، وكل درب من دروبها تحمل لي الوانا شتى من الذكريات ، السنا نبحث عن السعادة والاستقرار ، السنا نبحث عن تحقيق امل ما .. او هدف ما في حياتنا ؟ صدقيني يا نعيمة انني اجد تحقيق امالي واهدافي هنا ، في المكان الذي عاش ابي وجدي فيه ، واشعر ان الحياة في القرية اكثر التصاقا بالطبيعة واشد اتصالا بالبساطة من الحياة في المدينة . اننا نستطيع هنا ان نمضي على سجيتنا في كثير من امورنا .. قد لا يقنعك قولي هذا يا نعيمة ولكنه يعبر عما في نفسي حقا .. ولا اكتمك ان هناك سببا اخر يشجعني على البقاء .

ورمقته نعيمة بنظرة من جانب عينها كانها تساله عن ذلك السبب فمضى مسترسلا في حديثه :
ـ هناك سبب اخر ولا احسبك تجهلينه لقد مررت قبل يومين بالزيتونة التي اعتدنا ان نجلس تحت ظلالها . الا تذكرين ذلك اليوم عندما خرجنا عصرا وكنت مع اخواتك ، لقد خطر لي ان ادفن في جوف الارض قشور الرمانة التي اقتسمتها معك ، ولا ادري لماذا خطرت لي تلك الفكرة ، وعندما عدت ابحث عن اثار القشور قبل يومين وجدت انها قد بليت وامتزجت بالتراب . ولكن حبي لم يلحقه البلى يا نعيمة ، وانا ما زلت على العهد .

واستدارت نعيمة نحوه بعينيها الواسعتين ، ثم غضت بصرها خجلا ، ولكن صعود الدم الى وجنتيها دل على حقيقة مشاعرها نحوه .
واشرف ثلاثتهم على القرية الوادعة ، وكانت نسمات المساء المعطرة ما تزال تعبث باعواد الذرة الخضراء .

عمان — سليمان موسى

المرض بين الفكر والجسم

مهداة الى الجراح الدكتور بهيج عازودي

لماذا كان المرض ولماذا يكون ؟ والاصل في الحياة السلامة، فاحرف العلة قلة في اللغة واستثناء .

لماذا كان المرض ولماذا يكون . اليس الاجدر ان نتسائل لماذا كان الموت ولماذا يكون ؟

وقد يظن ان المرض مقدمة الموت او نذيره او الدليل عليه . كان المرض عندما وجد الموت ، وكان الموت اذ كانت الحياة ، ولعمري ان هذه البديهيات سيستسيغها طلبة « البكالوريا » في باب الانشاء .

على ان هذا الموضوع العادي لا يخلو من دقة ، فالمرض قد يكون افدح من الموت لذلك نهض في بعض بلدان العالم من أثر الموت فقال باختصار الام المريض في الاجهاز عليه حين يثبت ان مرضه عضال وانه امتداد للعذاب .

يظن المريض الواهي العزيمة ان مرضه هو النافذة التي يطل منها على الدنيا الاخرى ، واذا كان متفائلا عد مرضه مفرق طريق لحياة منغصة او لموت محتم .

ولو عاش الانسان العمر كله سليما معافى لما ترآى له شبح القمر فالسير في جنازة الاخرين رفقة طريق الى مكان ينساه المعزي بعد شده الكف ، فالنكبة لا تكون عبرة الا اذا مست الشخص بذاته .

المرض اعتلال عضو في الظاهر وفي السرير ، وهو اعتلال الفكر في الباطن ، والفكر يهيمن في المرء على روحه، ومعنويته ودورة دمه ، على لذته وسعادته ، على نظرته الى الحياة ، ولقلما مرض امرؤ فظل في حالته الفكرية السليمه اذ انه يصبح فريسة الكآبة منذ الساعة الاولى ، وريشة في مهب الهواجس ، وهنيئا لمن يتالم جسده ولا يتالم فكره ، انه المريض الاصم ، المريض الصنم ، اما مرضى الافكار والهواجس فهؤلاء هم المتالمون حقا .

ان مرض الجسد عارض . ومرض الفكر اصل ، ومن العسير مسح الغيوم من فكر الانسان ومن اليسير انتزاع الزائدة من جنبه . مرض الجسد لمس ومرض الفكر حس.

واعتلال الفكر قد لا يوافق فداحة العلة او تفاهتها فكل مرض حتى الزكام يشرك الفكر في قلقه وهاجسه فنشاط الفكر يعتل حتى عند « المزكومين » لانشغالهم بالمناديل .

لست هنا في معرض بحث طبي فابين انواع العلل واسبابها ومعالجتها ، ولكنه بحث يشعر بقدره كل من انتابه مرض في حياته فالمرض هو — الى ان يزول — مفض الى شلل فكري لا يستثنى منه الفيلسوف ولا الجاهل ، ذلك ان الناس يتساوون امام المرض ، فمرض الفيلسوف كبقية الامراض ، لان هواجس فكره عظيمة وان اتسع فكره ، ومرض الجاهل ذو هواجس وان ضاق فكره فكلاهما فريسة الهم والكدر والقلق والخوف وقليلا ما استطاع المريض ان يكون فيلسوفا فيأخذ المرض على علته !

وثمة متشائمون يرون ان نزلاء القبور اناس كانوا اولا نزلاء المستشفيات ، وان خشب السرير في المرض قد من خشب النعش ، وان غرفة الاستشفاء هي الرتاج الذي يتقدم باحة القصر الابدي لذلك منعوا على المريض اخبار السوء

هذا ولا بد من ارادة مكينة تطرد الوساوس ، ومولير لم يكن هازلا في شيء يوم وصف المريض بمريض الوهم ، لقد اسموه وسواسا وهاجسا وقلقا واضطرابا ، واسميه اعتلالا للفكر رافق اعتلالا للجسد ، ولا سيما متى جهلنا هل الفكر هو ايضا لحم ودم يتأثر بالوجع والالم ام هو شيء من الدماغ وقد خص الله به الادميين ، ومن زعم لك ان الحيوانات لا يعتل « فكرها » باعتلال جسدها أفما رأيت القطة تنقطع عن الطعام وتبدو عليها الكآبة نتيجة انشغال بالها حين يعتل مزاجها .

والمرض على الجملة تبرم بحالة ، وحالة نفسية مزعجة ، ولا سيما اذا كان المريض مرهف الحس ، حامل تبعات ، وعلى كل فالمرض محطة كبرى ينزل فيها المسافر من قطار سريع ليبدل به قطارا بطيئا قد يوصله وقد لا يوصله الى نهاية مطافه .

والليالي من طبعها طروب حتى في حلكتها ، وهي للعشاق رداء كثيف وميدان واسع للنجوى ، اما ليالي المريض فهي اتعس الساعات واطول بكثير من ليالي النابغة، انها على عكس ليالي الحب والهوى .

والمريض حتى ذاك العزيز على قلب ذويه ينقل شلل الفكر اليهم ان الناس يتبرمون بالمريض ، واذا كانوا انسانيين تبرموا بالمرض ، اما عيادة المريض فسخرة ، وطاقة الورد يؤثرونها للعرائس ، والعياذ بالله اذا كان المريض على ثراء والوارثون على عوز !

ثم اعلم ان المرض علة اجتماعية اذ انه يعطل النتاج فكل مريض فم فاغر ومعدة عالة .

وتذهب جماعة المتفائلين الى القول ان المرض يفتق العبقريات فلولا داء الزهري مثلا في الفيلسوف الالماني نيتشه لما طلع للبشر بفلسفته المضطربة ولولا عمى ابي العلاء لما كانت لزومياته وسقط زنده ولولا سل الرئة عند الفرد دي موسه لما حمل الاخطل الصغير على تعريب شعره

اما مركب النقص فهو مرض ايضا . يحسه الرجل المعتل اكثر مما يحسه الرجل السليم لانه يحس بانه دون الاصحاء صحة وعقلا واطمئنانا ولذة وقدرة ، فتلعب الانانة دورا خطيرا في حياته ، الانانة السلبية وهي غير عاطفة الحسد. ان الحسد يداوى بالكد في سبيل اللحاق بالمحسود ولكن انانة المريض اغتباط لا يقوده الى الشفاء..

والقلق الفكري وحالة المرض صنوان متلازمان بل هما حلقة مفرغة فالمرض يقلق ، والقلق يمرض وقديما كان العلاج بالاستهواء .

هذا وان كل مخلوق مريض في فترة من فترات حياته ذلك ان في جسم المرء عضوا اضعف من سائر الاعضاء ، وهذا العضو تفضحه الاعضاء القوية .

واخيرا فان الكون باسره مستشفى فالجروم مستشفى مرض الضغط الدموي ، والبحار مستشفى الامراض الجلدية ، والمدارس مستشفى الجهل ، وميادين الحروب مستشفى تكاثر النسل ، والخمارة مستشفى التعساء، حتى الحدائق العامة فانها مستشفى الاطفال والعجاز

ان الكون بجملته مستشفى ، والحياة جميعها مراحل امراض ، والارض ومن يمشي عليها تراب فوق تراب ، وهذه المقالة كتبت في حالة اعتلال الفكر .

توفيق وهبه

الثلج

لعدنان مردم بك

تساقط من حالق والرياح   كثكلى لها من شجون نواح
تهاوى كذات جناح هوت   عن الوكر مثخنة بالجراح
ورفرف يبسط في عاصف   جناحا ويطوي لذعر جناح
ترى الثلج يخفق عند الهبوط   خفوق ابن جنب لوقع الصفاح
وتبصر بين تلافيفه   صفاء الغدير وطهر الصباح
واثباجه لجج من لجين   تهاوت بساح وماجت بساح
ويشجيك منه سقام امرىء   طليح ورعشة أيد شحاح
صحائف للثلج منشورة   على الارض ملء الربى والبطاح
تطالع كل طريف بها   عن الناس في الزمن الغابر

*

وراحت يد للصبا تغزل   من الثلج أفواف برد قشيب
تخال الضحى بين طياته   يموج بسحر ويهمي بطيب
وتحسب بالنجم أفوافه   تشع سنا بالبريق العجيب
تغطت به الارض واستسلمت   الى النوم مجهدة من لغوب
ونامت على ضجر تحلم   بدفء الضحى في الربيع الخصيب
وللدوح اغفاءة من فتى   مريب وأشجان صب كئيب
هوى رازحا تحت أشجانه   كشيخ هوى تحت عبء الخطوب
مطارف الثلج منشورة   بايدي الصبا في الفضاء الرحيب
تحاكي شراعا بجنح الدجى   تململ من عاصف ثائر

تخال الطبيعة في موكب   بهيج السنا بالكساء الانيق
وتبصر فيها عروسا زهت   بثوب مهيب وقد رشيق
تبرجت الارض في أبيض   من الثلج يحكي بياض الشروق
وتلقى الرياض بأفوافها   تمايل تيها بوجه طليق
كأن الربيع بها ناشرا   مطارفه في الفضاء السحيق
وأعلامه في الربى رفرفت   بقادمة من جناح المشوق
وتحسب ما ماج فوق الثرى   من الثلج امواج لج عميق
وتحسب ما نثرته الصبا   فراشا بليل اضل الطريق
يرفرف من حيرة ضاربا   جناحيه في دهشة الحائر

أراك تشيحين في لوعة   وللحزن عاصفة في الصدور
والمح في مقلتيك الاسى   أطل بمخلب ليث هصور
ووجهك منقبض كالدجى   به من شجون الليالي سطور
وقفت تطلين من كوة   بقلب جريح وجفن ضرير
وحلقت في أفق مظلم   بقادمة من جناح كسير
فلم تبصري من فتون الحياة   سوى ظلمة الليل عند القبور
شجاك من الثلج ما صورت   يد الشك من سوء ليل المصير
ذكرت به الشيب في لوعة   فجاشت دموع وغصت ثغور
وخلت مطارفه في الربى   حكت كفنا من أسى ظاهر

دمشق

أرتك الوساوس لمع الضحى   بهيم دجى عاصفا بالقتم
وما العيش الا الذي ابدعت   يد الوهم من صحة او سقم
ودنياك ما أنت صورته   من الامل الحلو او من الم
رايت من الثلج فوق الربى   كاكفان ميت طواه العدم
واشجاك لون له كالمشيب   اطل بفود عجوز هرم
وما القبح للثلج بل للنفوس   بما نسجت من بهيم التهم
هل الثلج غير رؤى فتحت   بصدر السماء ورجع النغم
على صفحتيه يطل الربيع   مدلا ويعصف تيها كيم
والمح في الثلج طهر القلوب   وما شع من امل زاهر

*

حول مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين

بقلم يوسف اسعد داغر

ο ⊙ ο

لقد قيض لنا ، كما قيض لفريق كريم من ابناء الدول العربية ، ان نحضر الى جانب وفود الدول الغربية العديدة ، مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع والعشرين ، المعقود في مونيخ من ٢٨ آب الى ٥ ايلول الماضيين ، وان نساهم ، قدر الطاقة باعماله ونشاطاته . ولما كان هذا المؤتمر ، حادثا ثقافيا وعلميا خطير الشان والاثر تجاوز بتأثيره ووقعه ، المكان الذي عقد فيه ، والدولة التي هيأت له الاسباب ودعت اليه ، والاشخاص الذين نهضوا بأعماله ــ الى مجالات ارحب واوسع ، واجواء اشمل وابعد ، وامكانيات اوحى لنا واخصب ، رأينا لزاما علينا ، ان نحمل الى قراء مجلة « الاديب » الغراء ، شيئا من قسمات الصورة التي تبلورت في نشاط هذا المؤتمر واعماله . فيتتبعون من خلال هذه السطور ، بعض وجوه النشاط العارم الذي انماز به مؤتمر مونيخ الاستشراقي الاخير وشيئا من اعمال وفود الدول العربية التي تمثلت في المؤتمر المذكور ، ووفود الدول الغربية الاخرى ، وما القي فيه من الابحاث والمحاضرات التي تناولت في مجملها ، معظم مظاهر الحضارات والمدنيات الشرقية ، قديمها وحديثها على اختلافها . بين فكرية وثقافية وفنية ودينية وغير ذلك .

كلمة عامة في الحركة الاستشراقية

الاستشراق لغة ، مصدر استشرق ، وزان : استفعل ، اي طلب الشرق ومال اليه ، واتجه منه وحدب عليه . واصطلاحا حركة علمية، دولية، عالمية، عنيت ولا تزال تعنى، بدراسة المدنيات الشرقية . وبما اندرس من مظاهرها وما استقر وبما تمثله هذه الحضارات من قوى روحية وآثار فكرية ، وادبية ، وفنية ، ومذاهب ومدارس ، وبرامج ومناهج ، وبما الى ذلك كله من اثر ظاهر ناطق ، شاهد على ما تبدى من مظاهر الحياة ، في بلدان آسيا وافريقيا . خليق بان نحييه نشرا وطباعة ، ونميزه صورة وروحا ، ونبعثه قلبا وقالبا .

فالمستشرق ، والحالة هذه ، هو من جمع بين الانقطاع الى درس بعض نواحي المدنيات الشرقية ، قديمها وحديثها، دانيها واقاصيها ، وبين الوقوف على القوى الروحية والفكرية والدينية التى تفاعلت معا وانفعلت ، بعضا ببعض ، فادت الى تكوين الثقافة الانسانية . فهو ، الى هذا ، من تعاطى درس هذه الحضارات في شتى مظاهرها ، ومن امكنه ان يقدر شأن العوامل المختلفة ، التي تضافرت معا واسهمت في طلوع المدنيات القديمة .

وهذه الحركة العلمية الشاملة التي تتناول مظاهر حضارات الشرق ومدنياته ، هي قديمة العهد ، قدم الاتصال بين الشرق والغرب والعكس بالعكس . فقد مرت على الحركة الاستشراقية اطوار وادوار، اصارتها على ما هي عليه اليوم من شمول واتساع ، واطلاق ودولية ، ومن احياء وتتبع ، ونشر وطبع ، ودقة وتقص .

واخذت هذه الحركة العلمية تتطور سريعا ، خلال الاحقاب التاريخية التي درجت عليها ، سيرا مع سنة الرقي والنشوء ، وتطور اسباب البحث العلمي على شرائط حازمة من الدقة والاصالة الناهضتين على الوثيقة الاصيلة، وظهور وسائل وذرائع علمية جديدة ، فيها من دهاء الكشف والتظهير والجلاء ، ما يفتح امام العقل مجالات رحبة للنظر والمقارنة ، والتحليل والمعارضة . وقد اشتدت هذه الحركة اوارا واضطراما ، بظهور عصر الانبعاث العلمي في الغرب ، في اخريات القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر ، والاقبال فيه على الدراسات الكتابية وما تقتضيه من دراسات تاريخية ، لغوية ، السنية ، ومعارضات ومقارنات، والحاجة البادية في التعرف الى بلدانية الاقطار الشرقية وجغرافيتها التي كانت مهدا لهذه الحضارات ، فحفظت بين ثنايا تربتها ، ومطاوي صخورها وجبالها ووهادها ، ومجاريها المائية ، ومسالكها البرية والنهرية ، الشيء الكثير مما تفتحت عنه هذه المدنيات المتدافعة وآثارها الناطقة .

واشتدت الحركة نشاطا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، مع طلوع الدول الكبرى في الغرب واخذها بناحية ثورة صناعية علمية واقتصادية عارمة، ناهضة على اسس مكينة من العلم المؤصل ، وبروز مطامعها الاستعمارية فخلصت تدريجيا مما علق بها من نوازع وشبهات دينية شابتها من قبل ، ليحل محلها اغراض ومآرب توسعية ، سياسية ، اقتصادية ، شعبية ، الى ان اصبحت هذه الحركة العلمية ، في القرنين التاسع عشر والعشرين ، تيارا زاخرا رسخت اصوله ، واعرقت عميقا ، وزكت مذاهبه ، وتعددت روافده ، واستبطرت مجاريه في عواصم الممالك الغربية ، الكبيرة والصغيرة ، منها على السواء ، الى ان عمت دور العلم الكبرى وما اليها من جامعات ومعاهد وكليات . وقامت ، تباعا لذلك ، مؤسسات ومنظمات ، تعمل بهدي الحكومات وارشادها وتشجيعها المادي والادبي ، في كل ما يؤول الى تقوية هذه الحركة ، والتنقية لها ، والتمكين لاصولها والترسيخ لجذورها ، وذلك بالعمل على الاحياء العلمي للتراث الشرقي ، او باقامة المعارض العامة والمتحفات التي تغص بالدرر الغوالي ، التي تخلفت عن هذه الحضارات والمدنيات في ابهى ادوارها وازهى اطوارها ، كما نشطت لاقامة المؤتمرات الدولية لها ، دورا بعد دور ، ويحضر هذه المؤتمرات المستشرقون على مختلف اختصاصهم ، من

مستعربين ومستحضرين ، ومستتركين ومستسامين ، ومستحبشين ومستهودين ومستعجمين ومستهندين ، الى غيرهم ممن استبحروا بالدراسات الامهرية والبربرية ، والاندسية والبوزنطية ، والصينية واليابانية . فيتوافدون من مشارق الارض ومغاربها ، ليكهنوا للعلم والمباحث الاستشراقية ، يبحثون فيها ويعارضون ، ويناقشون ويجادلون ، ويستعرضون وجوه الراي في ما جد عندهم من كشف مثير وراي خمير ، وفكر رحيب ، واقتراح خصيب . وينتظم هذا الرهط الكبير من العلماء المنقطعين للدراسات الشرقية على اختلاف مناحيها في عقود جمعيات علمية ، وطنية او دولية ، لها مراكزها ونواديها ، ومكتباتها الخاصة ومجلاتها العلمية المرصودة على المباحث المشرقية ، فيساهم اعضاؤها الكثيرون ، بين مقيمين ومراسلين ، متضامنين معا متضافرين ، في اصدار منشورات علمية تعمل في تظهير الرميم من عاديات تمت بسبب اصيل ، الى تلك الحضارات الدارسة ، في مختلف النواحي التي تفتحت او تتفتح عنها حيوات الشعوب والاقوام والافراد في اقطار الشرق الادنى ، والاوسط والاقصى .

مؤتمرات الاستشراق

ونهوضا بهذه الحركة العلمية التي لا تألو جهدا في نبش معالم الحضارات الشرقية الغابرة ، قام المستشرقون، فرادى وجماعات ، ينظمون منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، مؤتمرات دولية يعقدونها دوريا ، كل سنتين او ثلاث بالاحرى في احدى عواصم الدول الغربية او في حواضرها الكبرى ، يؤمها المئات من العلماء الاعلام ، فيستعرضون في حلقات ودوائر واقسام محددة معينة اخر ما استجد من التطورات التي طرات على المباحث الاستشراقية ، منذ المؤتمر السابق ويبحثون المشكلات العديدة التي تعترض سير البحث العلمي كما يبحثون الوسائل والنظم القمينة بادخال التحسينات على هذه الدراسات ، ويضعون في هذا السبيل الخطط التي تمكن للنهوض بهذه الحركة العلمية على اصول ومناهج جديدة ، ويناقشون الاراء والاقتراحات التي تلقى في اعمال المؤتمر كل ذلك على ما يتصف به البحث العلمي عندهم من الحرية التامة ، والاستقلال في الراي . كما يفهمها العلم الحديث. وهذه الدروس والبحوث ، والبيانات والكشوف التي يتبلور عنها نشاط المؤتمر ، تجمع وتنشر في مجاميع خاصة ، تعرف عندهم بـ « اعمال المؤتمر » ، يتالف من جماعها اليوم ، مجموعة ثمينة من الاصول وامهات المراجع ، هي من اوثق الاسانيد لمن يبغي الاستبحار في مجاهيل الاستشراق ، وتتبع سير هذه الحركة العلمية في الغرب . كذلك بنشر الكثيرون من اصحاب هذه المباحث ، ابحاثهم في المجلات الاستشراقية الكبرى .

وهذه المؤتمرات ، تعقد عادة على فترات معينة في عاصمة او قاعدة من عواصم الدول الكبرى وقواعدها الرئيسية . وقد بلغ عددها جميعا ٢٤ مؤتمرا عاما ، اخرها مؤتمر مونيخ موضوع هذه الكلمة ، والذي كان لنا شرف الدعوة اليه والمساهمة باعماله .

وها اننا نضع تحت انظار القارىء الكريم ، بيانا مفصلا بهذه المؤتمرات ومواقع انعقادها وتاريخها ، واهم اعمالها ، والمنشورات التي انبثقت عنها وعدد مجلداتها .

الرقم	المدينة	التاريخ	الناشر	المجلدات
١	باريس	١٨٧٣	له رو	مجلدان في ٣ اجزاء
٢	لندن	١٨٧٤		؟
٣	بطرسبرج	١٨٧٦	بريل،ليدن	٣ مجلدات
٤	فلورنسا	١٨٧٨	فلورنسا	مجلدان
٥	برلين	١٨٨١		جزآن في ٣ مجلدات
٦	ليدن (١)	١٨٨٣	بريل	٤ مجلدات
٧	فيينا	١٨٨٦	فيينا	٥ مجلدات
٨	ستوكهولم وكريستيانا	١٨٨٩		٣ مجلدات
٩	لندن	١٨٩٢		مجلدان
١٠	جنيف	١٨٩٤	بريل	٣ مجلدات
١١	باريس	١٨٩٧	له رو	٧ مجلدات
١٢	روما	١٨٩٩	فلورنسا	٤ مجلدات
١٣	همبورج	١٩٠٢	بريل	مجلد واحد
١٤	الجزائر	١٩٠٥	له رو	٤ مجلدات
١٥	كوبنهاغن	١٩٠٨	جريب	مجلدان
١٦	اثينا (٢)	١٩١٢		؟
١٧	اكسفورد (٣)	١٩٢٨		؟
١٨	ليدن (٤)	١٩٣١	بريل	مجلد واحد
١٩	روما	١٩٣٥	فلورنسا	؟
٢٠	بروكسل	١٩٣٨		؟
٢١	باريس	١٩٤٨		؟
٢٢	ستانبول	١٩٥١		
٢٣	كمبريدج	١٩٥٤		
٢٤	مونيخ (٥)	١٩٥٧		

اهمية مؤتمر مونيخ الاستشراقي

يؤلف مؤتمر مونيخ الاستشراقي الحلقة الرابعة والعشرين في سلسلة مؤتمرات المستشرقين الدولية . فقد عقدوا اول مؤتمر لهم ، في باريس ، عا م١٨٧٣ ، كما عقدوا ما قبل الاخير منها ، وهو الثالث والعشرون في هذه السلسلة ، في جامعة كمبريدج ، في انكلترا ، عام ١٩٥٤ .

ويرى الكثيرون ممن توافروا على حضور مؤتمرات المستشرقين الاخيرة ، ان مؤتمر مونيخ هذا ، هو اهم هذه المؤتمرات على الاطلاق ، فقد بلغ عدد اعضائه نحوا من ١٥٧٠ عضوا اتوا من جميع اطراف العالم : شرقا وغربا ، قبلة وشمالا .

---

(١) ـ راجع فيه المقتطف مجلد ٨ (١٨٨٤) : ٢١٧ و٢٨٥

(٢) ـ راجع فيه المشرق ١٥ : ٤٠٢ ـ ومجلة الاثار لعيسى المعلوف ٢ : ١٦ ـ والحسناء لجرجي باز ـ ٣ : ٣٧٣ ـ ولغة العرب للكرملي ، ٢ : ٢٢

(٣) ـ راجع فيه المشرق ٢٦ : ٢٨

وقد القي في مؤتمر مونيخ ، خلال الايام الخمسة التي استغرقها نشاطه ، من البحوث والمحاضرات ما بلغ ٤٤٧ محاضرة او بحثا ، في شتى نواحي العلوم الاستشراقية توزعت بين دوائر المؤتمر وفروعه العامة الاربعة عشر . وهي مادة علمية ضخمة اتصف اصحابها بالتتبع والتقصي ، وامتازت على الاجمال ،بالتركيز والتخثير ، سيجري نشر معظمها ان لم نقل كاملة فمجتزاة ، في ما يسمونه « اعمال المؤتمر » .

كذلك امتاز المؤتمر بحسن اعداده وتنظيمه . فقد وزعت رقاع الدعوة اليه ، سنة قبل انعقاده . فقد بلغتني الدعوة للمؤتمر ، قبل افتتاحه بسنة تماما ، اي في ٢٧ اب ١٩٥٦ ، مع العلم ان مؤتمر مونيخ ابتدأ ٢٨ آب ١٩٥٧ وبهذه المناسبة اود هنا ان انوه ، من قبيل المقارنة والمفاضلة ان مؤتمر ادباء العرب الثاني ، الذي عقد في بلودان ، في غرة ايلول ١٩٥٦ ، حبل به في جو من الفوضى ، ورأى النور على لفحات لاهبة من رياح السياسة والحزبية والفوضى ولم توزع رقاع الدعوة على اصحابها وطالبي الاشتراك به ، سوى يومين او ثلاثة قبل انعقاده . كل هذا أضفى على مؤتمر مونيخ ، جوا من الجلال والاجلال ، والاحترام ، والتقدير ساعد جديا على انجاحه ونجاحه ، وهي صفات لا بد ان تطبع وتخصب كل مشروع ، دوليا كان ام اقليميا تتخذ العدة اللازمة لاعداده وتأمين نجاحه الى اقصى حدود النجاح ، على هدي من العلم ، وحاجاته ومقتضياته ، وحملته وتياراته ، في جو من التنسيق والتنسيب والمناغاة .

وفود الدول الشرق الاوسطية

اشتركت باعمال هذا المؤتمر معظم دول العالم . فجاءته الوفود من اليابان شرقا الى مشارف كاليفورنيا غربا ، ومن الاتحاد السوفياتي شمالا ، الى سواحل المغرب الاقصى جنوبا . فبلغ مجموع من حضروه ، ١٧٥٠ عضوا ، مثلوا الدول المشتركة ، والمؤسسات العلمية والمعاهد الثقافية على اختلافها : من جامعات وكليات ومكتبات وطنية ، باستثناء نفر قليل منهم جاء المؤتمر على نفقته الخاصة ، وكان صاحب هذه السطور في عداد هذا الفريق . فقد جاء :

من مصر : الاساتذة : سليم حسن — مراد كامل — عبد العزيز مرزوق — امين الخولي وزوجته بنت الشاطىء — الدكتور يحيى الخشاب — عبد العزيز برهام — عبد القادر القط — الاب جورج قنواتي — الدكتور ايوب . ومثل الجامعة العربية فيه الدكتور صلاح الدين المنجد ، مدير معهد الخطوط العربية في الجامعة العربية . كذلك اوفد المؤتمر الاسلامي في القاهرة ، السيدة سعاد ماهر ، لعرض فيلم عن الاثار الاسلامية .

من لبنان — موريس شهاب ، مدير الاثار في لبنان — الاب اغناطيوس عبده خليفة اليسوعي ، مدير مجلة المشرق — والاب فلايش ممثلان لجامعة القديس يوسف في بيروت — ويوسف أسعد داغر ، صاحب هذه السطور — والانسة ليلى شاهين — عدا عن بعض طلاب لبنانيين يتخصصون في الجامعات الالمانية .

من سوريا : الاساتذة : امجد الطرابلسي وعادل العوا ممثلان للجامعة السورية . وجاء من باريس المنسنيور جوزف نصرالله المعروف بابحاثه التاريخية .

من العراق : الاساتذة : صفاء خلوصي — صالح احمد علي — مير بصري — مشكور الاسدي .

من تونس : حسن حسني عبد الوهاب ، مدير الاثار في تونس — السيد المطالبي — السيد خميري .

من المغرب الاقصى : وزير المعارف والسيد محمد ابرهيم الكتاني .

من ايران : تألف الوفد الايراني من نحو عشرة اساتذة برئاسة الدكتور سعيد نفيسي مدير الاكاديمية الايرانية في طهران .

من اسرائيل — تألف الوفد الاسرائيلي من ستة اعضاء يمثلون الجامعة العبرية فيها.

من تركيا : كانت تركيا ممثلة في مؤتمر مونيخ بوفد كبير منتقى من كبار الاساتذة في الجامعات التركية ومكتباتها الكبرى .

من الكويت : السيد ابراهيم رزق ممثلا لشركة نفط الكويت — وبدر خالد البدر .

وقد استغرب الكثيرون غياب الجامعة الاميركية في بيروت عن المؤتمر . فلم نر ان الجامعة عنيت بتعيين من يمثلها في هذا المؤتمر ، كما اننا لم نر احدا من اساتذتها يحضر المؤتمر ويشارك باعماله مع ان الوسائل المادية متوفرة لديهم .

وقد يكون اعراض الجامعة الاميركية عن الاشتراك بهذا المؤتمر الاستشراقي العظيم مرده اصلا ، الى الاسباب والنوازع التي جعلت مكتبة الجامعة من قبل تستهين بامر الحصول على سلسلة « اعمال المؤتمرات الاستشراقية » ولا تعني نفسها بالحصول عليها ، مع ان من بين اساتذة الجامعة المعنيين او من عنوا ، من قبل بتزويدها باصول البحث وامهات المصادر ، من يقدر عاليا قيمة هذه المجموعة الثمينة التي تعد بحق اصلا من اصول تاريخ الحركة الاستشراقية في العالم .

سقنا ما سقنا من ملاحظة عابرة هي صدى استهجان

---

(٤) — راجع فيه مجلة الاثار ٥ : ٤٥٢ — ومجلة الكلية ١٥ : ٨١ — ومجلة العرفان ١٨ : ٣١٢٢ — ومجلة لغة العرب ٦ : ٥٥٥ و٩٧٤ — ومجلة السياسة الاسبوعية ، عدد ١٣٢ : ١٧ .

(٥) — وقد رأينا بهذه المناسبة ، بعد ان اعددنا هذا الثبت الكامل لمؤتمرات المستشرقين ، ان نتبين ما تملكه مكتبات بيروت الكبرى الثلاث ، من اصل هذه المجموعة الطيبة من مجموعة اعمال مؤتمرات الاستشراق . وبعد مراجعة فهارسها البطاقية ، ظهر لنا ان مكتبة الجامعة الاميركية لا تملك سوى اعمال مؤتمر الجزائر (١٩٠٥) لا غير وقد جاءت في ٤ مجلدات ، وان دار الكتب اللبنانية ، تملك اعمال مؤتمرين لا غير انما مخرومين . اما المكتبة اليسوعية (المكتبة الشرقية) فتملك القسم الاوفى من مجموعة اعمال مؤتمرات الاستشراق ، وهي الواردة في سلسلة الارقام تحت رقم ٤ — ٦ — ٧ — ١٠ — ١١ — ١٤ — ١٥ — ١٦ — ١٨ — ١٩ — ٢١ — ٢٢ . وكم كنا نتمنى لو نستطيع ان نتبين ، ما تملكه مكتبات مصر من هذه المجموعة ، كدار الكتب المصرية ومكتبة كلية الاداب في جامعة القاهرة ، وشقيقتها في الاسكندرية ؟ فعسى ان تكون اسعد حالا من الجامعة الاميركية .

البعض لتغيب الجامعة الامريكية في مؤتمر مونيخ حرصا منا على ما تتمتع به من طيب الاحدوثة وسرعة المبادرة الى الاسهام بمثل هذه المؤتمرات . ولعل لها بعد هذا وذاك ، عذرا في الامر .

الوفود الدولية الغربية

تمثلت في مؤتمر مونيخ الاستشراقي معظم دول العالم في الشرق والغرب فارسلت لتمثيلها ابرز ما لديها من رجال الاختصاص في حقول الاستشراق على اختلافها. فقد برز في المؤتمر الوفد الالماني لكثرة افراده ولشهرة رجال الاختصاص بينهم . فليس في الامر من غرابة قط ، والمانيا هي الداعية اليه . فلا غروى ان يتوافد المستشرقون الالمان ، من كلا شطري المانيا الشرقي والغربي الى حضور المؤتمر ويساهموا على قدر عال باعماله ونشاطاته .

وهنالك وفود قوية جدا امت المؤتمر ، ممثلة بالوفد الاميركي ــ والبريطاني ــ والفرنسي ــ والايطالي والاسباني ولعل ابرزها كان ، في نظر البعض ، وفد الاتحاد السوفياتي الذي تألف من ٢٤ عضوا اذ برز كتلة واحدة او وحدة متراصة ، نزلت بهيئاتها الكاملة في اوتيل اضخم اوتيلات مونيخ واغناها ، بينما اعضاء الوفود الاخرى تفرقوا ، ايدي سبا ، بين شتى الفنادق فلم تبرز وحدتها وحدة متراصة . وقد حرص الروس على ايلاء رئاسة وفدهم ، الى السيد غفوروف ، وهو مسلم اوزبكستاني ، يراس معهد الدراسات الاسلامية في موسكو ، واحد الاخصائيين الثقاة بالدراسات الايرانية، وعضو اكاديمية العلوم في موسكو

دوائر المؤتمر وفروعه الرئيسية

تقاسم نشاط المؤتمر والمؤتمرين ، ١٤ فرعا رئيسيا، فانتسب الاعضاء المسجلون الحاضرون ، الى الفرع الذي يمثل نواحي اختصاصهم . وهذه هي دوائر المؤتمر الرئيسية : الاثار المصرية ــ علم العاديات العام ــ الدراسات الكتابية ــ تاريخ الشرق البوزنطي ــ الشرق المسيحي ــ الدراسات السامية ــ الدراسات الاسلامية ــ الدراسات العبرية ــ الدراسات التركية ــ الدراسات الايرانية ــ الدراسات الهندستانية ــ الاسيوية الاوسطية ــ الالتائية ــ الملايوية ــ الصينية ــ اليابانية ــ الدراسات الافريقية .

وقد وضع لكل فرع عام من هذه الفروع ، برنامج عام ، حددت فيه المحاضرات والابحاث باوقاتها ومواعيدها ، والحالات الموقوفة عليها في الجامعة .

لغة المؤتمر

كانت ابحاث المؤتمرين تلقى بالالمانية والانكليزية والفرنسية وندر من القى بحثه او محاضرته بغير هذه اللغات وكانت الالمانية اللغة الغالبة ، الامر الذي جعل معظم الوفود يتمنون لو جرى تلخيص المحاضرات بالفرنسية او الانكليزية

تيسير العمل وتوفير المعلومات اللازمة

اربى عدد اعضاء المؤتمر على ١٥٠٠ عضو . فقد اعدت اللجنه المشرفة على تحضيره ، اضبارة من الورق المقوى — بشكل كيس يسهل حمله ونقله باسم كل عضو من الاعضاء ، زودته ببطاقة الانتساب ، وبعدد عديد من المطبوعات والكراريس في اغراض شتى كخريطة المدينة ، ومخطط للجامعه وكشوف ترفل بالعديد من الفوائد والمعلومات تتعلق ببيان ما في المدينة من اوتيلات وفنادق، وبنسيونات ، ومرابع ومقاه ، ودور سينما ومسارح ومنتزهات ومعاهد علمية ، ومتاحف ومكتبات ، وغير ذلك من المؤسسات الثقافية ، والفنية ، والتربوية ، التي يرغب الاعضاء بزيارتها او التعرف اليها .

وبين هذه المجموعة ذات الطابع الاستعلامي او الاخباري التي زود بها كل عضو من اعضاء المؤتمر ، برنامج عام لاعماله ووقائعه وجلساته ، فيه بيان الفروع الاربعة عشر الكبرى التي يتفرع اليها المؤتمر . مع ذكر رئيس كل فرع من هذه الفروع وتفصيل المحاضرات والابحاث التي تلقى فيه يوما بعد يوم بمواعيدها المحددة ، قبل الظهر من كل يوم وبعده ، واسماء الاعضاء المسجلة الذين اشتركوا باعماله ، مع ذكر عناوينهم الدائمة . والبرنامج المذكور يحمل في قسمه الاخير بيانا باهم دور النشر الاستشراقية في الغرب . وليس في هذا القسم اسم او ذكر لدار واحدة من دور النشر في العالم العربي على الاطلاق، رات ان تعلن عن نفسها او عن احدث منشوراتها . وقد كانت فرصة طيبة للاعلان والتعريف بالجهود التي تبذلها حركة النشر العلمية في البلدان العربية .

ومن بين محتويات هذه الاضبارة كتاب اعد خصيصا بهذه المناسبة ، ضم مقالات مركزة حول عدد من ابرز المعاهد الثقافية والفنية في مونيخ ، اعدها علماء يعملون في هذه المعاهد ويشرفون على توجيهها . وفي الكتاب المذكور بحث طريف قيم للدكتور بوير عن القسم العربي في مكتبة مونيخ الوطنية ونموه المطرد ، واهم الاصول والمراجع التي زيدت على مجاميعها في السنوات الاخيرة .

حفلة افتتاح المؤتمر

افتتح المؤتمر اعماله بحفلة رسمية تمت بمنتهى الروعة والجلال ، عند الساعة العاشرة والربع من صباح نهار الاربعاء الواقع فيه الثامن والعشرون من اب الماضي ، في بهو الجامعة الكبير ، واستمرت زهاء ساعتين وقد قدر بعضهم عدد من حضر حفلة الافتتاح بما لا يقل عن الفي شخص

ابتدات حفلة الافتتاح وانهيت بقطعة موسيقية تحت اشراف الموسيقار ج. ف. هندل ، عنوانها « تيودورا » .

وافتتح الكلام السير رالف ترنر ، مدير مدرسة اللغات الشرقية والدراسات الافريقية في لندن ورئيس مؤتمر كمبريدج الاستشراقي السابق . فبعد ان رحب بالوفود وتمنى لهم التوفيق غادر كرسي الرئاسة مفسحا المجال لرئيس المؤتمر الحالي في مونيخ : الدكتور ارنست والدشمدت . فالقى بالالمانية ، خطابا طويلا ، بين فيه بايجاز ، اهم الاعمال التي قام بها المؤتمر السابق برئاسة السير رالف ترنر ، كما تبسط بوصف وتعداد فوائد الحركة الاستشراقية والمع الى اهم وجوه الاستشراق الالماني منوها بخدمات شيخ مستشرقي الالمان المرحوم بروكلمان الذي توفي من سنة ونصف ، مناشدا الحضور الوقوف تكريما لاسمه وذكره واشادة بفضله . وقد تبرم بعضهم من الاستطاعة في الكلام والخطابة ، فانقطع التيار الكهربائي صدفة واتفاقا . فكان هذا الانقطاع نذيرا بوجوب الايجاز وقد تعاقب على الكلام بعده سكرتير الدولة في الحكومة الالمانية ، ثم وكيل وزارة المعارف ، ثم رئيس بلدية مونيخ — فرئيس جامعتها : الدكتور فريدريك كلينجر ، فالدكتور ارنولد كونست ، ممثلا للامم المتحدة في المؤتمر والمشهور عن الدكتور كونست انه من كبار الاخصائيين في الدراسات الهندستانية .

مركز المؤتمر وجوه

عقد المؤتمر في جامعة مونيخ الشهيرة هذه الجامعة التي اشتدت عليها وطأة الحرب الاخيرة فنالت منها في الصميم ودكت قسما كبيرا من كلياتها ومبانيها ، الا ان الالمان ، بما عرف عنهم من نشاط عارم ، وحزم جميل ، وجلد جليد ، وقوة ايمان ، قد تمكنوا من اعادة جامعة مونيخ الى سابق عزها وان يزيلوا عنها كلوم الحرب واثر الخراب وندب الجروح .

وتعد جامعة مونيخ من اكبر واعرق الجامعات الالمانية على الاطلاق وتعرف باسم جامعة لويس مكسيمليان . ويعود تاسيسها الى عام ١٤٧٢ ويبلغ عدد الطلاب فيها نحوا من ١٤ الف طالب . فيها عدد كبير من الكليات العامة اهمها : كلية الدين واللاهوت ، كلية الحقوق ، كلية الطب ، كلية الطب البيطري ، كلية الفلسفة ، كلية علوم الاقتصاد السياسي ، كلية العلوم الطبيعية ، عدا معاهد عليا للتخصص في الموسيقى والفنون التصويرية والسمعية وغير ذلك .

مونيخ غنية بمتاحفها ومؤسساتها الثقافية ويتفرد البعض منها بمجاميع فنية وعلمية وثقافية غنية للغاية .

وقد نظمت هذه المؤسسات بهذه المناسبة معارض خاصة دامت ما دام مؤتمر مونيخ الاستشراقي منعقدا ، وذلك جذبا للزائرين واستجلابا لانظارهم وانتباههم . فقد اقيم في مبنى — الا بالاحرى قصر — مكتبة مونيخ الاهلية معرض فني عرضت فيه روائع المخطوطات الشرقية التي تزخر بها خزائنها الفنية . قلت في « قصر » مكتبة مونيخ ، تاكيدا وتشييدا منا للعناية البالغة التي يرفل بها الكتاب في الغرب ، والمحل اللائق الذي يحلونه فيه ، والبذل الكريم الذي يسخون به عليه ، والتقدير الذي يلاقيه بين القوم هنالك ، والصحة التي يجرع بها ، ويترع . وكانت ابواب المكتبة مفتوحة للزائرين من الصباح الباكر حتى ساعة متاخرة من الليل بحيث لا تفوت زيارتها من يرغب فيها من الزائرين عامة ، ومن اعضاء المؤتمر خاصة .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، نقول ان مكتبة مونيخ الاهلية تقع من الرقم ٢٣ من شارع لودفيغ مقابل الجامعة وهي مكتبة كبرى من اغنى مكتبات المانيا ومن احفلها

بالكتب ، تأسست عام ١٥٥٨ ، ويبلغ عدد ما فيها من الكتب مليونين من المجلدات بمختلف اللغات وشتى الموضوعات . ويتولى ادارة المكتبة الدكتور هوفمان ويقوم على القسم الشرق الاوسطي فيها الدكتور بوير وهو مستعرب ضليع . وفي المكتبة من الرسائل والاطاريح العلمية ما يزيد عدده على ٥٠ الف اطروحة علمية ورسالة .

ولعل ما تتصف به مكتبة مونيخ الوطنية وتتفرد به عما سواها ، مجموعتها الفنية من « بواكير الطباعة » او « محاميل الطباعة » Les Incunables وهذا التعبير يطلقه علماء الكتب والبيليوغرافيون ، على ثمار الطباعة وهي بعد في المهد، اي بين ١٤٥٣ و١٥٠١ . فكل كتاب طبع بين هذين الحدين هو من بواكير الطباعة وبالتالي من الدرر الغوالي .

الابحاث التي القتها الوفود العربية

القى رجال البحث واهل الاختصاص ممن توافدوا لحضور مؤتمر مونيخ الاستشراقي ، من البلدان العربية ، عددا طيبا من الابحاث والدراسات المخدومة كان لها وقع طيب لدى المستشرقين في الغرب ، رفعت من مكانة دولنا العربية ، واعلت من شأنها فاستحقت شكر المؤتمر . والى القارىء الكريم اهم هذه الابحاث التي القيت في مؤتمر مونيخ المتمشرق ، من قبل ابناء الاقطار العربية واصحابها.

يوسف اسعد داغر ــ الوضع الحالي للدراسات البيليوغرافية في العالم العربي اليوم (١) .

سليم حسن ــ الحفريات المصرية الحديثة في مدينة اوناس

الاب جورج قنواتي الدومينيكي ــ نص معتزلي لم يسبق نشره من قبل : « المغني في اصول الدين » .

موريس شهاب ــ حفريات عنجر الاخيرة : قصر جديد للامويين في عنجر .

عبد اللطيف الطيباوي ــ مقام رسائل اخوان الصفا في التربية الاسلامية .

الاب اغناطيوس عبده خليفة ــ نص غير منشور لابن خلدون

محمد ابراهيم الكتاني ــ المورد الاحلى في اختصار المحلى و « المقضي المعلى في اكمال المحلى » .

صفا خلوصي ــ القصة القصيرة ومنازعها الجديدة في الادب العراقي الحديث .

صلاح الدين المنجد ــ معهد المخطوطات في الجامعة العربية في القاهرة .

امجد الطرابلسي ــ كتاب « زجرا لنبيه » لابي العلاء المعري ، مخطوط في المتحف البريطاني في لندن .

التفاهم الدولي والتعاون العلمي

لعل من ابرز ما اتصف به مؤتمر مونيخ للاستشراق ، هذا التفاهم الدولي بين المؤتمرين الذي تجلى على اتمه بين هذه المئات من الاعضاء الذين توافدوا عليه من جميع اقطار العالم في الشرق والغرب لينظروا معا في الاشواط التي قطعتها الدراسات الاستشراقية والصعوبات التي تعترض سير هذه الابحاث بنجاح ، والمستجد من التيارات والمذاهب العلمية والنظريات الجديدة ، والابحاث الدقيقة في شتى المجالات المشرقية .

كذلك كان المؤتمر مجالا واسعا للتعارف بين علماء اعلام ، وباحثين متتبعين ، عملوا او يعملون في مجالات متقاربة ، طالما عرفوا بعضهم بعضا عن طريق المطالعة والمراسلة ، فاذا بهم يتلاقون معا وجها لوجه ، على صعيد واحد ويجلسون معا ، جنبا الى جنب ، في قاعات المؤتمر وباحات الجامعة وابهائها .

ثم ان المؤتمر كان كغيره من المؤتمرات الثقافية العلمية الدولية ، فرصة مؤاتية لتبادل الراي بين اصحاب الاختصاص في حقل ما من حقول العلوم الاستشرافية على تنوعها وتباينها ، ولوضع الخطط والمناهج ، ولتهيئة ادوات البحث والتمكين لاصوله واسبابه ، للسير قدما بهذه المباحث على ضوء المستجد من حاجات العلم وشرائط التنقيب على اصول من المنهجية العلمية الاسرة .

وقد تكون معالم التفاهم العلمي والتعاون الدولي قد تجلت في مجالات مؤتمر مونيخ الاستشراقي الاخير اكثر مما تجلت في اي مؤتمر استشراقي سابق ، وذلك بعد ان تفاعل الناس واعتملوا عميقا ، عموديا وافقيا بالدعوة الى التعايش السلمي والتعاون النزيه المتبادل ، على اساس مكين من التفاهم الكلي في امور مشتركة فيما بينهم ، يفيد الواحد فيها من خبرة الاخر ، ويقبس مما تم لغيره من خبرة وحكمة وتجربة ، وبما بذله سواه من جهد كريم مبرور ، صرف في وجه معين اتى بالطيب من الاكل الرطيب والمحصول الخير .

دور النشر الاستشراقية ومعارضها

مؤتمرات الاستشراق هي سوانح مؤاتية جد المؤاتاة، للتعرف بالجديد مما طلعت به المطابع ولفظته دور النشر

(١) ــ ستحرص « الاديب » على نشر هذه المحاضرة القيمة في احد اعدادها القادمة ، مترجمة الى العربية ، بنصها الكامل الذي يقع في نحو ١٥ صفحة مطبوعة على الالة الكاتبة ، وهي بالفرنسية .

في الشرق والغرب من ادوات البحث العلمي . ولـذا راينا دور النشر الكبرى في الغرب تتخذ من هذا المؤتمر يعقد في جامعة مونيخ على مقربة من سكرتيريته العامة ، سوقا تقيم لها السرادقات والقباب ، فتنشيء فيها معارض علمية تحفل باهم المطبوعات الاستشراقية الجديدة .

ومن بين دور النشر الاستشراقية الكبرى التي عرضت مطبوعاتها الثمينة ، دار بريل ، في مدينة ليدن في هولندا، وهي من اقدم واشهر واحفل دور النشر الاستشراقية في العالم . كذلك دار هاراسوفتس ، اكبر واقوى دور النشر الاستشراقية في المانيا ومن اكبرها وانشطها في العالم اجمع . ومنها دار مينرفا في فرانكفورت ، ودار سيروفتش في القاهرة . وقد عرفت دور النشر هذه ان تستفيد من المناسبة السانحة فعرضت على وجوه كثيرة من الاغراء والتشويق ولفت النظر ، ما لها من منشورات علمية في الحقل الاستشراقي ، مما يرغب اصحاب الاختصاص والمكتبات المعنية ، في الحصول عليه .

وترى العديد من المستشرقين في المؤتمر ، يصرفون الساعات الطوال ، في النظر في هذه المطبوعات ويقلبونها راسا على عقب او ظهرا لبطن ، ويتبينون مليا ما هي عليه من عدة العلم واداة البحث وسياقة صارمة . فيشترون ما طاب لهم شراؤه منها او يأخذون بهذا كله ، القيود والمعلومات الدقيقة ، يرجعون اليها عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

والذي نأسف له الاسف الشديد ، هو اننا لم نر دارا واحدة من دور النشر في العالم العربي . تنبري لاقامة جناح خاص بها تعرض فيها مطبوعاتها ومنشوراتها ولاسيما ما يقع منها في ماتى عين المستشرق ومطلبه ورغائبه . والمستشرقون في شبه عطش وجوع لما يساعدهم على الاطلاع على الجديد من المنشورات او المطبوعات الشرقية . وهذا التقصير الفاضح من قبل دور النشر عندنا يجعل الاوساط العلمية والاستشراقية في الغرب ، تجهل الكثير من معالم ومظاهر حركة التاليف والطباعة في عالمنا العربي.

وكم تمنى علي المستشرقون في المؤتمر ، وتشددوا امامي في التمني والحفوا في الطلب ، لو اتفرغ لاعداد نشره دورية ، نصف فيها للمستشرقين بالعربية واحدى اللغات الاجنبية السائرة كما تصف لدور الكتب التي تعنى بالاصول الثقافية ، المستجد من مطبوعاتنا العربية ، وصفا ببليوغرافيا دقيقا ، فيه التعريف الوافي ، وفيه التوجيه المؤصل ، ولو بايجاز ، في تقييم هذه المطبوعات وتثمينها

نحن نعلم ان مؤسسة المطبوعات الحديثة لصاحبها السيد يوسف مشاقة تصدر في القاهرة نشرة شهرية بعنوان « بريد المطبوعات الحديثة » تتولى فيها التعريف باهم الكتب الصادرة عن مجموعته من دور النشر في مصر ولبنان ، هي ولا شك تسد ، بعض الشيء ، رغبات المستشرقين، الى حد ما، ولكنها ابعد من ان تفي بالمطلب المتمنى ، عال الوجه الامثل ، مع العلم ان هذه النشرة تتجه قبل كل شيء في ما تتجه اليه من القارىء العربي ، بخلاف النشرة التي اخذ الدكتور جمال محاسب يصدرها في بيروت ، بعنوان « المكتبة » يعرف فيها ، موزعة الى عشرة اقسام المطبوعات العربية الحديثة .

الدول العربية ومؤتمرات الاستشراق

من دواعي الاسف المرير ، الا تولي الدول العربية بما فيها من حكومات ومنظمات وهيآت ومعاهد ثقافية عالية ، مؤتمرات الاستشراق ، الاهمية التي يجب ان توليها اياها . والدليل على هذه الاعراض وقلة الاكتراث ناهز بارز الاخذ به ميسور وموفور لمن يريد التمثل بذلك وايراد الشاهد عليه . فليست هذه الفرصة بالسانحة الوحيدة التي طالما اهملوا الانتفاع بها والاستفادة من بروزها اسهاما منهم بهذه الحركة العلمية التي ترمي لنبش معالم الحضارات والمدنيات الشرقية والتي يعود تظهيرها بالخير العميم على الشرق قبل الغرب . فاذا ما اتفق ان اهتمت كل او بعض دولنا العربية بمثل هذه الفرص السانحة واقرت الاشتراك في هذه المؤتمرات من باب الدعاوة او من باب رفع العتب ، اوفدت اليها ، في كثير من الاحايين ، من ليس هم في العير او النفير من الحركة الاستشراقية ، او فريقا ضؤل اختصاصه او اقتصر على ناحية ضيقة من نواحي العلوم الاستشراقية .

ونحن نرى من الخير للبلدان العربية ان تهتم دولنا ومؤسساتنا العلمية ، اكثر مما فعلت في الماضي ، بهذه المؤتمرات ، فتوفد اليها بخير الضالعين بالدراسات الاستشراقية ، وبالاختصاصيين الثقاة ، فيشاركون بما يلقون من ابحاث مخدومة ، بالحركة الاستشراقية . فاشتراك الدول العربية والهيآت العلمية العليا فيها ، بوفود قوية ، مشهود لاصحابها بالاختصاص ، والاستبحار بهذه الدراسات يكون خير سفارة للبلد ترفع من شأنه وتعلي من جانبه في الغرب ، بين الاوساط العلمية .

الدول العربية ودعوة الى المؤتمر

كل المؤتمرات الاستشراقية التي عقدت للان ، وعددها ٢٤ مؤتمرا ، عقدت جميعها في الغرب . فلم نر واحدا من هذه المؤتمرات يعقد في عاصمة من عواصم الشرق .

فاذا كان في وضع الدول العربية السياسي في الماضي ، ما يبرر تغاضيها عن دعوة المؤتمر للانعقاد في احداها ، فليس ما يبرر اليوم ، مثل هذا التقاعس او التغاضي ، بعد ان استكمل معظمها اسباب استقلالها ومقومات سيادتها التامة .

مؤتمر المستشرقين القادم

قرر المستشرقون في مجمعهم الاخير في مونيخ، ان يستجيبوا لدعوة الوفد الروسي ، المؤتمر القادم ، أي المؤتمر الخامس والعشرين للانعقاد في الاتحاد السوفياتي، في مدينة لينينغراد ، وذلك في تموز ١٩٦٠ ، فقررت هياة المؤتمر الاقتراح الذي تقدم به الوفد السوفياتي ، فتبنته بالاكثرية .

وبهذا تكون لينينغراد ، بطربسبرج من قبل، من جديد مركزا لمؤتمر المستشرقين الخامس والعشرين ، بعد ان شهدت ، عام ١٨٧٦ ، المؤتمر الاستشراقي الثالث . ومن هنا الى ان يحين موعد مؤتمر لينينغراد القادم ، يخلق الله ما لا تعلمون .

يوسف اسعد داغر

بعد الرحيل

٥

اين الضجيج العذب والشغبُ — اين التدارس شابَهُ اللعبُ
اين الطفولة في توقدها — اين الدمى في الارض،والكتب
اين التشاكس ، دونما غرض — اين التشاكي ، ما له سبب
اين التباكي والتضاحك في — وقت معاً ، والحزن والطرب
اين التسابق في مجاورتي — مُلتقاً ، اذا أكلوا وان شربوا
يتزاحمون على مجالستي — والقرب مني حيثما انقلبوا
يتوجهون بسوق فطرتهم — نحوي اذا رهبوا وان رغبوا
فنشيدهم « بابا » اذا فرحوا — ووعيدهم « بابا » اذا غضبوا
وهتافهم « بابا » اذا ابتعدوا — ونجيُّهم « بابا » اذا اقتربوا

* * *

بالامس كانوا ملء منزلنا — واليوم ويح اليوم قد ذهبوا
وكأنما الصمت الذي هبطت — اثقاله في الدار ، اذ غربوا
اغفاءة المحموم هدأتها — فيها يشيع الهم والتعب
ذهبوا ، اجل ذهبوا ومسكنهم — في القلب ، ما شطوا وما قربوا
اني اراهم اينما التفتت — نفسي، وقد سكنوا وقد وثبوا
واحس في خلدي تلاعبهم — في الدار ليس يصيبهم نَصَب
وبريق أعينهم اذا ظفروا — ودموع حرقتهم اذا غُلبوا
في كل ركن منهمُ أثر — وبكل زاوية لهم صخب
في النافذات زجاجها حطموا — في الحائط المدهون قد ثقبوا
في الباب قد كسروا مزالجه — وعليه قد رسموا وقد كتبوا
في الصحن، فيه بعض ما اكلوا — في علبة الحلوى التي نهبوا
في الشطر من تفاحة قضموا — في فضلة الماء التي سكبوا
اني اراهم حيثما اتجهت — عيني ، كاسراب القطا سربوا
بالامس ، في «قرنايل» نزلوا — واليوم ، قد ضمتهمْ حلب

* * *

دمعي الذي كتّمته جَلدا — لما تباكوا عندما ركبوا
حتى اذا ساروا وقد نزعوا — من اضلعي قلباً بهم يجب
الفيتني كالطفل عاطفة — فاذا به كالغيث ينسكب
قد يعجب العذال من رجل — يبكي ،ولو لم ابك فالعجب
هيهات ، ما كل البكا خور — اني ، وبي عزم الرجال ، اب

لبنان — قرنايل

عمر بهاء الاميري

في الحارة

٥

دعني ! دعني ! لا تتبعني
لا تتبع خطوي . لا تأت
أبدا لن ارجع للبيت
سأضم البنت الى حضني
هي بنتي ... لن تبعد عني
وسأعرف كيف اقاضيك
وأهدم كل أمانيك
وسأقصم ظهرك بالنفقة
أبدا لن تأخذني شفقة
لا تحسب اني لا اقدر
سترى من هو منا الاشطر
ابدا لن ارجع للبيت
لا تتبع خطوي . لا تأت
يا خائن . يا ناسي العشرة
ما ذنبي كي تجلب « ضرّة »
ماذا لو انك لم تنس
ما كنتُ وما كنتُ الامسا
او لست انا « زينة الحتّه »
منهام بها الاوسطى «شِحته»
ميكانيكي جيّ « البغّاله »
ضحّيتُ ولم أقبل ماله
لسواد عيونك يا ضائع
يا خائب . يا ردّ شوارع
لا تتبع خطوي . لا تأت
أبدا لن ارجع للبيت
ماذا لو كانت لي 'ليلة ؟
ولها الاخرى
أنسيت التضحية الكبرى
عاما لم أغضب أو أحزن
والضرّة تمرح في المسكن
أمّكَ تؤثرها باللحمه
وتعد على شدقي اللقمه
وأبوك ... المرأة أغرته
فلكل جديد زهوته
أبدا .. لن ... أر
لا تقربْ! آي..أي..لا تقرب
ما زلنا في ضوء المغرب
والناس عيون تأكلنا
وامرأة ترقب ظلينا
خلف الشباك المردود
وحياتك ... لم انس عهودي
فاسبق وتسلل في صمت
سأعود ، اليك ، الى ، البيت

القاهرة — جليلة رضا

قصة عراقية

الولد الطيب

بقلم موفق خضر

كان الصباح باردا مقرورا . وفي الليل قبل ان تنقشع الظلمة كانت ميازيب البيوت ترمي بماءالمطر الذي تجمع في السطوح الى الخارج على ارض الازقة المبلطة تبليطا مشوها ويحدث قرقعة ضعيفة تارة وقوية تارة اخرى ويكاد ان ينتظم فيها رنين خاص .. وعندما اطل الصبح كانت الغيوم قد انقشعت مع الليل ، لكن البرد كان شديدا قارسا لا تتحمله الاعصاب ..

وعندما خرج « كاظم » الى الطريق كان يغمغم مع نفسه بالم ووجع ويثني جسمه الى الامام قليلا علـه يوفر لجسمه شيئا من حرارة منعشة وبين هنيهة واخرى كانت لسعة شديدة الوقع من ريح باردة تفري عظامه الضعيفة فلا يملك الاان يصك اسنانه ويضغط على اعصابه ضغطا اجهده كثيرا .

امس في الليل . لم تنطبق اجفانه ولم يفتح كتابا مدرسيا واحدا فقد قضى الليلة الماضية في البرد الذي لا يخفف من قساوته غطاء خفيف يلتف به في فراشه كانه ورقة ورد فضلا عن ان الحجرة التي ينام فيها تنازلت تنازلا مهينا للمطر فأخذينفذ من سقفها وتسقط قطرات منه على سريره وكتبه وغطائه الخفيف كورقة الورد .. وعندما اصطفقت الباب وراءه وهو في طريقه الى المدرسة هذا الصباح كان يفكر بالفشل والارتباك اللذين سيصيبانه عندما يسأله المدرس فلا يقدر علىالجواب حتما سيعجز عن الجواب لانه لم يفتح كتابا واحدافي الليلة الماضية.. وعمته هذه المخلوقة الشرسة ذات اللحم المكتنز المتهافت قاسية معه كل القسوة ، لا ترحمه ولا تحبه ، كأن قلبها غلفته طبقة سميكة من اوساخ القسوة الموغلة بالتشفي .. انها تكرهه وتسومه سوء العذاب في كل مساء يرجع فيه من مدرسته . وهو يعلم انها فقدت اي حنان غريزي يمكن ان تسبغه عليه منذ يئست من انجاب ذرية صالحة ، ومنذ علمت ان العفاء سيطويها ما دامت لا ترزق من زوجها بنين وبنات .. ربما كانت تغار منه لان اباه يرزق في كل عام كائنا ... امه الطيبة القلب الصافية النية ذات السمات الواضحة الطامنة ولودتحمل في كل عام جنينا حتى لقد بدت له ــ قبل ان يسافر الى بغدادوعندما قبلته من جبهته لحظة ئذ ــ انها عاجزة عن ذلك عجزا يكاد يكون رهيبا

وفي الريف لا يعرف الفلاح في زوجته عجزا ، بل يجد فيها وعاء يفرغ فيه همومه وجهده .. اماهنا في المدينة الكبيرة « بغداد » ذات الانوار الصاخبة والضجيج الماج فالامر يختلف كل الاختلاف ، وها هي « عمته » تقيم الدليل كأروع ما يكون الدليل .. فهي شرسة متنمرة قاسية لا تسكت يوما عن عراك مع زوجها الضعيف ذي الرقبة الطويلة كأنها رقبة نعامة غبية .. تسبه وتشتمه باقذع السباب وابشع الشتم . او تضربه على راسه بنعالها المهترء عندما تفور فيها دماء المعركة وهو لا يقول لها الا عبارته المملة « اعقلي يا امراة » .

وعندما يشتد بعمته انفعال المعركة مع زوجها تتحول اليه فتصب عليه جام غضبها ايضا .. انها « جاموسة» بشرية تريد ان تنطح دائما . وهي قادرة بطبعها الجاف الشرس على ان تخلق كل سبب للعراك مع زوجها او « معه » هو ان شاءت .. انه يكرهها كرها لا مثيل له بالرغم من كونها عمته اخت ابيه .. هي لا تمثل الفضيلة ولا تمثل الحنان . وهو يريد ان تتزايد عنده هذه الكراهية حتى تكون موازية تماما لقوة عمته وجبروتها فلا يغدو مغبونا مع نفسه على اقل حساب .. انها لتحرمه بجعجعتها وصياحها من الراحة والامن . وتحرمه من مطالعة الدروس في حجرته المتآكلة من اسفل الجدران تآكلا فظيعا .. وهو ايضا لا يود هذا المعروق الرقبة زوجها لانه ضعيف كالدجاجة المستكينة يخاف من زوجته السليطة اللسان القوية العضل ولا يرد عليها الا بعبارته « اعقلي يا امراة » . وكثيرا ما تمنى كاظم لو كان هو شخصيا مكان هذا المعروق الرقبة اذن لالقى على عمته درسا في الفضائل ولجعلها تركع الى قدميه ركوعا رائعا يشتهيه في نفسه .

انه يطلب فقط الراحة لنفسه المعصورة بشتى العواصف الداخلية القلقة . يتمنى ان يقرا كثيرا في كتبه ويبز زملاءه في الصف لانه وعد اباه الفلاح في ارض (الشيخ) الوسيعة الاطراف ، وعده ان يرفع عن راسه وجبهته المتغضنة غبار الذل والخضوع والعبودية .. وكان ذلك الوعد قبل ان يسافر الى بغداد ليقيم عند عمته هذه وليستكمل دراسته الثانوية في العاصمة ويحصل على الشهادة العالية .. ولقد رحبت به عمته يوم نزل عندها ترحيبا فيه غموض ثم ما عتمت ان مسته بكثير من اذاها ومساوئها ونالت بلسانها من ابيه الفلاح وهو اخوها الذي يكبرها بسنين ، وكان من اللائق بها ان تحترمه وتذكره بالخير ما دام قد اسبغ عليها رعاية وحنانا من قبل ان تقترن بزوجها هذا النحيف المتضعضع الارادة .. من ذلك الحين امست حياته عبارة عن قوقعة من الهم والالم والتوجع والمرارة .

وقطع معظم الزقاق الذي يقع فيه بيت عمته . وانتهى بعد قليل الى موقف سيارة المصلحة . وكان جو الصباح ما يزال باردا شديد البرودة واسنانه تصطك بالم .. وتاخر مجيء سيارة المصلحة ، وخشي ان يفوته ميعاد الدرس الاول فيمنعه فراش المدرسة من الدخول .. ونبع عنده القلق ، وجنح راسه بافكار يرهبها كثيرا . وتخيل ان وقوفه في موقف المصلحة مع هذا التأخير امر سيؤدي به الى الم مضاعف . وفي هذه اللحظة قرقعت سيارة من سيارات الباص الاهلية كانت مشحونة بالراكبين البسطاء .. فرفع يده للسائق ، فوقفت السيارة في الموقف وفتح السائق الباب الذي بجانبه وازاح له بجهد من مكان ضيق . وعندماجلس

كاظم بجنب السائق حصرته الباب حصرا شديدا على خاصرته .. ومد يده الى جيبه واخرج نقدا ذا عشرة فلوس ناوله للسائق ، وتوجهت عيناه بعد ذلك الى الزجاجة السميكة الموضوعة امام السيارة واخذ يحدق في الشارع ..

كان في داخل سيارة الباص الاهلية حشد متراص ملتصق بعضه ببعض من شدة الازدحام وربما من شدة البرودة . وكان الجو المحصور فيها دافئا من الانفاس المتعانقة المختلطة ، فيه رائحة غير مقبولة .. وكانت سيارة الباص تعلو وتنخفض على اسفلت الشارع بعنف خشي معه على راسه ان يصطدم بسقف السيارة الواطىء .. وطقطق صوت منكر من اسفل السيارة فانتبه الى وضعه وحالته . وعادت الى مخيلته صورة عمته وزوجها والمطر الذي سقط في ليلة امس ، والدروس التي لم يقراها . وصورة الفراش وهو يمنعه من دخول المدرسة بعد دق الجرس للدرس الاول . وعرضت له صورة ابيه وملامحه المتعكرة من الجهد والارهاق وصورة امه وهي تنبيء عن عجز تام عن الحمل والارضاع .. آه يا ربي .. واطبق جفنيه وعاد ففتحهما وحدق ثانية الى الشارع والى الناس من خلال الزجاجة الثخينة الموضوعة امام السائق . ووقعت عيناه على مرآة صغيرة معلقة في وسط تلك الزجاجة تواجه السائق ايضا وتعكس صورة الراكبين من خلفه .. لمح فيها وجه السائق رضيا فيه مسحة رائقة من القناعة والاطمئنان والثقة .. واهتزت السيارة ثانية فانعكست في المرآة الصغيرة مع تلك الهزة صورة الحشد الجالس وراءه من الناس البسطاء . كانوا يتحدثون ويجمجمون وابصرهم ينوسون جميعا ذات اليمين وذات اليسار مع ميل السيارة ومع اهتزازاتها المضطربة على ارض الشارع

وسمع صوتا من ورائه وابصر القائل في المرآة الصغيرة العاكسة ـ هذا البرد يمزق مفاصلي ..!

فهمهم اخر له وجه قوي الملامح ـ في الليلة الماضية لم تنم زوجتي لان الرضيع كان يبكي طيلة الليل من صوت المطر ..

وارتجف صوت عجوز تجلس في اخر صف من السيارة ـ اهه .. ليتك كنت رايتني قبل سنتين وانا ازعق بالاوجاع من روماتيزم حاد في قدمي هاتين .. في قدمي هاتين انظروا ايها السادة .. انني عجوز .. ومع ذلك فاني ملزمة بشراء الحاجيات من السوق للاسياد ... وفي مثل هذا الصبح البارد ..

فقال صوت مبعثر الامواج ـ اوه. لك الله ..

فقالت العجوز بصوت اكثر طمانينة ـ الاسياد يقولون عني انني عجوز ثرثارة .. ومع ذلك فاني لم اثرثر في الليل عندما اشتد البرد والمطر . وضعت راسي على المخدة ونمت .. اهه ..

فقال شيخ في صوت عميق الحنان ـ انك مخلصة ايتها الام ..

قالت العجوز بعد ان التفتت الى القائل التفاتة قصيرة وغيرت مجرى الحديث ـ ان الحاجيات في السوق تكون جديدة طازجة في الصباح المبكر .. وهذا صحيح ايها السادة.. فاني اخرج دائما مبكرة واعود بحاجيات يرضى عنها السيد رضى اغتبط به ..

وزعق صوت جبار النبرات ـ نازل .. هنا ..

ووقفت السيارة . ونزل عامل كالح الثياب الا انه عملاق .. وتابعت السيارة سيرها .

وكان كاظم يصغي باذنيه الى الجميع وكان الجو البارد ما يزال يبتلع حرارة الاجساد فيتركها جامدة مضغوطة .. والقى الى السائق اشارة بالنزول . وعندما مست قدماه الارض احس بعنف البرد يلسع وجهه الشاحب الحزين مرة ثانية ، فانثنى على نفسه انثناءة قليلة . وقبل ان تتحرك السيارة لتواصل سيرها رفع عينيه الى الحشد الملتصق بعضه ببعض وهو لا يزال يثرثر في تشك لذيذ .

واغذى السير صوب المدرسة . وفي الصف كان يشعر شعورا عميقا بالغربة . ذلك لانه لم يقرا دروسه بالامس . وتذكر عمته القاسية القلب . وتذكر الوجوه جميعا حتى وجوه الحشد الذي كان يثرثر في سيارة الباص الاهلية . وتخيل اباه وهو يبتسم له باساريره الملوحة باشعة الشمس .. وعجز عن جواب في درس الجغرافية . ولم يستطع ان يجري عملية رياضية في الدرس الرابع . فناله من ذلك حزن، والتمعت عيناه بالدمع في فرصة الدرس الثالث ..

ومضى نهار ذلك اليوم . ورجع الى بيت عمته واوى الى حجرته المتآكلة الجدران الضيقة المساحة .. وعندما حل المساء كانت العصافير تسقسق فوق جدران السطوح، وكان كاظم يحس بضيق ووحشة وحصر نفسي وغربة ايضا .. فقد كانت صورة الحشد المتراص في سيارة الباص الاهلية تترعرع في ذهنه على انها وضع رائع للراحة النفسية التي تتمتع به جماعة من الناس يتخلف هو عنهم بنكده وبؤسه في بيت عمته ، حتى طفح في نفسه احساس بالضنى والظلم معا .

واختنقت في حلقه غصات متزاحمة وباخ عنده الميل الى مطالعة الدروس. فانفجر يبكي وحده بحرقة وصمت واحمرت عيناه من الدموع. وتناهى اليه وهو يبكي لغط في باحة الحوش. فعلم ان زوج عمته قد جاء الان من عمله . عند ذاك كفكف من دمعه . وكان المساء يولي والعصافير تهجر جدران السطوح . وتحرك لسانه متيبسا في فمه واحس بالعطش .. فخرج الى الباحة وكانت عيناه ما زالتا حمراوين من النشيج . وكانت عمته جالسة هناك . فجعلت تلحظه وهو يمشي نحو « حب » الماء وتصعد فيه نظرا ثاقبا فيه غرض مكبوت كانه عشعش في نفسها من زمان بعيد .. وقبل ان يرتد الى حجرته بعد ان اصاب حظه من الماء اشخص نظره الى زوج عمته فرآه ياكل وحده في ركن الحوش قرب الباب ويزدرد طعامه بشكل يبعث على الضحك والهزء فدعى عليه في نفسه بالبلى.. وقبل ان تنتظم في ذهنه سلسلة جديدة من الافكار الطارئة حول هذه الوضعية التي يتخذها زوج عمته دوى صوت العمة الجالسة في ركن اخر من الباحة .

ـ ايها الصبي الصغير ...

وانتفضت اعصابه المرهفة . وتصلب في مكانه لا يريم . ورفع زوج عمته عينيه اليه وحدق فيه

لحظة ثم عاد الى ازدراد طعامه بشكل مضحك ... عول كاظم في هذه المرة على بقية شجاعته وعزم على ان يقف موقفا صلبا تجاه اية عملية متخشبة من عمليات عمته القاسية .. لم يجب .. ودوى المكان بالصيحة ثانية

ـ ايها الصبي الصغير .. هل كنت تبكي ؟ ..

فاجاب بصوت يكاد ان يكون متضعضعا :

ـ لست صغيرا ...

وانثنت عمته السمينة الى الارض واستندت على يدها ثم نهضت عن مقعدها وهي تلهث من الترهل وتقول بصوت يتميز غيظا :

ـ طال لسانك .. هاه .. حسنا اكتب هذه الليلة الى ابيك ان يبعث بثلاثة دنانير اخرى لمصروفك .. هذه الثلاثة دنانير التي ارسلها لا تكفي ولا تنفع شيئا ..

وكاد ينفجر بالبكاء مرة ثانية ويوغل فيه ايغالا شديدا ، فان عروقه المثلوجة ازدادت تصلبا وتجمدا في هاته اللحظة .. من اين ياتي ابوه بثلاثة دنانير اخرى يذهب معظمها في بطن عمته وزوجها ؟ وتلجلج لسانه وغمغم :

ـ لن اكتب يا عمة .. ابي لايملك هذا المبلغ !

فزعقت وهي ترتجف :

ـ ليذهب ابوك الى النار .. هل تريد ان تبقى عالة علي ايها المسطول ؟

ولم يقل شيئا . انما دخل غرفته وجاشت بنفسه العواطف المكبوتة فاهتز جسمه بالبكاء .. لم يعد يحتمل هذه الحياة .. هذا الوضع السيء .. كل جوارحه تدعوه الى التشبيح ، حتى ارادته التي يحاول ان ينميها ويقويها في هذه الايام تتخاذل في هذا المساء الموحش .. وعندما رانت الظلمة على الدار اظلمت نفسه المعصورة المنكودة ، وكان في تلك اللحظة الرهيبة من لحظات الصراع النفسي المرير يمسك بيديه قنينة رمادية فارغة . وكانت عمته تدمدم في الباحة ولكنه لا يتبين ما تقول .. وغامت في عينيه المرئيات ثم غابت تماما عندما هبطت يداه على راسه بقوة وبعنف .. وسمعت حينذاك صرخة مدوية مفزعة وارتطام جسم بالارض .

وفي المستشفى كان كاظم مغمض الجفنين وقد تراخت يداه بذبول . وكان يتمثل في ذهنه المكدود مشهد الحشد المتراص في سيارة الباص الاهلية وصورة ابيه ذات القسمات الوادعة العميقة . وصورة امه وهي تنبىء عن عجز تام في انجاب جنين اخر .. ثم صورة عمته ذات التعبير المتخشب الذي لا يحوي معنى واحدا من معاني الطيبة والحنان .. وكان المطر في الخارج يسفع نوافذ المستشفى سفعا منغما وينهطل المطر كمثل ليلة امس .

بغداد — **موفق خضر**

دعوة

لماذا أموت ،
وفي ناظريكَ حنين صموت
ويولدُ في قلبيَ القاحلِ
اذا ما ابتسمتَ هوى وانتظار
كأنَّ النهار
تفتّح في قبويَ المظلمِ
وفتّح زهره
بلون الدمِ
أكادُ احسك حين تغني
يدا تدفع الموتَ عني
وعطراً يغلغلُ في جسميَ المتعبِ
وأجهلُ اني
أسيرة قلبي
أسيرةُ صمتي وحبي ودربي
حياتي ! انتظار طويلٌ اليك
حبيبي اليك ،
ففي ناظريك ،
وجودي تفتّح في ناظريك

دمشق — **عبد المجيد الراضي**

الرواية في الادب الروسي

بقلم مارسيل اهرار
استاذة الادب الروسي في جامعة ليون بفرنسا

○ ○ ○

كان بوشكين ولرمنتوف روائيين ، ولكن منشيء الرواية الروسية الحقيقي هو غوغول .

غوغول ـ ولد نقولا غوغول في اوكرانيا ببلدة سورتشينتز ١٨٠٩ ، وكن ابوه يعنى بالتقاليد المحلية ، وكتب باللغة الاوكرانية روايات تمثيلية كوميدية انتفع بها الابن . وبعد طفولة هنيئة في الريف ودروس بسيطة في نيجين حيث ظهرت عليه موهبة الممثل ، سافر هذا الفتى الجنوبي ذو الوجه الناحل والانف الطويل الحاد والعينين الثاقبتين الى بطرسبرج وقلبه طافح بالطموح ، لا طموحا ادبيا فحسب ، وانما كان يحلم بتأدية دور في حياة بلاده ، وهو ككثير من الاوكرانيين فكاهي واسع الاحلام خيالي وواقعي ، يمتاز بالملاحظة والتقليد ، وهو ايضا غضوب ، قليل التأثر العاطفي ، ولن تدخل المراة في حياته، وليس في مؤلفاته اية صورة للنساء غير العجائز ، هو مؤمن بل متصوف ، وسبق له ان كتب الى والدته بان الله قد اختاره لامر جلل . فلما عرضت عليه احدى الوظائف البسيطة لم يرض بها ، وحلم بان يصبح ممثلا ، ثم بدأ بواكيره في الادب نظم الشعر ناظما قصيدة هانس كوشلفاتن مقلدا بها فوس ، ولكنه اتلف هذه القصيدة عند اول مقال نقد ، وسافر الى الخارج ، فما ان وصل الى لوبك حتى عاد . واذ راى نجاح الاساطير الشعبية والالوان المحلية ولا سيما ما كان اوكرانيا ، كتب ليالي المزرعة قرب ديكانكا (١٨٣١ ـ ٣٢) فاذا بها ترفعه الى المجد ، الذي كان قد يئس من الوصول اليه عن طريق الاوساط الادبية ، ويحظى بتأييد بوشكين وصداقته . وربما لم يكن ثمة كثير من الحقائق في تمجيده لاوكرانيا حيث تختلط ذكريات الصبى بحكايات هوفمان ولكن فيها حياة دافقة ، وفكاهة مستحبة ، ونلمس مواهبه في ليلة سان جان ، حيث يعرض رسوما هزلية واقعية ويمدها بوصف رومانطيقي جميل ، غني بالالوان ، موسيقي الالفاظ . وقد شجعه هذا التوفيق فسافر الى اوكرانيا لانعاش ذكرياته فعاد خائبا من هذه الناحية ، الا انه جلب افكارا لمجموعته الجديدة ميرغورود وغيرها من الاقاصيص . وتسيطر الواقعية في قصة كيف اختلف ايفان ايفانوفتش مع ايفان نيكيفوروفتش ، الا انها ممزوجة بالسخرية . وفي قصة ملاكي الزمن القديم السعيد تتجلى هذه السخرية مع نفحة من الانفعال ، والحياة في المسكن العتيق تتعطر بشذا الحنان . وفي تاراس بولبا حديث ممتع عن بطولة اوكرانيا الماضية في صفحات رومانطيقية ، غير صحيحة تماما من الوجهة التاريخية ، الا انها حية ملونة فاتنة في اوصاف السهول والبراري الزاهرة .

ان هذا الاستيحاء من الماضي قد اوهم غوغول انه حائز على موهبة المؤرخ ، ومع انه لم يكن على شيء من الاطلاع في هذا الحقل ، فقد طلب ، ونال ، منبرا لتدريس التاريخ في جامعة بطرسبرج ، ولكن سقوطه احدث دويا شديدا فعاد الى الادب ، واحدث تجديدا في انتاجه اذطبق على رسم الحياة البطرسبرجية الاساليب التي استعملها بنجاح في اقاصيصه الاوكرانية . ولكن لما كانت العاصمة تعطي القليل من الناحية الشعرية فقد زاد مقدار الواقعية في يوميات مجنون وفي قصة المعطف الرائعة ، وهذه حكاية بسيطة محزنة لمستخدم حقير في مكتب احرز معطفا جديدا بعد اقتصاد طويل فسرق منه أول مساء ، ونهاية القصة ليست ذات شأن يذكر بالقياس الى الصفحات المكتوبة عن الحياة اليومية لهذا العجوز المسكين ، تلك الصفحات التي قال فيها دوستوفسكي : « ان الرواية الروسية كلها قد خرجت من معطف غوغول » .

ان الملاحظة وذوق الفكاهة وحيوية الحوار التي امتاز بها غوغول كانت تهيء له اسباب النجاح في المسرح ، الا ان نجاح تمثيلية رفيزور (التي سنبحثها في الفصل التالي) أوقعه في ارتباك مؤلم ، حيال استنكار الرجعيين وتحمس الاحرار ، وقد احتج بكل اخلاص ، ولكن عبثا ، بانه لم يقصد الى انتقاد انظمة بلاده . وللتخلص من الضجة التي اثيرت حول مسرحيته هذه ، والعمل في هدوء ، وبدافع الحاجة الى الفرار الذي قذف به الى الباخرة في لوبك ، غادر غوغول روسيا عام ١٨٣٦ وبقي حتى ١٨٤٨ يعيش متجولا في انحاء المانيا وفرنسا التي يكرهها لما فيها من اباحية الالحاد ، وايطاليا التي يحبها لشمسها وجو روما الديني . وكان رفيق سفره الدائم التاليف الذي بداه عام ١٨٣٥ ، اعظم انتاج حياته (النفوس الميتة) وقصته، كما يقول ، هي قصة نفسه .

لقد ظهر الجزء الاول من هذه القصة عام ١٨٤٢ بعنوان : مغامرات تشيشيكوف او النفوس الميتة شعرا . وموضوعها الذي اقترحه بوشكين يتلخص في ان مختلسا يتخيل انه اشترى « نفوسا ميتة » أي فلاحين مستعبدين منذ اخر احصاء ، وما زال مالكو الاراضي يدفعون عنهم الضريبة ، وهؤلاء يسرهم كثيرا ان يسلموه بابخس الاثمان سندات الملكية التي سيستخدمها رهنا لقروض ينالها من المصارف . وفي سبيل تجارته الغريبة يطوف تشيتشيكوف سهول منطقته بريتشكا التي سرعان ما اصبحت اسطورة من الاساطير . هو رجل ليس عجوزا ولا فتى ، قوي البنية والهيئة مرح بسام ، يعرف كيف يضحك مع القرويين وكيف يسلك في قصر حاكم ، انه خلق لكي يوحي بالثقة ، فلا احد يكترث لماضيه . ولكن هل هناك اسوا خلقا من موظفي بلدة صغيرة ومن المالكين الريفيين الذين عقد معهم صفقاته المريبة ؟ اننا لنجد مجموعة من الوجوه امامنا : النبيل الكسول ، المتجمل باللطف ، والجار الشرس يدافع عن مصالحه بقوة ، والمراة العجوز المحدودة ، والمسرف الخداع والبخيل القذر المقرف . ونرى المسافر التاجر البارع يخاطب كلا من هؤلاء على قدره ، فالحوار طلي ممتع ، ولكن احدا لا يمكنه ان يصد العرض

من كتاب « تاريخ الادب الروسي » الذي سيصدر في منشورات عويدات ببيروت

السخي المشبوه ، بدافع من العفة ... بل الجميع منغمسون في شهوات المنافع المادية . وكل هؤلاء الاحياء نفوس ميتة .

ان هذه « الرمزية » التي ظهرت بعد حين لغوغول كانت بعيدة عن فكره عندما بدا كتابه ، وقد كتب الى بوشكين : « سيكون مسليا جدا ! » ولكن بوشكين بعد قراءته الفصول الاولى صاح قائلا : « رباه ما اشد تعاسة روسيانا » ، واجمع الاحرار والمحافظون ، كما جرى بعد مسرحية « رفيزور » على ان هذه القصة المرحة هي تصوير حساس للحقيقة الروسية ، وكيف الافتراض بان مؤلف كتاب يلمح بنقد عنيف للعبودية هو نصيرها وانه لم يفكر الا في دراسة الطبائع وفي الجانب الهازل من المواقف ، بيد ان صفاء ملاحظته وموهبته في رسم العادات اعطى روايته، رغما عنه ، هذا المعنى غير المنتظر ؟ ان هذا الفهم السيء هو احد اسباب المأساة التي هزت نفس غوغول ، مأساة برزت طلائعها من قبل في هذا الجزء الاول الواقعي من الاندماج الفنائي حيث ينشد غوغول ايمانه بالشعب الروسي وفي مستقبل روسيا التي ستسبق اوروبا ركضا. لقد اتهمه خصومه بتسويد وطنه ، ولكن اذا كان الجزء الاول من قصيدته كان الجحيم فسيتلوه المطهر ، حيث يجزى تشيتشيكوف ، ثم الفردوس الذي سيظهر للعالم معطيات النفس الروسية .

ولكن اذا كان غوغول نجح في تصوير العيوب والمفاسد فلم يكن بقادر على سكب الحياة في الفضائل ، وقد شعر هو نفسه بذلك ، فتميز غضبا . وبين ١٨٤٣ و١٨٤٥ كتب الجزء الثاني من النفوس الميتة ثم اتلفه ، وعاد يكتبه من جديد (في بعض الفصول التي حفظت مسوداتها لم يكن صالحا سوى الصفحات التي يغلب النقد فيها) . انه لم يدرك ان الصعوبة ناجمة عن طبيعة موهبته ، بل حسبها قائمة في ضعف نفسه ، فهو غير كامل ليخلق كائنات كاملة، وراعه ان لا ينجح في اداء الرسالة التي خصه الله بها في ارشاد شعبه ، فشعر بالحاجة الى الاعتراف العلني ، والاستغاثة .

وفي ١٨٤٦ ظهرت مختارات من مراسلاتي مع اصدقائي فسببت فضيحة حول كشف عقيدة غوغول الحقيقية ، المحافظ والمتصوف ، ولهجة « النبوة » التي يخاطب روسيا داعيا اياها الى الانتعاش والى مساعدته هو نفسه على الانتعاش . وبعد رحلة الى الديار المقدسة حيث كان يأمل هبوط الوحي عليه فلم يشعر الا « بجفاف قلبه » ، قرر بغتة الرجوع الى روسيا لينعم النظر فيها ويجدد رسمها . وفي موسكو زاده احد الرهبان اضطرابا اذ اتهمه بالغرور والاطماع الادبية . وتنازع في ذاته الفنان والورع فأحرق يوم ١٢ شباط ١٨٥٢ كل ما كان كتبه من الجزء الثاني من النفوس الميتة ، وقد انهكته هذه التضحية وطول الصيام فتوفي بعد بضعة ايام .

من غوغول الى دوستوفسكي ان النفوس الميتة تحدد، الى امد طويل ، الخطوط الاساسية للرواية الروسية، وبما انها واقعية قبل كل شيء ، فهي تعمل لرسم الافراد ، وكذلك لوصف البيئة التي يمثلونها . ويستنتج من ذلك ان المؤلف شاء ام ابى (كما هو شان غوغول) يساهم في القضايا الاجتماعية والسياسية ، فما من نتاج الا ويبحث فيه عن « ميله » .

وهكذا فان ميل سيرج اكساكوف (١٧٩١ — ١٨٥٩) الذي كان صديقا لغوغول هو ميل محافظ يتجه الى احترام الماضي . وهذا الرجل الممتاز الذي يحب الطبيعة والحيوانات قد احترف الكتابة في شيخوخته ليقص ذكرياته ، ذكريات صياد ، ذكريات قناص ، ثم طبق على الرجال مواهبه في اللاحقة بكتابة سيرة حياة اسرته وسنوات الطفولة لحفيد باغروف وهما كتابان بديعان يمثلان وسطه العائلي ببساطة . ثم ان غونتشاروف وتورغنيف هما ايضا رجلان هنيئان ، فنانان قبل كل شيء، واذا كانا قد اهاجا الافكار اكثر مما تمنيا فلانهما كانا قادرين على نفخ الحياة في كل ما يشاهدان .

ولد غونتشاروف عام ١٨١٢ في سمبيرسك وترعرع في احضان المزارع الفنية التي وصفها ، حيث كانت المآدب هي القضية الكبرى والايام متشابهة ، وقد بقي متمسكا باسباب الرفاهية ، فعاش في الوظائف عيشة سكون واطمئنان ، حتى بلغ منصب « المراقب » فمارس واجباته باعتدال ، فلم يقع له سوى حادث واحد : اذ اشترك في رحلة البارجة بالاس Pallas الى افريقيا وآسيا ، فقص مشاهداته كملاحظة لاه . وقد توفي عام ١٨٩١ رخي البال لم يتعرف في حياته الطويلة الى متاعب السياسة ولا اكترث بامور الدين . ورأى اعظم حدث في زمانه ، وهو الغاء الاستعباد ، دون ان يتأثر به . كان منصرفا بكل حواسه الى الادب ، وافضل الساعات عنده تلك التي كان يقضيها في صقل رواياته الثلاث على مهل وروية : وهي : تاريخ عادي (١٨٤٧) اوبلوموف (١٨٥٩) رافان (١٨٦٩) وفي هذه الاخيرة يبدي ملاحظاته على رفاقه وعلى نفسه كما تخيلها يوما بعد يوم .

اما ادويف بطل تاريخ عادي فهو فتى ، على غرار بطل بلزاك ، ولعله المؤلف نفسه ، يصل الى العاصمة لنيل مركز عال ، ومجد ادبي ، وحب مكين ، فينتقل من خيبة الى خيبة حتى يضطر للقناعة بما هو فيه : انه عاجز واناني .

ونجد بعض اوصاف ادويف ايضا في اوبلوموف لكن هذا اكرم فطرة واسمى موهبة ، فأراد التخلص من اعباء الملكية العائلية والتعلم والعمل . الا ان خصلة التواكل كانت اقوى منه ، فلبث مضطجعا على ديوانه يحلم طول النهار بما سوف يفعل في المستقبل . ويحاول صديق نشيط وامرأة جريئة انقاذه لكن اوبلوموف غير صالح لمتابعة مجهوده المنعش طويلا فينهار نهائيا في عالم الاحلام . ويرتفع غونتشاروف حتى يخلق شخصية من اشهر شخصيات الرواية الروسية شاجبا اكبر نقيصة وطنية هي التواكل الذي يشل كثيرا من الوثبات الكريمة ، وقد غدا اسم اوبلوموف علما عند الروس على هذه النقيصة . اما في رواية رافان فالدسائس الطويلة ليست نتيجة لقوة التحليل النفساني كما في الروايتين الاوليين ، اذ ان غونتشاروف لم يكن جديرا بان يمنح الحياة شخصيات لا تنبع من اغوار نفسه ، فان تورغنيف اقدر منه في هذا المضمار .

ونجد شخصية اوبلوموف في ايفان تورغنيف . فالتواكل يظهر عليه عندما يحاول انتاج عمل فني .

ولد ايفان تورغنيف في اورل ١٨١٨ من اسرة تنحدر من اصل تتري وكان ابوه ضعيفا وامه قوية شديدة القسوة في معاملة

الفلاحين فنشأ الفتى وفي نفسه استفظاع للاستعباد .
لقد عاش في مزرعة سباسكوي الخصبة واحب منذ نعومة اظافره الطبيعة والشعر . درس الفلسفة في روسيا ثم في برلين وقضى شبابا طليقا ، ولما عاد الى بطرسبرغ اخذ يغشى انديتها وينظم القصائد ويؤلف تمثيليات قصيرة ، واصدر في ١٨٤٧ خور وكالنيتش اولى احاديث صياد عندما تعرف الى بولين فياردو شقيقة ماليبران التي اتت في جولة وشعر نحوها بغرام اضطر للتخلي عنه ليصبح صداقة، بيد ان هذا العازب الذي كان يحب الوحدة قد عاش في بيت آل فياردو حيث عرف معنى الحياة العائلية التي يصفها في رواياته . وتبع الاسرة الى اوربا ، بيد انه كان يعود الى مزرعته سباسكوي كل صيف ، ثم سكن مع تلك الاسرة في باد عام ١٨٦٤ وفي باريس بعد عام ١٨٧١ واصبح صديق غونكور وموباسان والفونس دوديه وجورج صاند ، وفلوبير في الدرجة الاولى . واستطاع بلطف حديثه ان يكتسب لروسيا وادبها الكثير من الانصار في باريس ، لكنه كان يتألم لانه فقد الاتصال ببلاده ، ولان سوء الفهم قد وقع بينه وبين الشبيبة الروسية ، ومات في بوجيفال (فرنسا) ١٨٨٣ بعد اشهر طوال من الالم بقي خلالها عاكفا على تحويل آخر قصائده الى نثر .

بعد ان احرزت احاديث صياد ما احرزت من نجاح عام ١٨٥٢ ، اعتبر تورغنيف مؤلفا روائيا . فالامور المتعلقة بالفلاحين ، كانت موضوع اهتمام عام في اوربا باسرها ، وكانت في روسيا مثار الاعجاب منذ عهد غوغول . ثم جاء فلاديمير دال فاستخدم في هذا النوع من الادب معرفته الواسعة باللغة الشعبية . وكان غريغوروفتش (١٨٢٢-٩٩) قد اصدر في ١٨٤٦ قصة القرية وفي ١٨٤٧ انطون سيء الحظ واعقبتها الصيادون والمهاجرون ، فحيا بلنسكي بحماسة هذه اللوحات التي تمثل الطبائع والاخلاق القروية دون ان يرى فيها الناحيتين العاطفية والعقائدية . بيد ان الروايات العائدة للفلاحين لم تبلغ كلها سواء في روسيا او الخارج المستوى الذي بلغته احاديث صياد في بساطتها ومتعتها الشعرية . هذا الصياد ، الذي هو تورغنيف نفسه، يجوب الغابات والحقول ويجتمع الى الفلاحين ويحضر معرضا وجنازة وينزل في ضيافة صاحب مزرعة او عزبة . وهكذا نرى امامنا الارياف الروسية بكل ما فيها ، ونسمع — بغير كلام — دفاعا عن حرية الفلاحين ، واستنكارا صامتا للاستعباد . ان تورغنيف كان يقدر في مؤلفاته الراي العام ويتحدث عن مجد الامبراطور دون ان يجادل او يناقش ، ولم يكتم عيوب الموجيك الا انه اظهر ذكاءه وغنى حياته الداخلية وفظاعة استعباده ، لا لان الاسياد كانوا يجلدون الفلاح بالسياط ويزجونه وينفونه كما تشاء اهواؤهم ، فهم وحوش ، بل لان الاستعباد الذي هو عماد رفاهيتهم قد قتل فيهم شعور الاخاء الانساني .

ويمتاز تورغنيف بقدرته على ان يخلق باسطر قليلة اشخاصا لا تنسى وجوههم من نبلاء وفلاحين ، وان يمنح كلا منهم لغته . وسياق القصة الذي يكون فكها تارة وحزينا طورا يشتمل على اوصاف ترافقها معرفة دقيقة بالنباتات مما يدل على قوة الشاعرية ، فهو يصف الحر الثقيل في قلب الغابة ، وصبيحات الخريف الغارقة في الضباب ، وجمال الشمس في شروقها وغروبها على الاودية والسهول، والليل الصافي المرصع بالنجوم فوق بريباجين حيث الاولاد الذين يحرسون الخيول يشعرون بان الارواح الشريرة ترود حولهم .

واعقبت الروايات الكبرى الاقاصيص ففي ١٨٥٦ قدم رودين بشخصية هملت روسي وكانت هذه الشخصية قد ظهرت في سلسلة من الحكايات التي انتجها تورغنيف : وهو الرجل الذكي ذو المقاصد الكريمة ، الا ان ارادته لا تصلح للعمل حتى ولا لعاطفة حقيقية . ومقابل ذلك فان الفتيات اللواتي يبرع تورغنيف في تصويرهن ، بعضهن مثال الحنان والبعض الاخر مثال القوة لا يحجمن عن شيء متى اعطين قلوبهن . وثمة موضوع اخر متكرر احيانا يتجلى في هذه الرواية الاولى ، هو الخلاف بين جيلين : الاباء الذين يعيشون في حقولهم المعيشة التقليدية المألوفة ، دون ان يكون لهم مثل اعلى ، والابناء الذين فصلتهم الثقافة الاجنبية عن بيئتهم فاسكرتهم افكار واقوال غير راهنة .

اما وكر الاسياد (١٨٥٩) فتكتفي بان تكون رواية غرام في نطاق قديم وبديع وفي رواية عند العشية (١٨٦٠) يبحث تورغنيف عن الرجل القوي الذي تحتاج اليه الازمنة الحديثة (وكان قد اقترب موعد الغاء الاستعباد) ولكنه لا يجد هذا الرجل لا عند الفنان الفاتن الطائش ، ولا عند المثقف الخجول ، وانما عند انساروف البلغاري ذي الجسم القوي والنفس المتيقظة يندفع لتحرير بلاده ويموت قبل الوصول الى غايته ، واليه يتجه حب هيلانة المتوقدة التي كانت تختنق في بيئة انانيته . اكان من المستحيل اذن وجود الرجل القوي والجسور في روسيا ؟ يجيب تورغنيف عن استياء الشبيبة الروسية في رواية آباء واولاد (١٨٦١) حيث يتجنب ، كعادته ، الميل الى احد الجيلين ، فيمنح الاباء في اسرة ارستقراطية تهذيب العادات والمشاعر ، وتذوق الجمال ، ويمنحهم في الاسرة العادية متانة التراث الخلقي والديني لروسيا القديمة . اما الابناء فنجد فيهم ضعفا ، اذ ان اركاد ذا القلب الممتاز ، لا يكاد ينقضي زمن طموح الشباب حتى يعود لقضاء الحياة كأبيه في هدوء رتيب ، ولكن « الفوضوي » بازاروف يختلف طينة وفطرة ، فبعد ان يصف تورغنيف في هذه الرواية الماضي المتحجر المادي في الفلسفة والحب ، نرى بطل روايته يضع الاشياء كلها تحت التجربة العلمية ، فينكر الفن والشعر ونشعر انه في السياسة يدعو الى الثورة التامة . الا انه على الرغم من قوته تتغلب عليه الحياة، فيضطرب تحت وطأة الحب اولا ، ثم يقتله وباء خاطف .

وقد احدثت هذه الرواية دويا لا نظير له في اوساط الشباب المثقف الذي اخذ على المؤلف تشاؤمه في الخاتمة واتهمه ظلما بالتحامل على بازاروف . والحقيقة هي ان التعلق بالماضي ، والتشوق للمستقبل ، والقلق على الحاضر تتشابك كلها في نفسه كما في هذه الرواية التي هي في آن واحد مستند تاريخي وعمل فني ايجابي

ولقد ضاق تورغنيف ذرعا بما لمسه من عدم التفهم العام لمقاصده واهدافه فهاجم الرجعيين والتحرريين ، السلوفانيين وانصار الغربيين ، الاباء والبنين في روايته الرائعة دخان ، (١٨٦٧) ، وهي تصوير بارع قوي للبيئة الروسية في باد الفارقة في مشاحناتها ومنازعاتها الدائمة قائلا ان ذلك كله دخان ، كأي شيء روسي ، وكأي شيء

في الحياة كلها دون شك او ريب ، بيد ان الخاتمة تشرق بنصيحة هي العمل في صمت وسكون ، وفي المكان الصالح ويقدم تورغنيف عام (١٨٧٦) اراضي عذراء وهي انتاج اضعف ، دل على جهل المؤلف بالشباب الثوري .

لم يهمل تورغنيف القصة القصيرة حيث تتجلى مزاياه في الاتزان وجزالة الاسلوب . ففي ١٨٧٣ اضاف بقايا رفات حي على احاديث صياد ثم اقتصر على انتاج عدة اقاصيص ، وتحويل بعض قصائده الى نثر ومال فيها الى بث فلسفته التي اسيء فهمها قائلا ان البشر عبثا يجهدون. فالطبيعة تنظر غير مكترثة منذ الازل ، فلم يبق على الانسان ، وقد ادرك بطلان غروره في امانيه ، الا ان ينصرف الى مهمة نافعة او يفر الى دنيا الفن . ولكن معاصري تورغنيف كانوا يفضلون الكفاح .

وبعد الغاء الاستعباد استمر التحرريون في معالجة الموضوعات الباحثة عن علل المجتمع الروسي : تعاسة الفلاح ، فساد الموظفين ورجال الاعمال ، وكان ابرز من بحث هذه العلل سالتيكوف (١٨٢٦-٨٩) الذي كان يكتب في البداية باسم تستشورين المستعار . لقد كان من النبلاء ، وشغل عدة مناصب حتى عام ١٨٦٨ ثم استقال ليدير مع نيكرازوف مجلة حوادث الوطن . وكان قد اتى من فياتكا باقاصيص ريفية وحكايات ساخرة وهزلية ، ونشرت المجلة كثيرا من الروايات التي تصور حياة الفلاحين تحت امرة الاقطاعيين ، وتدعو لالغاء الاستعباد . وفي رواية غولوفلييف يصور لنا لوحة قاتمة لاسرة نبيلة يستولي عليها الكسل الموروث ، فنرى عجوزا بخيلة شريرة سيطرت عليها فكرة « العائلة » طول حياتها بحيث ادخرت الغنى لاولادها، الا انها لم توجه عنايتها واهتمامها لتربية هؤلاء الاولاد ، بل ان المنافق يودوشكا اصغر اولادها بدد ما جمعت والدته من اموال .

وتقدم روايات سلتيكوف شخصيات رجال عرفوا كيف يفيدون من تطورات الزمن الحديث ، وموظفين من مختلف الرتب والدرجات امنت لهم الوظيفة كل تسهيلات الغنى ولا سيما في المقاطعات النائية ، وهي شبه مستعمرات يكون اهلها تحت رحمتهم كما في رواية « هؤلاء اسياد طشقند » ومتى نجح الانتهازي يصبح بومبادور حاكم مقاطعة او وزيرا بغير ضمير . اليست روسيا بأسرها طشقند مكبرة ، حيث « النعاج في كل المواسم تسلم اعناقها للذبح » ؟ ثم ان قصة مدينة غلوبوف تعطينا صورة مصغرة عن قصة روسيا كلها (تذكر في اسماء الحكام بدلا من القياصرة) فنرى الشعب راضيا بكل شيء . بيد ان اتباع طريقة التلميح دون التصريح والاسلوب المعقد ، واللغةالجافة الغامضة التي كتبت بها هذه القصيدة تجعل من العسير فهمها على الروس الحاليين ، ويعتبر سلتيكوف مصدر ثقة في وصف احوال عصره .

ونجد رواية بودليبوفتسي لمؤلفها رشتنيكوف (١٨٦٣) مليئة بالتلميحات والكنايات ايضا ، وفيها لوحة عن اخلاق الفلاحين في منطقة كاما تدلنا على التعاسة المادية والمعنوية التي تعانيها روسيا قاطبة . اما رواية ما العمل ؟ لتشرنيشفسكي (١٨٦٤) التي احرزت في ذلك الحين نجاحا منقطع النظير فتبدو الان سطحية بالطالبين اللذين تدفعهما روح التضحية والنبيل الذي ينتحل صفة جوذي وبحار في الفولغا ، ويرينا شخصية مثل شخصيات روايات تولستوي قبل مجيء تولستوي .

ان الكتاب المحافظين هم واقعيون ايضا الا انهم يستخرجون من الحقائق استنتاجات شتى ، فان بيزسكى (١٨٢٠ ــ ٨١) قد جمع بين اليمين واليسار في الفنفس وهي قصة مغامر اعظم شرا من بطل تشيتسيكوف ولكن البحر الهائج التي تمثل المجتمع الروسي المضطرب بسبب الغاء الاستعباد قد وضعت مؤلفها بين الرجعيين .

وظلت موهبة لسكوف الكبرى (١٨٣١ ــ ٩٥)مجهولة زمنا طويلا بسبب ميوله ، ولكن مكسيم غوركي اماط عنها اللثام . لقد تعذر على لسكوف تلقي الدروس لفقره ، فكسب رزقه في التجارة . وطاف في انحاء روسيا وكتب عام ١٨٦٢ مقالا غمز فيه قناة الطلاب الثوريين ، فأغضب عليه الشباب الطالع ، واشتدت النقمة بروايتيه لا منفذ وحتى السكين الموجهتين ضد الاشتراكية وهما مليئتان بالتوريات والكنايات الساخرة . وهذه الكتب الجدلية ليست ، لحسن الحظ ، كل مؤلفات لسكوف . ففي رجال الكنيسة (١٨٧٢) صور لنا بيئة الاكليروس ، وهذا هو الانتاج الادبي الروسي الوحيد في هذه الناحية الذي يرينا وجوها كريمة بين الرهبان ولكنه يتهكم على بعض كهنة الارياف . وبطل الكتاب توبيروزوف نفس ملتهبة بالايمان والاحسان ، يناضل في وقت واحد ضد عداء المثقفين ، والضيق الفكري في رؤسائه فينهزم . وهناك مؤلفات اخرى يصور لنا فيها لسكوف بيئات اخرى رآها عن كثب: بيئة تجار الارياف في ليدي مكبث لقطن متسنيك وبيئة المؤمنين القدماء في الملاك المختوم وفي هذه القصص كثير من الفن وجمال الاسلوب .

وملينكوف (١٨١٩ ــ ٨٣) الذي يوقع بالاسم المستعار بتشرسكي في مواضيعه يشبه لسكوف ، ولكنه دونه رجلا وكاتبا . هو استاذ جامعة في برم Perm وفي نيني نوفغورود . كان يعنى بالتقاليد المحلية ولا سيما بالمتدينين القدماء فيما وراء الفولغا ، ويتهم بانه استغل ثقتهم حين كان موظفا ترك الوظيفة الى التعليم ، لكي يقدم اسلحة ضدهم الى الحكومة . لقد كتب عنهم روايتين طويلتين في الغابات (١٨٧٢) وفي الجبال (١٨٧٥ ــ ٨٠) مظهرا العادات التي لم تتبدل منذ الانشقاق وواصفا حياة القرى، والاديار الخفية في قلب الغابات ، وعيشة الرهبان في تنسكهم واخلاصهم ، الا انه يجدهم ذوي ذهنياتمحدودة، واللوحات الملونة التي يرسمها لنا تعوزها الحرارة لتكون مؤثرة .

دوستويفسكي ــ يدعي المحافظون ان دوستويفسكي منهم ، فدعوته الى الايمان ، طبعا ، تتفق وافكارهم ، لكن عبقريته تحطم ، على الرغم منه ، كل الاطارات وتنقل انتاجه الى ملك الانسانية المشترك .

ولد فيدور ميخائيلوفتش دوستويفسكي في موسكو عام ١٨٢١ وهو ابن طبيب نبيل على شيء من الثراء ، صارم ، وبخيل وتقي . وخلافا لمعظم الكتاب الروس ، ترعرع في المدينة ، وعن المدينة تتحدث رواياته وقد كانت وفاة والدته ثم موت بوشكين اكبر احزان سنواته الاولى ، وكان في السابعة عشرة يقوم في مدرسة الهندسة العسكرية

في بطرسبرج بدراسات لا تروق له عندما جاءه نعي ابيه الذي قتلوه فلاحوه وكان شديد القسوة في معاملتهم ، وكان وقع النبأ شديدا على الفتى فاصابته نوبة صدرية كادت تذهب بحياته . وما لبث ان غادر السلك العسكري ، وانقطع الى الكتابة ، فظهرت عام ١٨٤٤ اولى رواياته الناس الفقراء وقد تاثر فيها برواية المعطف لغوغول ، ونالت اعجاب بلنسكي ونيكراسوف . لكن القصص التي اصدرها بعد ذلك كتبت بسرعة كبيرة . لقد تجاذبته الافكارالتحررية التي ما لبث ان انكرها بعد حين فارتبط بكتلة بتراشيفسكي واعتقل واياها عام ١٨٤٩ ، وحكم عليه بالموت . وامام منصة الاعدام مرت به الدقائق الرهيبة التي يحدثنا عنها مرارا في كتبه . ولكن في اللحظة الاخيرة جاء عفو القيصر ، قاضيا بارساله الى سجن اومسك حيث قضى اربع سنوات ، الف خلالها ذكريات دار الاموات . ويستدل منها على ان دوستويفسكي لم يلجأ مرة الى الشكوى ، وانما يقتصر على وصف الحياة الرهيبة التي يعانيها السجناء ، ويحاول ان يبعث اخويا شرارة الرحمة الالهية الى هؤلاء التعساء . وخرج من السجن محطم الصحة ، فخدم كجندي بسيط في سميبالاتنسك ثم اعيدت اليه رتبة الضابط والنبالة ، الا انه لم يسمح له بدخول روسيا الا سنة ١٨٥٩ ، وكان قد تزوج في سبيريا ارملة ريفية شرسة تدعى ماري ايسايف. فلما عاد الى بطرسبرج اذا بروايتيه ذكريات دار الاموات والمضطهدين والمعذبين تضمنان له المجد .

واسس مع اخيه ميشال مجلة الطان التي منعت بعد قليل . وفي ١٨٦٢ قام باول رحلة الى الغرب . وفي ١٨٦٣ سافر الى باريس ليلحق بالطالبة بولين سوسلوف التي خانته قبل ان يلتقي بها . ورغم ذلك فقد سافر واياها الى المانيا ثم عاد الى بطرسبرج حيث احاطت به المصائب من كل جانب : ماتت امرأته واخوه ميشال تاركا له ديونا باهظة واسرة يعولها . فبدأ يقوم باشغال شاقة حقا في الانتاج الادبي لينهض بهذه الاعباء ، وكان يقبض ثمن رواياته سلفا فيضطر لارهاق نفسه في سبيل الاسراع بانجازها واستخدم فتاة تدعى آنا سنيتكين كمختزلة ثم تزوج بها سنة ١٨٦٧ ، وقد اعجبت به دون تفهمه وغمرته بحنان وثيق مخلص ، وقضيا عدة سنوات في المانيا وسويسرة وايطاليا ، وهي سنوات حافلة بالكآبة اذ كان دوستويفسكي قد اولع بالمائدة الخضراء الروليت يصب عليها ما في جيوبه وكان قد اصبح ابا لعدة اولاد عاش منهم اثنان ، فعاد مع هذه الاسرة الى بطرسبرج وتحسنت اوضاعه المالية قليلا عندما قررت زوجته ان تتولى بنفسها طبع مؤلفاته .

ولكي يبسط دوستويفسكي عن طريق الرواية آراءه السياسية والدينية ، وهي واحدة عنده ، راح ينشر دوريا يوميات كاتب . وخرج من عزلته عام ١٨٨٠ ليلقي في تدشين نصب بوشكين بموسكو خطابا قوبل بتصفيق حماسي شديد . ولكن الويلات التي عاناها في شبابه والاجهاد المستمر في العمل ، والامراض المتعاقبة تألبت عليه فصرعته في كانون الثاني ١٨٨١ على اثر نزيف رئوي وقد توفي مسيحيا .

ان روايات دوستويفسكي الكبرى : جريمة وعقاب (١٨٦٦) المقامر ، الاحمق (١٨٦٨)، الزوج الابدي (١٨٦٩) الابالسة (١٨٧١) المراهق (١٨٧٢) الاخوان كرامازوف (رواية لم تنجز وقد صدر منها جزءان عام ١٨٧٧) تتطلب كل منها دراسة مفصلة ، ولا نستطيع هنا الا ان نحاول استخراج وجوهها الاساسية .

العقدة الاساسية بسيطة تتعلق غالبا بجريمة . فرواية جريمة وعقاب تتحدث عن طالب شاب طماح يقتل امرأة طاعنة في السن ليسرقها ، وينتهي بالاعتراف . والاحمق رجل طيب السريرة يقف بين امراتين يحب اولاهما ويجد الثانية بحاجة الى الانقاذ فيختار الزواج من هذه الاخيرة ، ولكنها ترفض منه هذه التضحية وتلتحق برجل آخر فيقتلها هذا . اما الابالسة فتقودنا الى مؤامرة اشتراكية ، تقع فيها الشبهة بالخيانة على احد الاعضاء فيقتل . والاخوان كرامازوف تتحدث عن خطأ قضائي فاجع . ويمكن ان نجد في هذه المؤلفات عناصر رواية الجيب ، حتى الرواية البوليسية الشائعة في عصرنا . ان موهبة كتم السر الذي يكنه شخص او عدة اشخاص حتى نهاية القصة ، والتناقضات التي تجمع هؤلاء في مكان او زمان غير منتظر ، وتعدد الابواب التي تتجدد في الفصل وزيادة الوفيات العنيفة ولاسيما في رواية الابالسة ، كل ذلك من المفاجآت التي تتشابك . ويملك دوستويفسكي قوة خلاقة ، حتى ان مخلوقات عديدة تظهر ، دون ارادته تقريبا ، لتحتل مراكزها في روايته . هو يرى اشخاصه ويرينا اياهم ببضعة خطوط قصيرة تستقر في الاذهان كتفاحة آدم في قصة الاب كرامازوف . وهو اكثر ايجابية من تولستوي فلا يضع من ذات نفسه في اشخاص روايته سوى نفثات متفرقة ، الا انه يعيش مع كل منهم ، ويتبعهم خطوة خطوة .

ومن آثار التجديد عنده ، مما اثر كثيرا في الرواية العصرية، انه يعكفعلى دراسة اشخاصه فيساعاتواوضاع غريبة عن الحبكة الروائية ، وكذلك اعارته الاهمية للعقل الباطن والقوى الغامضة التي قد تحمل المرء على قرار غير مرتقب ، وتصويره العاطفيين والعصبيين : فالامير ميشكين يصاب بالصرع وسميردياكوف ايضا ، الاول منهما قديس والثاني وحش . وكثيرون يبصرون رؤى هي رهيبة عند غير المؤمنين ، مرضية عند اليوشا كرامازوف . ولا يهتم دوستويفسكي للبيئة (لقد سخر من ابطال تورغنيف ومن تورغنيف نفسه في الابالسة) ، وانما يوجه عنايته الى الاشخاص الخليقين باعمال اجرامية ، يدرسهم اختبارا ، واضعا اياهم امام الجريمة وامام الحب . وعنده ثلاثة انواع : رجل الفكر يسيطر عليه الذكاء ، ورجل العاطفة يسيطر عليه الجسد ، والرجل البسيط الصافي .

لقد حاول بعضهم تفسير وفرة الجرائم في روايات دوستويفسكي بانها نتاج خطيئة مكتومة في صدره ، فالامر ايسر من ذلك ، وهو ان السجن فرض على فكره مسالة علاقات المجرم بعمله (تبين له فقدان الشعور المألوف بالندم) وسيطرة الجريمة وعواقبها على النفس . ان راسكولنيكوف الطالب في رواية جريمة وعقاب هو رجل فكر يقوده التعليل الفكري الى القتل : فاعدام المخلوق الضار الذي هو العجوز المرابية التي لا تقرض النقود الا لقاء رهن نفيس ، لكي يؤمن لنفسه بقتلها حياة خصبة للكائن الكريم الذي يتصوره في ذاته ، ان هذا الاعدام لا يجعل

القاتل مجرما . وانسان كنيوتن او نابليون ليس له حق الابادة . ولكنه كمفطور على الذكاء ، لا على الارادة ، غير خليق بان يفيد من جريمته وهو مرهق بسره ، بيد انه ليس الندم هو الذي يحمله على افشاء سر اجرامه ، بل يظل مقتنعا بصواب الفكرة التي قادته الى الجريمة ، وانما يحتقر ضعفه . ثم يدرك بعد حين عند دخوله السجن واحتكاكه بسونيا الحقيرة معنى قانون الحب والرحمة الذي تجاوزه . ويرى ايفان كرامازوف المتفوق في الذكاء ايضا ان كل شيء جائز من حيث المبدأ ولكنه اضعف من راسكولنيكوف استعدادا للتصرف . اما سميردياكوف المقتنع بدراساته فهو الذي سيكون قاتل كرامازوف ، على ان ايفان سيكون هو المسؤول .

وفي مقابل هؤلاء المثقفين تضع كل رواية رجل الجسد الذي يعجز عن مقاومة عواطفه الدنسة ورجل الجسد هو سفيدريغايلوف في جريمة وعقاب ، وهو روغوجين في الاحمق ، وديمتري في الاخوان كرامازوف ، اذ تجعله الشهوة الطاغية رهيبا لانها تنبع من اغوار نفس كريمة ، ويبقى الاب كرامازوف في الدرك الاسفل . ثم ان غريزة الحساسية المنحطة موجودة في كل انسان حتى ان اليوشا الطاهرة تعلم ان فيها شيئا من كرامازوف ولا تكره اباها . والناس الطاهرون الذين ليسوا من مملكة سدوم ، بل من مملكة مادون هم من الحقارة بحيث لا يستطيعون الظن بانهم اسمى من الملوثين والمجرمين ، فلا يضمرون لهم سوى حب اخوي . وبينما المثقفون والعاطفيون جميعا انانيون ، نجد هذا الفريق الاخير مثالا للحب ، انه يحب الناس لايمانه بالله ، وتتالف هذه الجماعة من الاطفال والنساء : سونيا تحترف الدعارة حبا بعائلتها ، وتلحق براسكولنيكوف الى السجن ، داشا تستعد للاخلاص الى ستافروغين ، غروشنكا الى ديمتري ، واخيرا هو الرجل كالامير ميشكين في الاحمق يدرك بقلبه ما لم يدركه اي مثقف بعقله ، من نموذج اليوشا كرامازوف . ان قانون الحب يسيطر على الفكر الديني والسياسي في دوستويفسكي .

تولستوي ــ تنتظم حياة تولستوي وانتاجه في مراتب متتالية فيقف عندما يجد تفسيرا للحياة التي تسمح له بالخلق ، ثم تاتي مرحلة البحث والحيرة التي ترفعه الى المرتبة العليا .

ولد الكونت ليون نيقولايفتش تولستوي في ٢٨ اب (اغسطس) ١٨٢٨ في ياسنايا بوليانا ، في حكومة تولا ، وكان اجداده من جهة ابيه قد اشتركوا طويلا في تاريخ روسيا ، وفي فضائح مدوية ايضا ، ولكن اسرة امه الاميرة فولكونسكي كانت اكثر غنى ونبلا . فقدها وهو في السنة الثانية من عمره ، وكان في التاسعة عندما توفي ابوه ، فتعهدته عماته . وفي جامعة قازان درس اللغات الشرقية والحقوق فلما بلغ التاسعة عشرة ترك العلم منصرفا الى استثمار اراضيه والسعي لاسعاد فلاحيه ، وسرعان ما خاب امله فقضى بضع سنوات يلهو في بطرسبرج ، ثم سافر الى القوقاز ملتحقا باحد اخوته ودخل الجيش فصار ضابطا . وكان كثير المطالعة ، معجبا ببوشكين ، غوغول ، مونتسكيو ، روسو . ويعترف بان تاثير روسو عليه كان عظيما .

كتب طفولة في القوقاز واصدر هذا الكتاب عام ١٨٥٢ ، ولم يكن ذكريات حقيقية بل ، كسائر رواياته ، مزيج من الحقيقة والخيال ، من اشخاص موجودين ووهميين . وعلى كل حال فان الولد الذي يضعه في الوسط هو نفسه بافراحه واتراحه ، وقد بلغ الذروة في تصوير مشاهد الطبيعة الفتانة . اما رواياته مراهقة وشباب فكانما كتبا رغم ارادته .

كان القوقاز قد اثر تأثيرا عميقا في هذا التلميذ من تلاميذ روسو واعطى اول جواب على سؤال بسطه من قبل : لماذا نعيش ؟ ففي رواية كبرى اعدها وظلت في مستوى القصة القوزاق قدم هذا الجواب العم ياروشكا رجل الطبيعة الذي يحب الاشجار والحيوانات ومع ذلك يصطادها دون ان يتألم ضميره لان هذا قانون الطبيعة ، فيقول مجيبا الفتى المتمدن : « الله صنع كل شيء لبهجة الانسان .. فما ثمة من خطيئة » . ان هذا الحب للحياة يزداد قوة عند احتكاك الجندي بالموت ... ففي حرب القرم حيث كانت كتيبة تولستوي في سيباستوبول يبدي الكاتب دهشته للبساطة التي يتالم ويموت فيها رجل الشعب الذي لا يفقه من الحرب شيئا . وهذه البساطة تكسب احاديث سيباستوبول كثيرا من الروعة ، ولكن فظائع الحصار تزعزع في نفسه الثقة بقانون الطبيعة فيعود الى بطرسبرج غاضبا . ولكنه لا يلبث ان يعاوده الامل في ان التقدم سيجعل الانسان مسالما وطيبا ، بيد ان هذا الامل يتلقى صدمات مؤلمة في اثناء رحلة قام بها الى الخارج ، الى بلد اكثر تمدنا من روسيا فاذا هو أشد فظاعة

... (لقد شاهد اعدام شخص في باريس) ، ومع ذلك فسوف يحاول المساهمة في التقدم . فأسس مدرسة في ياسنايا بوليانا ووضع كتب مطالعة للشعب ، ومضى ، في الوقت ذاته ، يجرب عيشة البساطة وسط العائلة فتزوج عام ١٨٦٢ صوفيا برس ، كان في سن الرابعة والثلاثين وهي في الثامنة عشرة رصينة ، تتدفق حيوية وسريعة الغضب ، ورغم المصادمات... فقد عاشا سعيدين في ياسنايا بوليانا سنوات طوالا ، كانت فترة خصب في انتاج تولستوي فاصدر حرب وسلم (١٨٦٤-٦٩) وانا كارنينا (١٨٧٣-٧٧).

كان تولستوي قد فكر في كتابة رواية عن رجال ثورة دسمبر ، ولتصوير زمانهم اضطر لدرس حروب نابليون فتوقف عندها . ان حرب وسلم تمثل في وقت معا الاحداث التاريخية الكبرى مع نابوليون والاسكندر وكوتوزوف والحياة اليومية لاسرتي روستوف وبولكونسكي اللتين ابتكرهما تولستوي جريا على خطته في تحويل محيطه الخاص الى بيئة اخرى معطيا الكثير من ذات نفسه للبطلين الرئيسيين ، الامير اندريه وبيار . ان له مقدرة لا تضاهى على فرض شخصيات روايته الكثيرة على ذاكرة قرائه ، فهناك الاميرة ماري الدميمة ذات النظرات الحلوة ، وبياض ساعدي هيلانة ، وغزارة حركات ناتاشا التي تركض ، وترقص ، وتشب فياضة بالحيوية . ويفدق الزينة والزخرف على نابليون ، ويدقق في وصف الفلاح المسافر في عربة صغيرة الى سمولنسك فكأنما ترى كل هذه الشخصيات راي العين . تترابط مصاير الاسرتين بسهولة. وكان اكثر صعوبة جعلها كمصاير اوربا لولا ان تولستوي يجد لالوان الاطعمة المصنوعة كل يوم قيمة عالية كقيمة النصر في معركة .

ان كبار الرجال يعتقدون بعظمتهم فنابوليون يعتقد انه يدير التاريخ كالطفل الممسك بزلاج الباب يحسب انه يقود العربة ... والحقيقة ان القدر هو الذي يسوقه . والمعركة تربح او تخسر لا بفضل عبقرية البطل ، وانما بعوامل خفية تصدر عن الجندي البسيط القريب جدا من الطبيعة . ان هذه الفكرة القابلة للجدل التي يفيض تولستوي في شرحها تصبح صورة حية حين تتجسد في نابوليون الذي اعماه ذكاؤه ، وفي كوتوزوف الرجل الضخم الهادىء الهانىء الذي ينتظر ساعة القدر ، وفي كراتاييف الجندي الذي يرضى بمكانه في الحياة والموت . يبحث الامير اندريه وبيار عن الحقيقة التي سيبنيان عليها حياتهما بين قطبين مختلفين ، على الطريق التي توصل من نابوليون الى كراتايين ، الاول بالعمل والاخر بالمضاربة الفلسفية ، واذ يتعلم هذا في الوقت المناسب من كراتاييف ، فانه يجد خيرا ان السلم في الحياة العائلية . وتندفع ناتاشا نحو هذه الحقيقة لان هذه الاميرة الصغيرة كانت بروحها قريبة جدا من الشعب ، قريبة جدا من الحياة . حرب وسلم هي نشيد للحياة ، وليس من كتاب يضارعه حيوية وبقاء . ففيه تضطرب روسيا باسلة ، هائئة في معارك ومنازعات عائلية ، في آلام واناشيد تحت جميع وجوه مشاهدها . انها الياذة واوديسا روسيا .

في انا كارنين يريد تولستوي ان يصور حياة العصر الذي عاش فيه ولكن على نطاق اضيق ، فيقدم حياة البيئة الارستقراطية التي هي حياته ، في المدينة والحقول ، حيث نجد كثيرا من الذكريات الخاصة به تحت اسم ليفين . ونتابع سير الحياة الزوجية ـ تعسة او هنيئة ، وكل منها غني بالمشاكل . تترك انا كارنين زوجها الفاضل الجاف المتفلسف لتلحق بفرونسكي اللامع ، وعلى الرغم من اخلاص هذا الاخير وكرمه فانها تمضي الى الالم فالانتحار

لقد تساءل الكثير من القراء لماذا اختار تولستوي هذه الخاتمة ، حيث يقول : « اني احتفظ لنفسي بالانتقام وانا الذي سيعاقب » ما دامت انا لم تفعل كناتاشا الا اطاعة فطرة الحياة . يجيب دوستويفسكي : لا يحق لاحد ان يبني سعادته على الم الاخرين وانا قد ضحت بالزوج والولد . ولكن تولستوي امتنع عن كل موعظة ظاهرة ، وليس تحت انظارنا سوى عبرة محزنة في امرأة عاشقة يضطرب فؤادها منذ بداية الرواية حتى نهايتها الفاجعة . ان نية الوعظ الخلقي اكثر ظهورا في العقدة الثانية من الرواية وهي التي ترسم الحب الهنيء بين ليفين وكيتي . ويتضح التطور الذي ظهر بعد حرب وسلم . يمتاز ليفين بالحياة العائلية والعمل المفيد الذي يقترحه تولستوي غاية للحياة ، ومع ذلك فان ليفين يتألم ويتساءل : لماذا نعيش ؟ ويرسل هذا السؤال في قلق يسول له الانتحار لولا ان يجيبه احد فلاحيه : « اعتقد بالله » . نحن نعلم من تولستوي في اعتراف ان هذه المأساة النفسية هي مأساته، وان سنوات السعادة الظاهرية انمت فيه القلق الديني والقلق الاجتماعي وان النور جاءه من اناس بسطاء « الايمان هو الذي يحيي الناس » وهذا الايمان التمسه من شتى الطرق : « ان غريزة الشعب لا تضل » .

وهكذا نرى تولستوي يحاول فيما بعد ممارسة المذهب الارثوذكسي ولكنه لا يجد فيه ارضاء نوازع نفسه، وانما يصل الى الاعتقاد بان الدين الذي يجب ان يكون صحيحا ما دام فيه حياة للناس قد طرأ على مجراه ما كدر صفاءه ، لانه اضحى لا يقنع العقل . ثم عكف على دارسة التوراة وترجم الانجيل وحذف منه كل ما اعتقد انه اضيف عليه ، وانتهى الى حصر تعاليمه بالعبارة التالية : « احبب قريبك كما تحب نفسك » واستخرج منه بالمنطق عقيدة اجتماعية يبشر بها ، فهو يستنكر ليس الحرب وحدها بل كل مقاومة للشر ، على اعتبار ان ذلك مخالف لقانون المحبة مسترشدا بما جاء في الانجيل : « من ضربك على خدك الايمن فادر له الايسر » ، « لا تدن لئلا تدان » .

ونتيجة لذلك ، فهو يشجب كل سلطة مبنية على العنف وعدم المساواة حتى في وجود الدولة ، يشجب الصناعة التي تخلق « العبودية في زماننا » وامتلاك ما يزيد من الاراضي عن طاقة المالك في العمل ، يشجب فتوحات المدنية المزعومة ، والتزين حتى في الفن ، على اعتبار ان ما لا يستطيع الشعب فهمه هو زينة كمالية . فماذا يبقى بعد هذا الهدم الشامل ؟ على كل انسان واجب بسيط هو ان يغذي عائلته من العمل في الارض ، واذا اتحد الجميع في المحبة الاخوية لا يبقى اي مجال للاختلاف حول المشاكل التي ادت الى انشاء الدول والجيوش والمحاكم

هذه الاراء يرددها تولستوي دون ملل في عديد من

الكراسات التي نشرت في الخارج ، الا انها كانت تتداول سرا في روسيا . وقد اصدر المجمع المقدس امرا بحرم تولستوي ، غير انه ظل يعيش مطمئنا دون ان تزعجه الحكومة بشيء في بلدته ياسنايا بوليانا التي اصبحت محجا لانصاره المتحمسين يتوافدون اليها من شتى اقطار العالم .
وكان يحاول جاهدا ان يطبق مبادئه على نظام حياته ، فوزع اراضيه على اولاده ، وزرع حقوله وصنع احذيته ، الا ان معارضة زوجته والصراع بين عواطفه العائلية ووحي عقيدته قد سببا له ماساة في نهاية العمر . وكان ثمة نزاع اخر يحز في نفسه . كان الفنان الراقد في اعماقه يتمرد على مذهبه في شجب الفن ، فيتغلب هذا المتمرد . ففي سنة ١٨٨٦ اصدر رواية موت ايفان ايليتش ، وهي رسم واقعي لحياة هادئة تشرق ضياء في ساعة الموت . وفي سنة ١٨٨٥ نشر قصة مماثلة صاحب العمل والعامل ، وفي ١٨٨٦ دراما قوة الظلمات وفي ١٨٨٩ نغمة في كروتزر ، فان تاملات تولستوي الاليمة في الزواج تسوقه الى استنكار اتحاد الرجل والمراة كعقبة دون ملكوت الرب . ومتى ادركت الانسانية هذه الحقيقة تتوارى ولكنها تكون قد سلكت سبيل النجاة . وبعد هذا النتاج المرير الذي يتضمن دراسة رائعة للحب الحسي الغيور يسترد تولستوي تفاؤله في اخر رواية كبرى له البعث (١٨٩٩) حيث يلوح ، كما في قوة الظلمات بامكان نهوض المذنب من عثرته بالاعتراف والتوبة .

وهذا موضوع من موضوعات دوستويفسكي ، ولكن هذا الاخير يرى النهوض عن طريق الحب ، بينما يحوله تولستوي نحو العمل المثمر . ومرة اخرى ، وضع الكثير من ذات نفسه والاعتراف المقنع بخطيئة شخصية في الامير نخليودوف الذي حسب انه رجل شريف الى يوم جلس فيه حكما في قضية جنائية فعرف في المتهمة ، العاهرة سلوفا فتاة نقية مغررا بها اضاعها القانون سابقا ، فعملا بالواجب ، ودون حب ، يبحث عن التوبة لاحقا بالفتاة على طرق سيبريا . اما هي ، وقد حطمها الالم ، فترفض تضحيته ، وينفتح طريق جديد لكل منهما ، فتنتهي الرواية بان يقود تولستوي القارىء الى مناظر وبيئات لم يعرفها . ويبدو الشرح طويلا مملا ولكن بعض الصفحات تسمو الى ابهى درجات النضج .

بيد انه في الكفاح بين الفنان والمفكر ينهزم الفنان . وفي الكفاح بين العواطف العائلية ونداء التنسك تنتهي الصلات التي كانت تشد تولستوي الى الانفصام .

في ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٠ هجر العجوز تولستوي بلدته ياسنايا بوليانا ، يصحبه طبيبه ، رغبة في قضاء اواخر ايامه في عزلته . وبينما كان في القطار اصيب بذات الرئة ، فانزل في بيت رئيس محطة اوستابوفو الذي حاصرته جموع غفيرة بينها كثير من الصحفيين والفضوليين وهناك اسلم الروح ذلك الرجل الذي كان تورغنيف قد سماه « كاتب روسيا العظيم » .

لقد عني تولستوي اشد العناية بعادات الفلاحين وتنبأ لهم بحسن المصير ولكن غليب اوسبنسكي (١٨٤٠ — ١٩٠٢) الذي تطغى حساسيته من جراء مصاعب الحياة وينتهي الى الجنون ، يخالف هذا الراي فيقول ان الفلاح مادي ، مشدود زراعيا الى الارض ، مقضي عليه من جانب الراسمالية بالانحلال . وعلى النقيض من ذلك نجد ان كورولنكو (١٨٥٣ — ١٩٢١) رغم المحن التي عاناها في المنفى بسيبريا يحتفظ كتولستوي بايمانه بالانسانية .

وقد كرس كورولنكو حياته الطويلة سواء في عهد القياصرة ام في ظل النظام السوفياتي لخدمة البائسين والمضطهدين .

التشاؤم في نهاية القرن — كانت الصحة الخلقية الممتازة التي نعم بها كل من تولستوي وكورولنكو شذوذا في نهاية القرن التاسع عشر المتشائم ، فمعظم الكتاب كانوا متشائمين في ذلك الجو الثقيل حيث انتصرت الرجعية وتحطمت الافكار الكريمة ، وانكمشت على نفسها . واللوحات التي رسمها المؤلفون الروائيون تمثل مجتمعا يحتضر ويتقبل الموت راضيا ، لا امل له في نهضة ممكنة وبعث منتظر . وهذا الجو سيطر على غارشين الذي انتحر عام ١٨٨٨ وهو في الثانية والثلاثين : شخصياته في « الضمير المريض » معذبون كشخصيات دوستويفسكي من جراء معضلة الشر ، ولكن الديانة المسيحية لا تنجيهم. جنود يموتون دون ان يعلموا لاي سبب ، وعمال مكدودون في عمل لا انساني . وحيوانات حتى ونباتات مكتوب عليها الالم .

ويقدم نتاج تشيخوف متنوعات من الاقاصيص ، خالية من الزخرف الفني ومسرحيات تمثل المجتمع الروسي على وشك الثورة ، وله اقاصيص هزلية مليئة بالفكاهة يرجع تاليفها الى عهد شبابه ومع ذلك فان الكآبة ترقد في اعماقها . انطوان تشيخوف (١٨٦٠ — ١٩٠٤) هو ابن بقال في تاغانروغ ، تلقى دروس الطب في موسكو. ولكيسب معيشته ورزق عياله شرع يكتب احاديث صغيرة اقترنت سريعا بالنجاح ، فعدل عن ممارسة الطب وحقق حلمه بامتلاك مزرعة في الريف . لكن السل اضطره لمغادرتها الى القرم ، وكا نمريضا مدنفا حين تزوج بالممثلة اولغا كنيبر ومات اثناء اقامته في الغابة السوداء .

يمتاز تشيخوف على معظم الروائيين الروس بوفرة الاطلاع التي اكتسبها خلال طوافه بالعواصم والارياف على مختلف البيئات الروسية . ويكفي ان تقرا احاديثه التي خص بها الطفولة لتلمس مدى حساسيته وعمق تفكيره ، الا انه بعيد عن زخرف الخيال ، ضعيف الامل في فضائل الفلاح وجهود المثقفين . ان فلاحيه قد حطمهم البؤس والكحول . فايمانهم سطحي واخلاقهم بهيمية ، والاسر النبيلة تتخبط لاحراز ظروف معيشة افضل على غير جدوى . والصناع كادحون ، اما حياة الرفاهية فانها وقف على التجار الاغنياء . لكن هؤلاء ليس لهم مثل اعلى . ان الطلاب المتطلعين لمهمة كريمة هم كثيرون ولكن هذه الشعلة تنطفىء سريعا في طبيب الريف المرهق بالعمل المنعزل في بيئة جاهلة . ان الموظف والقاضي والاستاذ المحصورين في تفاهة البلدة الصغيرة يعيشون حتما على هامش الحياة او متهالكين على اعتاب رؤسائهم طمعا بالترقية والوسام . حتى المثقف من الطبقة العالية والفنان والعالم اسراء « الروتين » وفي قصة مملة يرد احد الاساتذة على فتاة سالته عن مبدأ الحياة : « لست ادري »

ومشاغل الحياة تزداد يوما بعد يوم فلا حب ولا مثل اعلى يقاومها ... ذلك هو موضوع انتاج تشيخوف . اشخاص روايته يأسون لقلة جدوى جهودهم فيكفون عن الكفاح وينتظرون الموت .

اما اشخاص فيدور سولوغوب (١٨٦٣ – ١٩٢٦) الروائي الشاعر والمؤلف المسرحي ، فلا يستسلمون للقدر انهم يكرهون الحياة ، فالرغبة في الموت تساورهم جميعا حتى الاطفال . والذين يعتقدون بالحياة هم كالاطياف . وينبثق من رواية ابليس الحقير جو الضجر والسأم في مدينة صغيرة ينصرف اهلها الى الفودكا والمنازعات وزبدة الرواية رسالة وشاية مغفلة تدور حول بيرودونوف .

غوركي – يمكن تصور شعور الخلاص الذي استقبل به الجمهور ، خلال هذه الفترة من اليأس الشامل ، قهقهة المتشردين في روايات غوركي . فهؤلاء لا يتضجرون من الحياة ، رغم التعاسة التي يعيشون فيها والاخطار المحدقة بهم ، يأكلون بشهية ، ولا يكترثون للبلاء .

ولد الكسيس بتشكوف (الاسم الحقيقي لمكسيم غوركي) عام ١٨٦٨ وترعرع في نيجني – نوفغورود باحضان عائلة صناعية جافة الطباع . ومنذ ان كان في سن العاشرة تقلب في جميع المهن ، متنقلا من مدينة الى اخرى ، فكان حمالا في اوديسا ، فرانا في قازان ، مستخدم سكة حديد في تفليس وقرأ حسب الصدف روايات فرنسية لبلزاك ، دوماس الاب ، بونسون ، دترايل وفي ١٨٩٢ اصدر قصة مكار تشودرا في جريدة القوقاز وانتفع برعاية كورولنكو فسرعان ما اقبل عليه التوفيق الباهر في الخارج كما في روسيا ، وما لبثت شهرته ان طبقت الافاق اثر ظهور بعض مسرحياته (١٩٠٢) .

ان في اقاصيص غوركي الكثير من الرومانطيقية ، فلا المشاهد ولا الطبائع ما يشعر بالحقيقة المطلقة ، ولكن هذه الرومانطيقية نفسها تحمل تجدد الشباب للجمهور المتململ من سخافة التحليلات النفسانية . فتحت السماء المشرقة والريح العاتية في السهول الشاسعة من الجنوب تتجلى سحنات متصلبة لمغامرين ومهربين وافاقين لا يثنيهم العمل الشاق ولا يتورعون عن الفساد والجريمة ، ولا يكرهون سوى الحياة الرتيبة في ابن المدينة والفلاح . ونلمس قوة جديدة حتى في صدر اكثرهم اخفاقا وفشلا .

ثم طرأ على غوركي تطور نقله في آن واحد من الفوضوية الى الماركسية ، ومن الرومانطيقية الى الواقعية ، ولم يعد ابطاله من المتشردين الافاقين بل من المستخدمين والتجار كما عرفهم في صباه . وقد اصدر فوما غورديف ، ماتفيي كوجمياكين ، وبعد امد طويل (١٩٢٥) قضية ارتامونوف قصة الارتفاع والانحطاط في حياة اسرة بورجوازية . ففي هذه المؤلفات كلها لوحات قاتمة الالوان ، الا ان غوركي يضع قبالة هؤلاء البورجوازيين الكبار والصغار العمال الذين يهيئون الثورة والذين حافظوا على حمية ابطاله الاولين وصقلوها ونظموها . ان السياسة العارمة تضر احيانا بحقيقة الطبائع في رواية الام الى جانب الصفحات الرائعة . واخر روايات غوركي حياة كليم سامغوين تصف الثورة المنطلقة في سيرها .

ولكن الروائي لا يصل الى اوج القوة الا عندما يروي قصة شبابه ، وليس بين اشخاصه الخياليين من هو احق بالتخليد من الجد الفظيع والاعمام السكيرين الافظاظ والجدة اللطيفة الصابرة في قصة طفولة ، وكذلك شخصيته بالذات كما نراها ، حساسة متمردة في الجزء الاول من الذكريات وما تلاه من اجزاء . انه ينتقل عن بعد سحيق بالفكر الى موطنه : بعد اخفاق ثورة ١٩٠٥ اضطر لمغادرة روسيا ، فاقام ردحا من الزمن في نيويورك ثم استقر في كابري وعاد منها مرتين ، الاولى في اثناء الحرب مما اتاح له ان يشهد انتصار الثورة وان يتولى الدفاع عن قيمها الثقافية . والمرة الثانية عاد ليموت في وطنه عام ١٩٣٦

واقعيون ورمزيون

ليونيد اندرييف (١٨٧١ – ١٩٢١) روائي ومسرحي يشبه غوركي في عقائده السياسية ولكنه يختلف عنه مزاجا هو اقل اهتماما للعالم الخارجي منه لسر المصاير ، فنراه يميل الى اعطاء قيمة رمزية للاخلاق ويسبح الموت فوق نتاجه كما في رواية سولوغوب . وفي قصة المشانيق السبعة دراسة لانعكاسات الحكم الرهيب في نفوس المحكوم عليهم بالعقوبة القصوى . اما في قصة نير الحرب فيصور اثر الاحداث الكبرى على نفس الرجل الذي يقبع في مؤخرة الجيش .

ويرسم كوبرين ، تلميذ غوركي ، الجو المكفهر في مدينة صغيرة للحامية بكثير من القوة في قصة « المبارزة » واشتداد الحركة بمرفأ كبير « كامبرينوس » وحياة العاهرات في « الحفرة » ولكن الامعان في التعليل يفسد السياق احيانا . ولكن لا نستطيع توجيه مثل هذه الملاحظة الى ايفان بونين (المولود عام ١٨٧٠ والحائز على جائزة نوبل) فانه يظل محافظا على موضوعيته مستخدما موهبته وانشاءه الواضح الملون في تصوير حياة اثنين من الفلاحين في قصة « القرية » ، وهو يبدع في سرد الرحلة المزدوجة التي يقوم بها بطل قصته « سيد سان فرنسيسكو » الذي يذهب حيا مفعما بالمشاريع ثم يعود الى قبره .

والى جانب تراث الرواية الواقعية التي حافظ عليها شميليف ، وزاميتسيف وغيرهما تتجلى ظاهرة معاكسة في نهاية القرن التاسع عشر مرتبطة بانتفاضة الشعر الرمزي . فان مريجكوفسكي يعتقد ان الرواية التاريخية ليست الا تتويجا للفكرة التي تملأ انتاجه (شعرا ومسرحيات وانتقادا) ومحاولة للتوفيق بين الديانة المسيحية والثقافة الوثنية ، بين الروح الناصرية والروح اليونانية ، وتمهر الروايات الثلاث كريست ، أنتيكريست لجوليان ، الابوستات ليونار ده فنشي ، بيار والكسيس المراحل الثلاث لهذا المذهب .

ثم ان الشاعر اندره بيلي يهتم للمعضلة الازلية في توجيه روسيا : انحو الشرق ام الغرب ؟ فالحمامة الفضية (١٩١٠) تحدثنا عن النهاية الفاجعة لمثقف يقاسي تمسك جماعة من المتعصبين بعقيدتهم .

وعلى عتبة الثورة كانت المؤلفات الروائية غزيرة متنوعة ، ولكن دور ازدهارها ولى ، فالثورة جاءت تلقحها بافكار جديدة .

مارسيل أهرار

رحلة قلب

*

حسنـك يدعوني لماضي الغـرام
والنفس من حشد الاسى في زحام

ازلت مـا قـدست في وحدتـي
لما مشت دنيـاك في غربتـي

يا فتنتي أنت اللهيـب الجديد
يا زهرتي أنت الربيع الوليـد

طلعـت في أفقـي يـا نجمتي
وجئـت بالبهجـة في مهجتـي

صغيرتي ، اني لاخشى الهـوى
ماذا دهى قلبـك حتى هوى

لا تعذليني ان قصرت الخطى
فقد غـدوت اليوم بعـد السرى

اعيـاني الركـض قديمـا بـه
ماذا جنت روحـي بمحرابـه

اعيـاني الركض قديمـا فمـا
وكلمـا عينـي رات مغرمـا

يا لك مـن غار سحيق القرار
يا حب يا لحـد النفـوس الكبـار

لا تزدهـي بالحب أو تطـربـي
لـن تستطيعي اليوم ان تثقبـي

اثرت في الولـع الكامنـا
ولـم تصـوني حسنـك الفاتنا

لا ، لـم تصونيـه ولـم تنصفـي
يا ويل هـذا الجسد المدنـف

يا ويله والـداء يسري بـه
بعثت مـا ودع مـن حبـه

وآه لو كنت اعـرت القتـام
ما نفع هذي النار ، نار الغـرام

ما نفعها بعـد انطفـاء الشموع
يا حسرتا ان يتلاشـى الربيـع

يا حسرتا الا يـدوم الرحيـق
قبلهـا الفجر وقبل الشروق

لم يبـق الا الذكر الغاليـة
بعض شجا الافئدة الوافيـة

والفكـر يأبى ان يجيـب الدعـاء
والقلب يهوى ان يلبي النـداء

من ذكرياتي في بـكور الشباب
بسحرهـا والرغبـات العذاب

في قلبـي الداخـن بالتجربه
منبثقـا في أرضي المجدبـه

فكيف لم يحجبك داجي الغيوم ؟
فهل توقيت عويـل الهمـوم ؟

عليـك ، ان الحب داء عقيـم
في شرك الحب الجديد القديـم !

والحب يا حواء درب طويـل
في ليله أخشى عـذاب الوصول

ونـوءت منـه بالهمـوم الثقال
غير رؤى الوهم وفقد المثـال

عدت لابغي منـه غـير النجـاء
أشفقت مما شفه مـن عنـاء

تهوى به الروح لغـير ارتجـاع
كم باركوا فيك النعيم المضاع !

يا طفلتي ، هـذا طريق الشقـاء
شفافـه المنسوج مـن كبريـاء

وهجت في كابي الضلوع الرماد
عن لفحـة اضرمتهـا في الفؤاد

ميت الهوى الموؤود بـين الضلوع
يحمل روحا ريهـا من دموع !

مسرى الصدى المرتاح بين العناه
والحب في ظنك نبض الحيـاه

ظـلا مـن النور الـذي تحملـين
والقلب أشلاء مدمى طعـين ؟

ومصرع الاطياف بـين الدجى ؟
وتخفت الاصداء بـين الربى ؟

على شفاه ساحـرات اللمـى
أصابها الدهـر بسهـم الظما !

هـذا نصيبي من حصاد الهوى
أعجلها للظعـن داعي النـوى

القـاهـرة — **حسـن فتـح البـاب**

من الشعر الاسباني المعاصر

لـكارمن كونـده
Carmen Conde

ترجمـة محسن جمـال الدين
جامعة برشلونـة باسبانيا

قائدة الشعر النسوي الاسباني المعاصر دون منازع او مدافع . شاعرة ،كاتبة ، روائية من نوع الادب الواقعي المعتدل . المزين بجميل الصور ، والوان التعابير . لم تنس الطابع الاسباني الشعبي الاصيل في اشعارها ومقالاتهـا . ساهمت في تحرير عدة مجلات وصحف . ولدت في قرطاجنة عام ١٩٠٧ - وتجولت بعدة مدن وسكنت مدريد - بلنسية - برشلونة - مراكش - نالت شهادة فن التدريس - ودرست الاداب والفلسفة بتفهم وعمق !! اصدرت عدة مؤلفات نثرية وشعرية منها : تهليل ١٩٣٤ ، محبة الروح ١٩٤٤ ، تمنيـات الشكر ١٩٤٥ ، امراة بلا جنة ١٩٤٧ ، تكوين الضوء ١٩٤٧ ، نور الارض ١٩٥١ ، في ايدي الصمت ١٩٥١ . هذا وقد كرمتها الاوساط الادبية الرفيعة. ومقامات الشعر الاسباني . واصدرت بالاحتفال بها مجموعة « رسائل الشعر » عام ١٩٥١. وها هي نفحات من جميل ازهارها ،وعبق عطورها ، ورائق ابداعها .

غيـاب الحبيـب

رجعت من الطريق بدون زهور
ذهبت الى النهر لاجد خيالي
يا لها من وحدة مطبوعة لقمر منفرد
يا لها من عزلة لماء خال من حوريات حمر
يا له من انفراد لشجر الصنوبر التائه
ذهبت لانتزع عيوني ،
التي تركتها على شاطىء النهر

وجـــود ...

عريانـة .. ممسكة بعريان
صدورنا كالثلج المولود جديدا
كتفي تفتح تحت كتفيك
صفحة الماء القريبة من صدرك
وانت تتهادى عـلي
سارفع ذراعي مستندة
على ذراعيك ، في الهواء .
لـكي اقدر ان انتهي من حلم النوم اللذيذ
لان الشمس ستر تاح على جبهتي
روافد انهارك تكون انهاري
لنمشي متحدين سوية
وانت ستكون شراعي
وانا ساحملك الى ابحر مجهولة خفية
يا لها من عظمة لهذا الاتحاد الجغرافي
يداك على يدي عيناك في عيني
طيورك على اشجاري وازهارك في راسي

انطفـــاء

الصدور تتهادى مثل اوراق يابسة
على صفحة الماء
صدور متفضنة خجلة هاربة
أمس امتلأت حياتي سعادة
وارتحت في حياة حلوة
معجونة ، بيضاء كالحليب
قبلاتنا في خلسة عن آبائنا
بانفاس معطرة رافقت خطوتنا
وقلوبنا كالبراكين الصغيرة
وكالازهار الكبيرة المعتدلة ذات العطور
مع صراحتك التي ابتدات مع حبنا
الحمائم تنشد وتقول :
ان صدري هو الجمال ، وهو الحمائم
هذا ويدي تغطي فقاقيعك العارية
ومن هذا الحب كان الطفل ،
وهو الفم الاخر
الذي اشتريته باتصالاتك المترددة
وتحت جناح قلبي المتالم
وصدري المجروح

تملـك

ابتعد عني
صداك ثقيل على حياتي
كنت اغنية ملونة خالدة
غصت في صمتي وسكوني
كنت الشمس التي تسند الجدول
والتي تنهض الشجرة
ولهذا وفي الكوكب الصغير
كان صوتك الخالد

قصة عراقية

عربة على المنحدر

بقلم انور محمود سامي

○ ◯ ○

في منتصف بلدتنا تقوم هضبة معتدلة الارتفاع تحيط بها الاحياء والشوارع من كافة الجهات ، عدا الجهة الغربية حيث يمتد شارع يطل على النهر الذي يخترق البلدة ويمتليء بسيول المياه كل شتاء ويجف في الصيف ، وعلى حواف الهضبة العالية بنيت بيوت قديمة رمادية اللون مرتفعة الجدران تحيط بالبيوت الاخرى التي تزدحم بها الهضبة ، ويتخلل كل هذه البيوت ازقة وحارات موحلة عامرة بالطين العفن المزرق ، وباكوام النفايات ، والروائح الرطبة الكريهة التي تسوقها الريح الحارة في الصيف خلال الازقة وعبر ابواب البيوت المفتوحة . وحتى اليوم ، ما زالت عجائز بلدتنا يروين القصص عن الملك الذي كوم هذه الكمية الهائلة من التراب ، وجعل منها هذه الهضبة الصغيرة ، وانشأ فوقها قلعة محصنة منذ الاف السنين ليحتمي فيها ، ويجعلها درعا يقي المناطق التي حولها من غارات الاعداء ، وان شبابنا وصغارنا يصغون الى تأريخ هذه الهضبة ، التي لا نزال نسميها « القلعة » ويستمتعون بحكايات المعارك التي حدثت فيها ، حين يتحلقون حول عجوز تروي لهم القصص في ليالي الصيف القمراء الباردة ، فوق السطوح ، ويرنون بأعينهم الى حيث تربض هي ببيوتها التي تبدو ككتل عظيمة من الظلام ، وتشرق مئذنة جامعها باضواء ملونة.

وقلعتنا يرقى اليها بثلاثة طرق ، احدها يبدأ من الشارع الذي يوازي النهر ، وهو سلم عريض من الاسمنت اما الاثنان الباقيان فيبدآن من السوق التي يحيط بها من جهات ثلاث ، واحد هذين الطريقين ضيق شديد الانحدار مبلط بالقير ، وعلى جانبيه تقوم بيوت مرتفعة الحيطان ، وبضعة دكاكين ، ومخزن للصوف والجلود كثيرا ما يزدحم بالحمالين ، وقد تقف امامه سيارة شحن لتحمل بالصوف والجلود المتعفنة من جراء رطوبة المخزن ، وهناك على الجهة اليمنى للطريق عند الصعود لوحة سوداء كتب عليها « ريجينه مراد ، قابلة ماذونة » وحين تبلغ نهاية الطريق في أعلى القلعة ـ حيث يخف ارتفاعها من هذه الجهة نوعا ما ـ يتشعب الطريق الضيق الى ازقة تجري منها اقنية مياه قذرة تلتقي كلها لتشكل قناة واحدة كأنها لسان ثعبان اسود .

في أحد الازقة كان الاسطى محمد يقف قبالة احد البيوت في الزقاق المتعرج مستندا بظهره الى الحائط ، وهو رجل جاوز عهد الشباب بقليل ، ذو وجه عريض نحاسي اللون ، ولحية قصيرة سوداء ، وفم متسع ، وحاجبين يتراقصان كلما تكلم بانفعال يرتدي « شروالا » اخضر غامقا وسخا ، وفوقه سترة مستعملة متآكلة الاكمام ، والياقة مغطاة بالدهون وهي من ذلك النوع الذي يباع في سوق « القيصرية » في بلدتنا .

كانت اشعة شمس الصباح صفراء على بعد قدم او اكثر من سمت رأسه بينما اشرقت اشراقا مريضا على الاجزاء العليا من حيطان البيوت ، وكان بمقدوره ان يشم رائحة القداح الذي ازدحمت به شجرة برتقال برزت من خلف احد الحيطان الواطئة واخذت تنفث أريج زهورها البيضاء مع النسمات الخفيفة التي كانت تمر في تلك الساعة المبكرة من ذلك الصباح الربيعي .

احس بانتعاش مريح ، وفضلا من شذا القداح ، كان الغبار يملأ الجو حوله ، غبار ابيض يتصاعد من الانقاض التي تختلط فيها قطع الصخر والجص واكوام التراب المتبقية بعد بناء الحائط في البيت الذي يقابل الاسطى محمد ، وكان العامل الذي انيطت به مهمة رفع الانقاض ناشطا يقذف بها بمسحاته فوق عربة الاسطى محمد الخشبية المستطيلة التي تقوم على اطارين من اطارات السيارات ، تصل بينهما اسطوانة حديدية طويلة شدت العربة من وسطها اليها ، وكانت العربة مستقرة بشكل مائل مستندة على ذراعين من الخشب يمتدان خارج جسمها المستطيل يصل بينهما حزام من المطاط السميك يستعمل عند سحبها

واصل الاسطى محمد وقفته ، وكان يرى شريكه « عبد الله الصغير » كما ينادونه في السوق سواء من قبل اصحاب محلات الخضراوات ، او من قبل رفقته من الحمالين فهو صغير ضئيل الجسم ، ولا عجب فكلاهما من زمرة الحمالين الذين يجوبون السوق بحثا عن زبون ، ثم عملا معا في علوة « علي افندي » وفي سنة واحدة جمعا عشرين دينارا اشتريا بها هذه العربة التي يفخران بها على بقية معارفهم . كان شريكه يكبره كثيرا ، كما تدل على ذلك شعرات رأسه الظاهرة على شكل دائرة خالط السواد فيها بعض البياض ، دائرة تحيط بها عمامته البيضاء المنقطة بالسواد التي لفها بلا طاقية ، كان شريكه يحاول جاهدا الا يدع شيئا من قطع الاحجار يتساقط من حواف العربة التي لا حاشية لها ، ويربت بكفه المعروقة السمراء على الاطمار ليفحص مقدار الهواء فيه ، ويمسح بين الحين والاخر التراب عن وجهه بكم لبدته القصيرة التي لبسها على « شروال » أسود طويل فضفاض .

وعلى بعد قريب منه ، كان فتى متين البناء ، اصفر الوجه ، ذو عينين ضيقتين تطل منهما نظرة كئيبة ، يقبع ساكنا ، يحدق فيما يدور حوله ، وكان الاسطى محمد قد استأجره ليعاونهما في دفع العربة وانزالها من القلعة الى السوق ثم الى وادي النهر حيث يفرغونها ، وحين لحظه ، نهره بصوته الغليظ الذي بدا غريبا على سمعه في ذلك الصباح ، فنهض الفتى صاغرا ليشارك في ترتيب الاحجار وقطع الانقاض على العربة .

السماء فوقهم عالية جدا ، غامقة الزرقة ، شديدة الصفاء ، والصباح الباكر هادىء ، غير ان الضوضاء تنمو تدريجيا ، فهناك ابواب تفتح

وتقفل ، وقد تخرج طفلة شعثاء الشعر ، مخمورة العينين لتبتاع قليلا من الباقلاء المسلوقة من البائع الذي يدور بقدره البيضاء ويصيح مناديا على بضاعته ، او يتصاعد الموقد النفطي ، وهو يعمل من وراء احد الابواب . ومع ذلك شعر الاسطى محمد بالوحدة ، وبقلق غامض طفق يبحث عن سببه حتى وجده ، فمنذ ان جاء الى هنا منذ برهة لينقل اول دفعة من الانقاض كما اتفق مع صاحب الدار بالامس ، وهو يفكر في امر انزال العربة بحملها الثقيل في الطريق الذي ينحدر الى السوق ، كانت هذه مشكلة عويصة ، زاد من تجسيمها وتهويلها، خبرته الطويلة في هذا العمل ، انه يفكر بعقل رجل العمل الذي يفهم دقائق الامور .

اخرج علبة من الصفيح ، وتناول سيكارة ، ودار بالعلبة على الاخرين، فتناول الشريك سيكارتين ، له وللفتى ذو الوجه الاصفر ، بينما واصل الرجل الرابع تحميل العربة ووسقها . امتص الدخان من لفافته، ونفثه في ضجر ، وكان طعم التبغ الرديء لا بأس به ، وقدر في سره الوقت الذي ستكون فيه العربة جاهزة للسير ، وسعل بشدة ثم قذف ببصقة لزجة على التراب الرطب

بعد قليل ، كانت العربة قد اخرجت من فم الزقاق ، واوصلت الى رأس المنحدر ، والاسطى بين ذراعيها الخشبيتين ، منصرف الى سحبها كفأر في فخ محكم ، وقد توتر الحزام المطاطي على حوضه ، ويداه متشبثتان بالخشبتين ، وشريكه والفتى يدفعانها من الخلف ، وحين بلغ رأس المنحدر صاح بهما ان يقفا ، ثم جعل العربة تتكىء على مؤخرتها .

الان كان بمستطاعه ان يمد بصره عبر الطريق المنحدر ، حيث يلتوي في نهايته حتى يبلغ السوق ، وبدا له الانحدار شديدا ، والقير الذي يغطي الطريق المبتل في بعض المواقع قد يعرضه للانزلاق ، والحيطان المرتفعة السمراء تحيط به من الجانبين وعلى امتداد البصر كان الافق يبدو بعيدا خلف المدينة ، وعند الافق ايضا كان هناك شريط من جبال زرقاء اللون يكتنفها شيء كالضباب ، وخضرة الربيع تكسو الحقول المترامية في كل اتجاه ، ومئذنة عالية لجامع يقع في السوق تبدو مزخرفة محلاة بطابوق ملون .

كان الوجيف قد انتاب قلبه ، فالحمل ثقيل ، وهو يجر العربة من الامام ، وسطعت في طاقتي انفه رائحة القذارة التي بدأت تتصاعد من صدره الكثيف الشعر ، فقد جعله دفء الجو الذي يتزايد بمرور الوقت يعرق .

التفت الى صاحبيه وقال :

ـ حسنا ايها الاخوان ، انكما تشاهدان اية ارض سنسير عليها ، وتعلمان اي ثقل سنسحب ، فيجب ان تحذرا ، وهكذا ... فليمسك احدكما بمؤخرة العربة جيدا ، ويمسك الاخر بجانب منها ، تعلقا بها عندما نهبط ... آه اي حمل ثقيل هذا ..

فأجابه شريكه وهو يهز رأسه

ـ أنا لا ادري كيف سنوقف العربة من الاندفاع فيما اذا افلتت ، احسب ان ذلك يحتاج الى زوج من الحمير .

ـ انني اعلم ان ذلك امر صعب ، ولكن ماذا تريدني ان افعل ، هل نقف هنا حتى يأتي صاحب الدار ، ليأخذ احجاره ويدفع اجرتنا ، استعينوا بالله .. يا الله .. الله .. يا حي .. وفي هذه اللحظة التفت اليه بعض المارة وهو يصيح بشريكه ان يقبض على مؤخرة العربة ، ثم بصق في يديه ، بينما تنحنح شريكه، وسار ذو الوجه الاصفر بهدوء ليمسك بالجانب الايمن من العربة ، وادخل الاسطى جسمه في الفراغ بين ذراعي العربة الخشبيتين والحزام المطاطي ، فأصبح في قيد مستطيل وتعلق بالحزام حتى جعل العربة في وضع افقي ملائم للسير ، وصاح في صاحبيه

ـ هيا ، انها اسهل قيادا في بادىء الامر ، ولكنني ادعو الله ان يحفظنا في النهاية ...

تحركت العربة ، وفي تلك اللحظة احس الاسطى محمد بان اندفاع العربة لا يمكن ان يطاق او يصدوانها ستجرفه امامها .. بضع اقدام ، وما عاد يسيطر على اتجاه سيرها ، بل اندفعت العربة زاحفة على مؤخرتها ، واعوج خط سيرها ، فاصطدمت بالحائط الايمن .

افاق الاسطى من المفاجأة على صياح عال ، فالتفت وخرج من محله، فرأى شريكه لا يزال ممسكا بالمؤخرة، اما الفتى ذو القامة المتينة البناء، فقد كانت ساقه محشورة بين العربة والحائط ، وكتفه قد اصطدمت بعمود كهربائي ملاصق للجدار ، ولا بد انه كان يشعر بالم بالغ جعله يطلق صوتا مزعجا ادى الى تجميع المارة والاطفال الذين كانوا يزدادون بمرور الوقت في ذلك الصباح . وحين نظر الى وجهه طالعته نظرة خائفة فاستعان ببعض المارة الذين اقبلوا لمعاونته . واخرجوا الفتى من ورطته فاستلقى هذا على الارض باكيا كالطفل ، قاذفا بكلام كالهذيان :

ـ لا بد ان ساقي قد كسرت ، آه ان كتفي ليؤلمني، اية تعاسة حشرت فيها!

ـ هس ، ما هذا الخوف ، هل انت جبان ، هيا ايها الاسد ، دعني ارى ساقك وكتفك . وحين كشف ملابسه لم يجد اثار جروح ، فانهضه من رقدته ، غير ان الفتى ما كان في حاله الاولى ، فقد كان الالم يعتصره، واخذ يلاحظ ذاهلا مستكينا حاجبي الاسطى وهما يتراقصان من الانفعال وتتقلص الفسحة بينهما وتنبسط .

في النهاية قال الاسطى مخاطبا شريكه :

ـ ماذا سنفعل ؟

وكان المارة الذين جذبتهم الحادثة يشكلون طوقا من الزحام حولهم مما زاد في حرارة الجو ، وبدأ الكل يدلي برأيه في الطريقة الناجعة للخروج من المأزق . بيد ان الاسطى التفت الى الاولاد الذين كانوا اكثر الجميع تشوقا للمساهمة في مهمة كهذه، وقال:

ـ يا ابنائي ، هل لي ان اسألكم ان تعينوننا على ما نحن فيه ، تعلقوا خلف العربة وليركب بعضكم على الجزء الخلفي حتى تغدو ثقيلة فنقدر على النزول .

وفي الحال ، ضج بعض الاطفال بالضحك من سحنته الغريبة ، بينما احدث الباقون ضوضاء تدل على ترحيبهم فتعلقوا خلف العربة ، وبعد ان عاد بها الاسطى الى الاتجاه المطلوب ، بدأ بالسير ، والعربة تزحف على مؤخرتها ، بينما مقدمتها مرفوعة بشكل استهوى عقول الصغار فاخذوا يتهامسون ، وكان الاسطى ينطلق محذرا بين برهة واخرى ، وحين بلغوا الالتواء في نهاية الطريق اسرعت العربة قليلا فارتعب اغلب

شتاء

شتاء ... شتاء ...
ينقر في جبهتي
ينتف من مهجتي
وريح شمالية باردة
تلف الطريق
وتغمر بالطين وجه الطريق
وتغمره بالحصى والرمال
وتملأه حفرا وتلال
وشيء كناب الحريق
ينقر في جبهتي
ينتف من مهجتي
ويركم في نفسي المجهدة
ظلال الشتاء ...
ولون المساء ...

شتاء ... شتاء ...
حياتي شتاء
حياتي ككانون برق ورعد
وثلج وبرد
وريح شمالية باردة

وقصف حقود ووغد
ينقر في جبهتي
ينتف من مهجتي
ويركم في نفسي المجهدة
ظلال الشتاء
ولون المساء

متى تبزغ الشمس في مشرقي
متى التقي
بموكب زهر
بموكب عطر
بقطرة طل نقي
نقي كحب ..
كشيء جميل حنون يرف بهدب

سأرحل يوما على جنح غيمه
لاسكن خيمه
بعيدا .. بعيدا بحضن الاقاحي
سأرحل يوما وطي جناحي
حبيا أحب ، وضوء صباح

دمشـق — اليـاس الفاضـل

الصبيان وتركوها فاندفعت الى السوق وكادت ان تدهس دراجة مارة لولا محاولة الاسطى المستميتة لايقافها حتى بلغ بها جانب احد الارصفة .

وقف الاثنان دون ان يتكلما ، الاسطى يلهث ويبتلع ريقه بعسر ، وذراعاه اللتان كان قد شمر عنهما قد نفرت شرايينهما ، وشريكه الصغير، شاحب الوجه ، تلمع في تجاعيد وجهه حبات صغيرة من العرق ، ويتنفس بصعوبة .

كان الاسطى ينظر خلفه الان ، فلمح ذا الوجه الاصفر ، يخطو بوهن ، يحاول عبثا ان يسرع ليلحق بهما ، وراسه منكس الى الاسفل كراس كلب حقير تلقى ضربة منذ قليل .

مسح الاسطى وجهه بظاهر كفه ، ثم أخذ شهيقا عميقا ونفثه بارتياح، وبدأ يفكر فيما سيفعله في المرات القادمة حين يعود لينقل البقية الباقية من الانقضاض ، ثم توجه بالكلام الى شريكه :

ــ يبدو ان المسكين قد اصيب بأذى كبير ، ولكن لا بأس به الان ،غير انه لن يقوى على الحركة حين تبرد حرارة الصدمة في اخر النهار .

وظل الشريك صامتا ، وحين وصل ذو الوجه الاصفر واستعد الجميع للمضي ، بدأت العربة تسير نحو وادي النهر الذي يخترق بلدتنا ويمتلىء بسيول المياه في الشتاء ، ويجف في الصيف ، ورغم الضجيج الذي كان يحيط بهم وهم يشقون طريقهم في السوق نحو الوادي ، فقد استمر الاسطى مفكرا في الطريق المنحدر ، وكانت السماء تمتد فوق المدينة زرقاء صافية ، وبراعم الاشجار العارية تتفتق في اشعة شمس الصباح الدافئة .

العراق ــ كركوك — انور محمود سامي

الباكية

الى التي رايتها تشيع حبها الاول بالدموع

لِمَ تبكينَ ؟
ستنسينَ الحبُّ الاول.
وسيأتي بعد الخائن شخص ثاني
يرمي الازهار على دربك
عند القدمين منوَّعة الالوانِ
وسيدعوكِ : القديّس الامثل.
والمحبوب الافضل.
وسيشرب من خمر الثغرِ
كؤوساً ، لا ككؤوس الحانِ
بل أصفى ،
أغنى من ينبوع الزهر الفتّانِ
لا تبكينَ ...
ستنسينَ ...
سيأتيكِ الشخص الثاني
انْ كنتِ تريدين الموعدَ
عند النهر سيأتيكِ الموعد.
وسيأتي الشخص الثاني
فتعودينَ كما كنتِ
تحبينَ الدنيا
وترودينَ الدرب العاشقَ
قصدَ اللقيا
وستسري الهمساتُ : أحبت.
ها عادت تضحك للدنيا

وتغني للموعد.
ويغنيها المحبوب غناءاً أعذب.
وتسير واياه على دربٍ أرحب.
لا تبكينَ ...
ستنسينَ ...
سيأتيكِ الشخص الثاني
ان كنتِ .. وماذا كنتِ تريدينَ
سوى السير الى درب الحب
وسوى خفقات القلب
والخوف : اذا جاء أبي ورآنا
أو اختي أو امي
ماذا سيكون عقابي ؟
الباب ستغلق في وجهي
واذا ما موعدنا حانا
سأظل ببيتي أبكي
وعيوني ترنو للبابِ
ويكاد الدمع يساقط من عيني
وأنا انظر للساعة :
ها ... فات الوقت
لا تبكينَ ...
ستنسينَ ...
سيأتيكِ الشخص الثاني

العراق ــ الحلة   علي الحسيني



١ ـ مبادىء من باريس

لممدوح مولود ـ مجموعة قصص ـ ١٠٨ صفحة ـ مطبعة الثقافة بحلب

●

يلزمني شكر الاخ مولود مرتين ، الاولى لانه تجشم ، مشكورا ، عناء ابراد مجموعة قصصه لي ـ استجابة للنداء الاخوي الذي وجهته الى كل الاخوان الشعراء والكتاب العرب حول ارسال نسخة من كتبهم الجديدة لتقييمها بما تستحق وانقاذها من الاهمال والضياع وسط الجلبة والضجة الملونة والمسمومة والتافهة التي تحتل مكاتبنا واسواقنا الادبية ـ والثانية لان مجموعة قصصه هذه التي سأتحدث عنها كانت شيئا يستحق الكتابة عنه . . لقد كانت قصصا بحق وحقيق ، وكانت المجموعة تستطيع ، بسهولة ، ونتيجة لذلك ، الوقوف على قدمها . .

وقبل ان ابدأ تقديم الكتاب ، نقدا ، احب ان استذكر ردا كتبته قبل زمن ـ في « الاديب » اب ١٩٥٧ ـ حول « دمى واطفال وقصص اخرى » ، وان اقبس السطور التالية ، فهي ذات اهمية حيوية لما سأقدم من قصص : « ... ومن ناحية اخرى ، فاني وجدت الاخ موسى يؤكد كثيرا على التكنيك في القصة حتى ليخيل لي انه يقدمه على الموضوع والمضمون . ومسالة كهذه أثارت وتثير جدلا طويلا عريضا . وفي رأيي ان القصة ، كلوحة الرسام ، وتمثال النحات ، وقصيدة الشاعر ، وباختصار كاي عمل فني ، يجب ان تدرس من ثلاثة ابعاد ومقومات وهي : الموضوع والمضمون والشكل . وفيما يخص مجموعة سافرة نجد الموضوع يتنفس بارتياح وعافية اكيدة ، فهو سليم طيب . اما المضمون فلا اعتقد انه يتمتع بنفس درجة ونوعية عافية الموضوع . ولا حاجة ان نقول ان المضمون لدى القاص او لدى أي فنان ومفكر يخضع لبيئته الثقافية ومكتسباته واستجاباته الشعورية واللاشعورية وذخيرته الذهنية المعطاء . وهنا فان تراوح صحة المضمون بين الانتكاسة والاشراق ، يكمن في صميم الشكل الذي اختارت به سافرة معالجة وصب تفاعلها وعطائها الفكرة مع مجتمعها . لا شك ان المضمون والشكل يتفاعلان عضويا ووظيفيا الى ابعد حد . وهنا فان مشكلة الشكل لدى سافرة ـ باعتبار انها قاصة ناشئة ، لا زال امامها الدرب الطويل كي تتطور فيه باتم ابعاد التطور واوسع منطلقاته ـ تبقى متعلقة بوعيها ونظرتها الى المجتمع الصغير والكبير الذي تتغذى بعطاءاته . المهم ، انها في المضمون والشكل ليست ثابتة القدمين راسختهما كما في موضوعها . والمهم ان ارهاصات تطورها تكنيكيا متوفرة لحد يبعث فينا الامل بتقدمها ، كما بعث لدى الاخ موسى لان يقول : « وختاما ، فان من تكتب قصة كقصة (دمى واطفال وقصة حصة الكلب) لها مستبل زاهر في ميدان القصة ، ان هي ثابرت على جدها ودأبها في الاطلاع على روائع القصص والاستفادة من خبرات الاخرين في هذا المجال »

ان هذه السطور مهمة لانها تعكس واقع القصة العربية الناشئة بل انها تنطبق ، حالا ، على كثير من قصص اليوم القصيرة والطويلة منها.

وفيما يخص مجموعة مولود ، ارى تشابها كبيرا بين محاسن ومساوىء مجموعة القاصة العراقية سافرة وبين مجموعته ... الموضوع والمضمون مرتاحان في مركزهما الطيب ، نسبيا ، بينما لا زال امام التكنيك القصصي لديهما درب ودرب طويل .. لكي يحتل حصته اللائقة به في الميدان .

على ان شيئا في تكنيك مولود ينتصب باشراق وحيوية مدهشة .. وهذا الشيء هو عنايته المتطاولة بالمونولوج الداخلي . وربما اهتم بذلك لانه شاعر .. وشاعر مبدع في بعض قصائده الرهيفة الشفيفة ـ كقصيدته الاخيرة « الى شاعر .. من اجيرة » . فالمعروف عن الشعراء ، ان كتبوا القصة ، انهم يجيدون حبكتها .. وجوها السيكولوجي .. اضافة الى انهم يعنون عناية خاصة ودقيقة بالصورة الطويلة .. بالهاجسية والخاطرية والحلمية والعفوية .. وكل ذلك تجمعه عوالم المونولوج الداخلي .. الواسعة .

ففي قصة « نصف ليرة في الجيب » ، يهتم امين بمحاولته المخلصة في ان يتمتع انسانية في جو لما يكتمل ثقافة وتقدما وتطورا حياتيا .. وفي محاولة كهذه لا بد له ان يشقى .. وان يعاني النصب والكد .. وقد نال منهما امين الكثير .. ومع ذلك فانه لم يفقد الامل .. ولم يستسلم لليأس والذل : « ... والقى نظرة عجلى على الرصيف المواجه فطالعته لافتة فيلم (فتاة النهر) وبلا شعور اصطدمت يده بقطعة نصف الليرة القابعة في ركن من جيب معطفه فتلمسها ، وما لبث ان خطا الى الاتجاه المقابل حيث استعرض افلام الاسبوع وهو يكبح جماح رغبته في مشاهدة فيلم فرجينيا مايو ويستبعد من خاطره مطالبته احدا بحاجة الى النقود ... ولما انتهى به المطاف بين واجهات دور السينما ، اتجه شطر البيت وسار بطيء الخطى ، جامد النظرات ، مكتئب النفس ، وقد عقد العزم على كتابة شيء يزيح عنه الحمل الذي يثقل عليه ... »

اما قصة القلب المعنف التي سجلت عناية قاصنا بالحبكة والجو السيكولوجي ، فقد كانت لا تقل روعة عن سالفتها التي أشرنا اليها ، وان كانت مبهرة النفس ، مخنوقة الخاتمة .. ومع ذلك فان الجو السيكولوجي الذي سربل القصة كلها سربلة شعرية غنية دسمة خفف علينا وطأة الخاتمة .. وهذا هو نفس الشيء الذي يمكن قوله عن « مصائر الاخرين »

وتحمل القصة « مبادىء من باريس » التي عنونت الكتاب باسمها ، تحمل شحنة دفيقة بالاحساس بالمأساة .. وبالرغم من ان الوعظ اخذ طريقه في تضاعيف القصة ، فان القصة ، ككل ، كانت جهدا طيبا : « ... هذه هي الهمجية ، وبصق على الارض بشدة ، هذه هي البربرية ، هذه هي قلة الادب التي تحمل بعض الرعاع على الاساءة الى الاخرين دون ان يهمهم ذلك ، وكانما كانت وظيفتهم في الحياة حمل قلة ادبهم الى الاخرين بدلا من احترام انفسهم باحترام الاخرين ... »

على ان قصة « بصاق على الارض » تمنحني الثقة ان اقول ان عند مولود قابلية فنية طيبة في القصة ، كما و في الشعر ، وانه جندي باسل في هذا الميدان الرفيع الحبكة ، والاحساس بالمأساة ، والتعليم الغني الفوركي الملامح والسمات ، والتانس الشفيف .. كل هذا يتجلى هنا ، ومضات لطيفة منعشة « ... واي معنى لوجود انسان لا حق له ، يرضى بما يفرض عليه من واجبات ، دون ان يكون لديه مجال لممارسة انسانيته والتمتع بحواسه ؟؟.. » « .. واذا كان الظلم يذهل البعض ، ويفقدهم اتزانهم العقلي ، فانه جعل منهم فيلسوفا يقبل على قراءة القانون والاخلاق والحقوق بنهم جامح ، فقد اقتنى من الكتب ، كتاب الحقوق الجزائية ، والعقد الاجتماعي بصرف النظر عن الدستور ... » « واذ كان يسير في مساء اليوم التالي على الرصيف المواجه للحديقة العامة هربا من طعوم الكراهية والامتعاض والاشمئزاز التي كان يود التحرر منها .. توقف قليلا عن المسير وقد رأى خلو الطريق من المارة ..

وبعد قليل كان يتابع سيره على الرصيف مخلوق تعيس بخطوات متثاقلة ذاهلا ، خائر القوى ، وكانت هناك بصقة على الارض ..»

ويبدو احساس مولود بانسانيته عارما في قصته الرائعة « هزيمة فرنسا » . فهنا يمنح مولود ابطاله حيوية مدهشة ، ويحررهم من كثير من الالية والروتينية والجليدية ـ ان صح التعبير ـ مما تفرضه«الطبيعة» والفوتوغرافية السوداء ـ وهو ما شاب بعض قصص مولود ـ ويدفعهم الى الفجر .. الى الفجر الانسان : « ... وعندما اشرقت شمس صباح يوم ٣١ ايار ١٩٤٥ كان الجنود الفرنسيون مصطفين على جانبي شارع البرلمان في دمشق منكسين اسلحتهم لمرور عربة الجثمان التي كان يتقدمها القائد الفرنسي وعن جانبيه ام الفتاة وبعض رجالات الحلفاء ... لقد حاول الطبيب جاهدا ان يفصل الجسدين عن بعضهما ، ولما اقر بعجزه غادر المكان ، وحمل الشاب العربي والفتاة الانكليزية وقد اشتبكت يداهما متعفرتين بالدم والتراب الى مثواهما الاخير بعد ان اثرت الفتاة الدفاع في سبيل القضية العادلة للفتى الذي احبت على الذهاب مع امها وتركه بين أيادي الاجرام والبغي ... »

اما « من اجل الحياة » و « ثمن قلب » ، فهما قصتان من واقعنا مرسومتان بفنية مكينة ركينة . ويبدو لي ان بقية القصص دون التي أشرت اليها حتى الان ، ولعل سبب ذلك انها لم تكن قد تمتعت بحضانة كافية . والمهم بعد ذلك كله ان مولود قد أثبت انه قاص .. وقاص مبدع مثلما هو شاعر مجيد .. فقط اذا استمر يطور تكنيكه القصصي .

٢ ـ مجموعة مسرحيات

لسعدون العبيدي ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد

●

يقول الدكتور صلاح خالص في مقدمته « لرأس الشليلة » ـ مجموعة مسرحيات ليوسف العاني : « .. فالاديب المسرحي الحديث غير مقيد اذن بموضوع معين او اسلوب معين في التعبير ، فالحياة امامه بكل ما فيها من حركة دائبة وتعقيد ، توحي اليه بانبل المشاعر واسماها وأروع الموضوعات واشدها تأثيرا في النفوس . وما عليه سوى ان يفهم هذه الحياة على حقيقتها ويصدق في عرضها ويدرك طبيعة العمل الذي يقوم به وتأثيره في النفوس والدور التاريخي الذي يقوم به في معركة البشرية من اجل سعادتها وهنائها ومستقبلها . ان هذا الوعي وهذا الادراك هما اللذان يميزان الكاتب الواقعي الحديث عن غيره وهما اللذان يقودانه دائما الى التقدم المطرد النمو المستمر والابداع الحقيقي في الخلق الفني المسرحي ...» .

ولقد صدق الدكتور خالص في كل ما قال .. لقد صدق فيتحديده اهم مقومات الادب المسرحي الواقعي .. ومصداق صدقه ان كل الحقائق الموضوعية والواقعية تؤيده في دعواه .

وهنا .. ومع الاخ سعدون العبيدي نجد ان النبوءة تتحقق مع كثير من العناء والتعب . ولن يكون الابداع بلا تعب ولا الم ولا اجهاد والا كان اصطناعا باهتا زائفا .. كزائف اللؤلؤ ..

تتحقق نبوءة خالص مع العبيدي في مسرحيته « جسر العدو » و « انطلاق » .. وتتحقق ايضا في « انه سيعيش » و « وطبول الانتصار » الا ان المسرحيتين الاولين كانتا عميقتي العطاء وبشكل مدهش .

ان « جسر العدو » مثلا ولا حصرا ، كانت نقطة انطلاق . فليوسف وهبي مسرحية بعنوان « الاستعباد » تدور حول معركة التحريرالافريقية العربية ، ومسرحية سعدون هذه تدور حول النضال الجزائري البطل دون انساننا العربي. والفارقواسع بين مسرحية وهبي ومسرحية سعدون هنا يتعملق سعدون ، رغم حداثته في التكنيك المسرحي الادبي ، وسر عملقته انه واقعي النبرة والايحاء والمضمون واللغة . اما وهبي فقد كان رومانسيا مع انحناءة لكلاسيات القرون السالفة . ان العواء واللطم يعيشان مسرحية وهبي .. بينا ينطلق انساننا العربي بانسيابية وعفوية واصالة تستمد شفافيتها من دم الواقع .. ولهب الثورة .. وحاجات الناس البسيطة ـ وفورة الايمان .. وهنا بعض الفارق بين مسرحيتي سعدون ووهبي .

اما « انطلاق » فقد كانت انطلاقا حقا .. ولو كان التكنيك السعدوني مناسبا لكانت النتيجة في صالحه ، غب التمحيص الطويل . الا انسعدون لا زال طالبا في الصف الخامس من فرع التمثيل في معهد الفنونالجميلة ببغداد ... وهذا يعني ان « تمسرحه » لما يتكامل طولا وعرضا وعمقا . ومع ذلك فان جرعة كبيرة من الثقافة نشاهدها بين شفتي سعدون .. وهذا دليل على انه يحاول مخلصا ان يتقدم . و « انطلاق » هذه ترنو باخاء الى « اكلة البشر » وهي مسرحية اخرى لسعدون فيها خيوط من كامو وكوكتو .. ولكن « انه سيعيش » تنطلق ، اخيرا ، لتسعفنا بفيض من حيوية الواقع ولتمنحنا شرف مصاحبة لوركا .. مسرحينا ناجحا ، أعني ان سعدون قد افاد من المسرحيتين العالميتين دون ان يسرق منهما .. وفي ذلك نموذجية طيبة تصح ان تحتذى .

لست استطيع ان اعرض قطاعات من مسرحيات سعدون لضيق المجال . الا اني اشد على يديه متمنيا له كل التوفيق في مسرحياته المقبلة .. وليسمح لي ان اقول له اخيرا الى الامام ابدا يا سعدون في خدمة المسرح الحق !

بغداد — **جليل كمال الدين**

قرارة الموجة

لنازك الملائكة ـ شعر ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم صغير ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت

●

حين يسخر الفن من اعمال الحياة الاليمة ، ويحذر من التردي في عتمات السلبية ، ويأنف ان يصير لهجة باردة ونشاطا روحيا منسيا ، فلا بد له من الاثارة البنائية والدفقة المذهلة لتعبيرات الدهشة والسمو ، ليقيم معناه الانساني المروع في مخاض تجريبي يمتص افاعيل الخلق الفني ، ويتنفس الحدود البعيدة ، حدود اليقظة الحياتية ، بتساميها المدني الحار .. والشعر بطبعه الجميل المحاط بهالات الاذى المأسوي ، وحمى الذات المتبرمة ، انسان لغة ، ورث من الانسانية ارتجاعاتها العاطفية وذبذباتها الوجدانية التي تعيش لصق الرؤيا الشعرية ، بعفويتها ودمويتها ، وكل ما يكربها من تصادي ، والتحام ، ورنين شفقة وتعاطف دافق .. والشعر كذلك مناخ الفن الاصيل .. انه عملية خلق جسيمة ، وخالقها يعيش في معنى الاثر والصيرورة .. ومن هنا ادركت شاعرتنا المبدعة نازك الملائكة مفهوم المعاناة والالم ادراكا متفتحا ، فاخذت تسفح من دم الذات عاصفات الصراع النفسي وهواجس الخوف ، حتى غدا لقاء الحبيب عندما يحمل بين ثناياه طعم المنون ، فتشفق من اول لقاء ، ذلك الطريق الغريب المخيف المعابر . فتهتف :

لنلتق فالريح تعصف والمنحنى لا يعي
وغمغمة الهاجس المتهدد في مسمعي
وهذا الطريق الذي سلبته خطاي السكون

غريب مخيف المعابر يشبه لون المنون
احس السراب
وراء الهضاب
والمس في لونه مصرعي
وانت بعيد وراء الظنون

وتتجسم لها صورة الالم في انتظار ثقيل ابدي يلف الخائفين على مصير اللقاء :

لنلتق .. ما اطول الانتظار على الخائفين

ثم تعود تراودها فكرة الخلاص ، فكرة البناء المصائري ، برغم جذب الزمان البليد وتحريه الخطى وراء المحال .. انها تبغي مكانا بعيدا وراء كهوف الانين حيث يبدأ هنالك كل طريق .. ان التصميم حجر الحياة الشاعرة ، لانه يسخر من مهزلة المحنة والجدب العاطفي ، ويمحو الابعاد وما ينغص لذة اللقاء :

سنمحو الزمان
وننسى المكان
هناك ونقسم الا نعود
الى أمسنا المنطوي .
سربنا !

تلك هي تجربتها في الحب واللقيا الجميلة .. فالحزن يتفشى شعرها ، حيواتها ولقاءاتها ، وعناقها مع المطلق والعدمية .. والكآبة تسري على متون احلامها وتتلون باحاديثها النفسية ونجواها مع القدر والظلام .. والصور الاسطورية والكونية في شعرها تنم عن شعور عميق بقيمة الالم كمنطق عميم الخير والجمال فهي كما قال الاستاذ عبد اللطيف شرارة « لا تستعدي الكون من اجل الامه ، ولا تتبرم بالعالم تبرم الحائر التائه المضطرب ، وانما تتقبل الالم وتحسب فيه كثيرا من الخير والجمال »

حكاية الالم في شعر نازك نبع من صميم التجربة المعاشة ، وليس المها انغلاقا وانحسارا عن زبد .. تراه يرتسم في عناد على رقعة تسبيحاتها المحزنة ، ليخاطب الناس ، كل الناس ، من وراء مخاطبتها لطفل او شبح او حبيب غائب او ذكريات بعيدة .. المها انصبابة ماء تسيح على حرقة النفس فتوقظها بعد موات .. او تخط عليها حروف السخط ، ذلك السخط الذي يتحول الى عداء لا راد له ازاء عالم لا يفهم الاشواق ، فيغدو الحب سيرة تروى ولونا مزروعا في تربة البغضاء :

أعيننا لا تفهم النجوى
الحب فيها سيرة تروى
كان لها امس
وضمه رمس
من تربة البغضاء

والبغض وليد لعنة الزمن ، وحصاد الايام الذي أذوى الاحلام وخلفها اشلاء فوق الثرى .. طبيعة نسوية .. تتعاطف ، وتلين ، وتهزأ ، واخيرا تتسمر فارغة النظر تتملى حصاد المصادفات ويلفها الفراغ بجمود الموتى وصمت القبور :

وتحس العيون ان عيوننا
مات فيها المعنى وعادت رمادا

أبعد ذلك الموقف الصامت الشامت تعود نازك الى اشعال حطب اليقظة ، والتغني بلهب العبير ؟! اجل .. فالكلمات عندها الوان شتى .. عطر يتنزى .. وسخرية مرة . وغناء معجون بالدموع .. وسرعان ما يهتف في اعماقها صوت الالم الانساني وتتجاوب مع جراحات المجتمع .. فترى روحها الحزين يلمح من خلل التقاليد البالية والقيود البغيضة ، التي يشحذها الجهل والتعالي الوحشي فتقول في (غسلا للعار) مخاطبة فتيات القرية :

يا جارات الحارة ، يا فتيات القرية
الخبز سنعجنه بدموع مآقينا
سنقص جدائلنا وسنسلخ أيدينا
لتظل ثيابهم بيض اللون نقيه
لا بسمة ، لا فرحة ، لا لفتة فالمديه
ترقبنا في قبضة والدنا واخينا
وغدا من يدري اي قفار
ستوارينا غسلا للعار ؟

ان نازك هنا ، تحس احساسا انسانيا بما يقترف من اثم وتسلط في حق الجنس الاخر باسم الكرامة والتعالي .. انه منطق مقلوب وريث زيف الجهالة .. فالعقاب يوقع على المرأة ولو كانت بريئة نظيفة الوجه.. هذه كلمة مبصرة تدل على مدى القرف والخوف الذي يأخذ بخناق المرأة الشرقية والعراقية بوجه خاص ، حتى تكاد انفاسها تختنق بين ركامات الوعيد والتهديد .

ولا تنسى شاعرتنا مآسينا الاخرى فتنفض ذاتها وتتقمص مأساة النكبة ، نكبة فلسطين ويأخذ (أناها) بالذوبان في التعبير المحير لمواجيد الرثاء الدميع .. لم تعد الصورة تنضح باستفهامات القدر المحتوم واللوعة القائمة في مآقي النجوى العارمة ، والتغني باكتشافات اللقاء المر. هنا تتسع ملحمة التعبير ، فتتغنى بمرارة الاستشهاد والفداء .. وهل هناك من معنى رثائي ابلغ في الاثارة من تصوير الشهيد بالنبي الذي سيبعث برغم البغي والظلم؟.. تقول مشيرة الى البغاة. وهي تعنيماتقول:

يا لحمقى أغبياء
منحوه حين أردوه شهيدا
ألف عمر وشبابا وخلودا
وجمالا ، ونقاء

وفي الاستشهاد يكرم البعث والخلود :

انه عاد نبيا
وهو قد اصبح نارا تتحرق
في امانينا وثارا يتشوق
وغدا يبعث حيا

حين تصور نازك المأساة فانها توزع قطرات الدمع في انسيابات من التأودات تصخب بتعابير لاهثة متقطعة .. ولكنها ـ ويا للعجب ـ تشح احيانا فلا تبدو منها سوى ملامح لا لون لها ولا زخم .. وقد ينتاشها البرد اللفظي المعاد وتظهر اجواء القصيد راكدة مفعمة بالدخان .. ومن هنا وجد النقد العاتب مسراه الى بعض قصائدها التي يحسبها البعض معطى من معطيات السريالية والضباب التعبيري .. ومن هنا نجد في بعض تعابيرها حشوا ونكسة شعرية واحاديث عادية لا مدعاة لها . كمثل قولها :

ثم يأتي زمان
وتدب الحرارة في الجسد الجامد

وقولها :

ومشينا لكن الحركة
ظلت تتبعنا والسمكة

وقولها :

واصبح لا بد من ان نذوق الجراح

عبارات عادية يصح ورودها في القصة والتقريرات الكلامية الخطابية وليست من الشعر الحر في شيء ولكن الجفاف الكلامي لا يسرق الطعوم الاخرى النقية التي لا يمكن التغاضي عن مراميها واغتنائها بالوجد

الانساني والتدافع الحركي ... ان صرخة الحزن ايمان نظيف يحسه كل من يعاني الحياة ويتبرم حيال الاماني الذاوية .. والشعر بعد هذا عزاء كما تراه نازك بالنسبة للمحزون ، لانه وسيلة حياة ، تلمح ذلك بوضوح فيرثائها لامها في (ثلاث مراث لامي) .. فحزنهـا على فقد امهـا يتجسم في محسومات ، فتارة تشبهه بطفل وغلام مرهف ، سابح في بحر أريج ، وتارة بغلام دائم الحزن خجول ، او بزهرة نبتت في الظلام وسقاها دمعها ـ دمع الشاعرة ـ لينا ونضرة .. في قصيدتها هذه التي تحوي ثلاث اغنيات رثائية ، تعبير جديد عن الالم .. انه يتحرك كالغلام ، نرى الشاعرة تهب لاستقباله والاحتفاء به ، وتحاذر ان يجرح بالضجيج .. وهو يحيا في الدموع الخرس .. وله كوخ خفي شيد في عمق سحيق ، اجمل من الافراح ومن كل حب .. وعلى هذا النحو تهدهد نازك الالم وتحبه وتداريه ..

من هذا نستطيع ان نقول باطمئنان ان مصادر الحزن في شعرهـا ، لا تدفعها الى الهروب والتهالك والتراجع الى السلبية كما يتصـور البعض .. وهي اذ تخاطب الالم وتوقظه وتعيشه ، فانما تخاطب بشكـل بارع ، انتفاضة الحب الكوني في عروق حبيبها ، الذي يشمل كل شيء ويسعد بكل شيء . تريده حرقة ابداع في اشعارها ، وغضبا على الصمت المهين الساكن ، وصرخة اعصار في الافق المديد ، لانها تكره الموت واليباس، وتحب الحياة من اعماقها :

انى أحب تعطش البركان فيـك الى انفجار
وتشوق الليل العميق الى ملاقـاة النهـار
وتحرق النبع السخي الى معانقة الجرار
اني أريدك نهر نار ما للجتـه قـرار
فاغضب على الموت اللعين
اني مللـت الميتـين

العراق ـ البصرة — عبـد الرحمن علـي

احـــلام واوهـــام

لسليم مبارك ـ مجموعة قصص عراقية ـ ١٣٢ صفحة
مطبعة الرابطة بفداد

●

تمـر القصة العراقية في الوقت الحاضر بارهاصات شديدة التاثير . وتعاني مخاضا ما يزال عنيفا ترمقه العيون بشيء من الحذر والعطف والعناية والاهتمام . والدور الذي تريد ان تمر به القصة العراقية قائم في نجاحه على سواعد الزمرة الطالعة من كتاب القصة الجدد . وعلى عواتق الفئة المثقفة الواعية لرسالتها اكمل الوعي ، المدركة لمسؤوليتها اتم الادراك .. وعلى الرغم من رجود كتاب للقصة العراقية قبل عشرين سنة مضت وما زالوايمارسون كتابتهاحتىالان. فان هذه الجماعةلم تتمثل الفترة الحاضرة تمثلا تاما ولم تحاول ان تقدم شيئا جديدا يبرز لنامشاكلنا بجراة ووضوح ويعرض لمضطربنا ويعاصر خوالجنا واوضاعنا الحاليـة بشيء من الاندماج الاجتماعي المؤمن بمسؤولية الكاتب تجاه مجتمعـه وطبيعة اوضاعه وظروفه وبيئته .

والواقع اننا لم نتخذ في كتابة الاقصوصة وجهة معينة مميزة لهـا عما دونها رغم محاولات البعض في ان يرسم لها تلك الوجهة ويحـدد الخطوط البارزة منها ... ذلك لان الاقصوصة العراقية ما تزال متأثرة تأثرا عظيما بالادب الكلاسيكي تارة وبالرومانتيكية تارة اخرى ، وبالادب الروسي وبالقصة الروسية بالذات او بالقصة المصرية ذات الطابعالمكشوف في اغلب الاحيان . ولو ان هذا التاثير كان يقف حده عند مرحلة الاطلاع والتثقيف لما كان ثمة ايلام في الامر . ولكن التاثير يسري في صلب انتاجنا الادبي فيشوهه تشويها ماحقا وينتفي منه طابعه المحلي الخاص به . وقد تبين لنا ذلك بوضوح فيما تكتبه زمرة القصاصين بعد فترة الحرب الثانية رغم تقرب هذه الزمرة من واقعنا الماثل تقربا فيه حذر .

انني لا استطيع ان ادعو الى مبدأ « الالتزام » في الادب . فانه قتل وسحق لجميع خوالج الاديب التي يجب ان تتمتع بالحرية المنزهة ـ اللهم الا اذا حملت على ذلك حالة من الحالات الآنية التي تمر بنا بين حين واخر ـ ولكني اعلم ان مجتمعنا يضطرب دائما وبلا توقف ، ويبرهن على الحياة ويعطي التاكيدات المضبوطة بانه يعيش بكل صفات المجتمعات الاخرى . فلماذا اذن لا نأخذ صورا من مجتمعنا ، ولا نحاول ان نلمسه لمسة رقيقة واحدة نبني بها ادبا قوميا حيا ؟

هنالك مشاكل عديدة تكتنف الاديب من كل اقطاره فتحد من نشاطه وحيويته .. وهذا حق لا سبيل الى المواربة فيه .. وانها لمشاكل مؤثلة اوجدتها ظروف قاسية عاتية .. فالنقد عندنا يقصر في اغلب الاحيان في توجيه كتابنا الناشئين توجيها صحيحا . وخطأ المفهوم القائم بيننا عن منهاج النقد الصحيح والتوجيه المنظم شائع شيوعا رهيبا لا يبعث الا على التثبيط ، ففضلا عن افتقارنا الى وسائل التشجيع الاخرى وخاصة المجلات الادبية والصحف ودور النشر والتوزيع .. هذا من جهة .. وهناك جهة ثانية تشكل جبهة خطيرة تقف في سبيل ترقية الاديب وتنمية مواهبه وتطوير تجاربه وتعميقها .. فالقاص عندنا ـ مثلا ـ يمر بتجربة ذاتية معينة يعاني فيها صنوفا من الاحداث . او يبصر حادثة سطحية او مهمة تقع عليها عيناه فلا يحاول ان يلبسها من عنده لباس الفن. ولايحاول ان يكللها ببردة الخلود... بل انه لن يبتغي من ذلكالا تسجيلها بصورة شكلية مجردة من كل لغة جمالية ومن كل اطار فني .. فلماذا يفعـل القاص العراقي ذلك اذن ؟ .. اليس لنا الحق في ان نتساءل لماذا يتردد القاص العراقي كل هذا التردد المرير ؟ نعم .. انه ليفعل ذلك .. وانه ليتردد .. وانه ليشكو ظلم الزمان والظروف ولا يشكو نفسه ولا يهذب مواهبه ولا يشحذ ملكاته ..

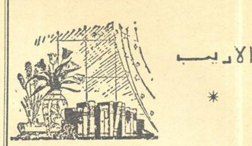
انها نفسية معقدة عقدا شديدة الالتوآت ناتجة عن خوف القاص العراقي من نفسه ومن الناس . انه يخاف ان يناله الارهاق في منتصف العمل او ان يصيبه النصب بعد مرحلة واحدة من كتابة ما يريد كتابته. او ان يخذله الناس خذلانا فظيعا تنطفىء بسببه شعلة فنـه وتتراخـى عزيمته .. فكيف اذن ننفي عن انفسنا هذا العجز وهذا الخور ؟ اننـا لا نستطيع ان نلوم الزمان والظروف فليس لنا بهما شأن . ولكننا نستطيع انتتمثل تجاربنا وامور حياتنا بعمق وصبر.وندع لانفسنا الخلود فيمابعد، ثم نذود عنا ما يصيبنا من غرور . ونمضي فيما نريد رغم خذلانالاخرين لنا .. المهم اننا سنبدع وسنحس بلذة الخلق وحرارة الانتاج .

هذه المقدمة أثارها كتاب قصصي جديد لقاص عراقي لعله يريد ان يثبت مكانه في هذا المضمار .. فلنبين هل وفق ذلك التوفيق المرموق الذي نرجوه وننتظره من كل كاتب ناشىء لنتوضح به مدى ما يضيفه من جديد في هذا الدور الخطير الذي تمر به الاقصوصة العراقية .. ما من شك ان الاستاذ سليم مبارك قد حقق لنفسه امنية عظيمة عندما طبـع مجموعته القصصية التي نحن بصددها الان . واني لابصره مسرورا بعمله ، واني لاراه جذلا به فخورا باصداره في ذلك الكتاب الانيق الذي يعجب الرائي .. ولكننا مع ذلك لا بد ان نستعرض الكتاب لنقع على ما نريد ان نحققه لادبنا من نمو وتطور وازدهار .

الكتاب يضم اثنتي عشرة اقصوصة تتفاوت بين القصـر المفـرط بالعجالة والطول الموغل بالاسهاب الممل احيانا .

فاذا ما استعرضنا القصة الاولى « الاحمر اللعين » نجد صحفيا في حفلة خيرية لرعاية الاطفال تضطره فتاة ناعسـة الصوت علـى شراء « ورقة يانصيب » يفوز من ورائها بقلم « احمر الشفاه » فيحار اين يذهب

الاديب



*

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819
المنزل ٢٥١٣٩ Dle. : 25139 Tél.

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

به ولمن يعطيه وليست له زوجة ولا حتى خطيبة ؟ فيهم ان يعطيه للفتاة الناعسة الصوت فتحدجه بنظرة غاضبة . ويلاقي بسببه الوانا من المشاكل الحرجة لولا ان تنقذه الفتاة في النهاية فيعطيه اياها .. ونعلم ان الصحفي لم يكن الا في حلم ناعم .. ! وما دامت القصة عبارة عن حلم فانها بعيدة عن الواقع بطبيعة الحال . وهذا مما يجعلها ذات تكنيك قصصي هابط . ومحور المشكلة ـ وهو القلم الاحمر ـ يكاد يكون تافها ومضحكا من ناحية التقدير والحكم النقدي .

اما قصة « ذكريات » فان الكاتب يستقي موضوعها من ايام شبابه. فالبطل سامي كان يحب جارته سميرة . وكان يراها دائما في طريقها الى مدرستها وهو في طريقه الى مدرسته .. ويشاء حبه لها ان يصرفه عن دروسه ومدرسيه وتجابه اباه ظروف مالية عسيرة فينتقلون الى بيت اخر . ويمضي سامي في طريق غير طريق مدرسته فيشتغل عاملا ، اما سميرة فانها تمضي في مدرستها وتتزوج . وها هو يراها الان في سيارة الباص وفي حضنها طفلها الجميل النظيف (وهو) بملابس العمل القذرة .. انها ذكريات جميلة مؤثرة يبعثها هذا اللقاء في سيارة الباص لولا ان القاص لا يحاول ان يتعمق في تصوير نفسية البطل بصورة وافية .. والتقرير الصحفي في بداية القصة سلب من فنيتها الشيء الكثير . وهذا عيب منفر في كتابة الاقصوصة .

فاذا انتقلنا الى قصة « رجال الليل » نجدها مهلهلة التراكيب عديمة الحبك خافتة الصوت كثيرا ما تناول موضوعها كتاب قصصيون فكتبوا ما شاء لهم قلمهم حتى اصبحت حوادثها مملة باعثة على النفور وان كانت تصور حياة الليل وحياة الفنانات اللواتي يقدمن لازواجهن ما يحصلن عليه من جيوب رواد الملاهي .. فانهن اذن ضحايا هذا الجشع المقيت . وانهن اذن قرابين تقدم على مذبح الجسد رضاء للرجال المالكين رقابهن بالزواج .. ولو ان الكاتب حاول ان يأتي بجديد في هذا الموضوع لكنا حمدنا له هذه الخطوة .. ولكنه لم يفعل .. وبالاضافة الى ذلك فان اسلوب القصة ضعيف جدا وتوجد فيه اخطاء نحوية كثيرة .

واما القصة الرابعة من المجموعة فاسمها « خفايا القصور » . ولعلها اروع ما كتب الاستاذ سليم مبارك في هذه المجموعة . ولعل نجاحه فيها عائدا الى اتباعه « طريقة الرسائل » التي تتيح له ان يحرك افكاره بسهولة ويسر .. انها قصة صبي يتيم يخدم في قصر باذخ النعيم . ويكون خادما « خاصا » للصبية الجميلة « عفاف » التي تكافؤه في السن . فينمو وتنمو حتى يشقا اردية الصبا والفلومة . وتشرع عفاف تغريه بمفاتنها الكثيرة ولكنه متحجر متلبد . فتنصرف عنه وتتركه في حيرة من امره . وينتقل بعدئذ الى خدمة قوم اخرين وهناك تقع في حبه خادمة تعرض عليه صنوفا من رغائبها الحسية . ولكنه بارد الحس فاتر العواطف ايضا . فيعلم من امر نفسه ما يروعه ويزلزل به . ذلك ان اهل « عفاف » لكي يضمنوا لها سلامتها من خادمها الموكل بخدمتها يجرون له عملية يقطعون بها صلته بكونه رجل .. فهو الان نصف رجل ..

القصة رائعة الفكرة ناجحة من حيث المضمون . اما الاسلوب فانه يراوح بين الهبوط والارتفاع مما يدل على عدم استكمال الكاتب لادواته الادبية . ولا يفوتني ان احمد له براعته في اظهار نفسية الطفل في جميع مراحل حياته وصدمته بفقدان رجولته .

في قصة « مساكين » فتاة يشاء حظها المنكود ان يموت ابوها. وان تعيش من بعده مع امها وشقيقتها عيشة قائمة على حساب الشرف والكرامة وتحدث في اثناء ذلك حوادث تؤدي الى وفاة الام والى سجن الفتاة بسبب جريمة نكراء . وعندما تنتهي مدة محكومية الفتاة وتخرج الى الحياة الحرة مرة ثانية تعيش على بيع جسدها ايضا . وينتهي بها الامر الى اصابتها بمرض جنسي وبيل تنطفىء بسببه نضارة وجهها وجماله وتاخذ بالتسول في المقاهي.. القصة لاتاني فيها رغم مشكلتها الاجتماعية الا ان الكاتب آثران يسابق الزمن على ما يبدو ، فهو يكاد ان يقفز قفزات مفزعة وهو ينتقل من

مرحلة الى مرحلة وكان غولا من الغيلان يعدو وراءه .. فلماذا يؤثر الكاتب هذا النمط من السرعة والعجالة ولا يدع لافكاره فرصة للتاني ولابراز المشكلة في اطار فني ؟ انها الغمرة النفسية المعقدة التي تغمر كتابنا فتسمهم بميسم العجالة وتوصمهم بالروح الانهزامية التي لا تقدر على الوقوف طويلا امام هاتيك المشاكل ومجابهتها بصبر وشجاعة .. وهناك جوانب من القصة لا يمكن للقارىء ان يصدقها ولا للناقد المحقق ان يتقبلها لانها بعيدة عن الواقع المعقول . فمن هو يا ترى ذلك الشخص الذي ينتهر متسولة مسكينة بيديه ويدفعها بقسوة بالغة وفي مقهى عام ويلتقط صورة سقطت من عبها الى الارض ـ فيما كان يدفعها تلك الدفعة العنيفة ـ ثم يجبرها بقوة على سرد قصتها امام اعين الناس ومسامعهم الا ان يكون من الحمقى المأفونين ؟ ونحن لا نغفر للكاتب موعظته الاخلاقية في بداية القصة . فان ذلك مما يشينها حقا . وقد كفانا ان نكتب قصصا ونحشوها بالموعظة او غيرها مما يفسد علينا اعمالنا الادبية .

وعندما ناتي الى قصة « ياقوت » نجد راقصة في ملهى يعج بالموسيقى الصاخبة والصياح والصفير . ونعلم ان الراقصة كانت تعيش ايام طفولتها مع امها وشقيقتها الكبرى في لبنان . وان بطل القصة كان يومئذ في لبنان ايضا . وقد تعرف على هذه الاسرة البائسة وخص الطفلة « نادية » بعطفه ورعايته وحنانه . ولكنه عندما يرجع الى بغداد يعلم من الرسائل المتبادلة ان الشقيقة الكبرى قد ماتت وامورا اخرى قد حدثت . ثم تنقطع الرسائل ويمضي الزمن . ونعلم ان « نادية » الطفلة هي هذه الراقصة التي اسمها « ياقوت » جاءت الى بغداد لترقص في ملاهيها .. هذه القصة استطيع ان اقرر انها ناجحة بحوادثهاوصخبها والذي اعجبني فيها قوة الزخم التي نحسها من خلال عواطفنا تجاه الراقصة وشفقتنا لما تتكلفه من عناء لارضاء الرواد والغوغاء وقد كانت في طفولتها تلك الطفلة المشرقة البريئة .. ومع ذلك فان الكاتب ـ على ما يبدو ـ كان يصر على القاء ما على عاتقه بخوف وسرعة عجيبتين .

فاما قصة « ورقة يانصيب » فان بدايتها رائعة الهمس مشرقة الملامح خصوصا عندما يعرض الكاتب لعواطف الرجل وآماله حينما يتمنى لو ربح لنفسه البطاقة الاولى .. ولكنه في كل مرة يشتري بها ورقة يانصيب يبوء بالفشل المرير .. وفي المرة الاخيرة لا يجد ثمنا لورقة اليانصيب فيستدين ثمنها من صديق له . ولكن هذا الصديق سرعان ما يطالب بالدين ـ قبل السحب ـ ويلح فيه حتى يضطر البطل المسكين الى اعطائه الورقة بدل النقود وعندئذ تفوز البطاقة .. قلت ان البداية كانت طيبة باعثة على الطمانينة . ولكن لنتساءل كيف يمكن ان نصدق ان ثمن بطاقة يانصيب مقداره « ربع دينار » يجعل من صديق البطل ملحاحا في طلب النقود الى هذا الحد والى هذه الشراسة في المطالبة وكيف رضي هذا الصديق بالبطاقة بدل النقود مع العلم بانه لا يعلم انها ستربح الجائزة الاولى .. ؟ ان الكاتب اراد ان يغرينا بمسألة «الثمن» هذه ليجعل منها عقدة لقصته . واعتقد انه لم ينجح في هذه الخطوة لانها غير مقنعة من الناحية المنطقية وخصوصا « عندنا » في بغداد ..

في قصة « فضيلة » شاب يريد ان يجرب حياة الحب مدفوعا بشبابه ووسامته .. فتنجح جارته « فضيلة » في القاء الشباك عليه فهي تحبه حبا عارما ناجما من عمق قلبها المعذب . ولكن الشاب لا يحاول ان يتلمس قلبه حقا ، فهو يبادلها الحب ملهوفا الى استكشاف عوالم مجهولة كثيرا ما كان يحلم بها . فتصبح له فضيلة حبيبة « روحا وجسدا» وتقص عليه قصة حياتها مع خالتها ذات السيرة السيئة وكيف دفعتها الى طريق الخطيئة .. وتمضي الايام والشهور والسنون واذا بالشاب يشتغل بالمهن الحرة فتدر عليه ربحا عظيما . عندئذ يحس بانصراف وملل في صحبته مع فضيلة فيهجرها وتظل هي وفية لحبه .. ان الانصاف يقتضينا ان نشهد لهذه القصة بالنجاح فهي تبعث على الرضى والتفاؤل بموهبة الكاتب . وتثير فينا شعورات متباينة بين البهجة لهذا الحب والرثاء لفضيلة . والاستاذ سليم مبارك يكاد ينجح في القصة ذات الخط الزمني الطويل . ولكني اعجب لضعفه البارز في النحو وقواعد الصرف . فهو هنا ينصب الفاعل طورا ويرفع المفعول به طورا اخر .

اما « احلام واوهام » فانها عبارة عن « حكاية » من هذه الحكايات التي تسردها على مسامعنا جداتنا العجائز في ليالي الشتاء قرب كانون النار الذي يبعث في الاجسام الدفء والخدر ، فهي اذن « اسطورة » ليس لها نصيب من الواقع ولا تصلح قراءتها الا للمتعة الذهنية وقتل الوقت وان كانت تحمل معنى من معاني العظة في الحياة .

وفي قصة « امراة الحاج » نجد فتى « او صبيا » مراهقا يعجب « بالهام » زوجة الحاج الصغيرة الجميلة .. ويأخذه التعجب للفارق العظيم بين عمريهما وطبعيهما . فكثيرا ما يؤذي الحاج الكهل زوجته الصغيرة ويضربها . وكان الفتى ـ بحكم الجوار ـ يشتري لبيت الحاج ما تطلبه زوجته من حاجيات من السوق .. ويموت الحاج على اثر مرض اصابه فتبقى الزوجة وحيدة .. وذات مرة يدخل الفتى بيت الحاج بعد وفاته فيرى الهام تخلع ملابسها في الغرفة فتثور دماؤه وعواطفه المراهقة المكبوتة ويندفع اليها ولكنه ما يكاد حتى يخيل اليه ان شبح الحاج يجول في الغرفة وينظر اليه بشزر وغيض وغضب فيأخذه الرعب ويولي مدبرا لا يعقب .

هذه القصة لا تعدو ان تكون افكارا صبيانية يكتنفها شعور المراهق المحموم المتعطش . وهذا كل ما في المسألة .. وهناك تناقض ظاهر اذ ان زوجة الحاج كانت ترسل الفتى ليشتري لها الحاجيات من السوق ومعنى هذا ان الفتى لا يتجاوز عمره الحادية عشرة . فكيف يفسر لنا الكاتب اندفاع الفتى الى زوجة الحاج وكانه ابن الثامنة عشرة مع العلم ان الخط الزمني السائر في القصة يوشك ان يكون بطيئا جدا ..؟

اما القصتين الاخيرتين « نضال الشباب » و « قلب معذب » فان الغموض القاتم يلفهما والتناقض الصريح يغشاهما خصوصا قصة « قلب معذب » فانها حلقة مفرغة من الحوادث المتناقضة التي لا تستند على اساس من التاويل المقنع .

هذه هي الاقاصيص التي طلع بها علينا الاستاذ سليم مبارك . فهل نجد فيها شيئا اخر غير الذي قلناه ؟ اجل .. هناك اشياء كثيرة تزدحم ها هنا امامي .. اميزها واصرحها واشدها وضوحا قضية الارادة والعزم والتصميم .. فاننا لم نقع على شخصية من شخصيات الاستاذ مبارك تقف عملاقة ذات ظل كثيف وذات ارادة وعزم وتصميم ، حتى خلناها شخصيات جد ضعيفة تنهار لاقل مقاومة .. ولو كانت هذه الشخصيات قوية في معنويتها عالية في روحها لتكشفت لنا عن عوالم متفاءلة زاهرة تبني وترفع وتؤثر وتتاثر ولا تعرف الفشل والمرارة والتراجع ! ثم نتساءل بعد ذلك هل حقق لنا الاستاذ مبارك شيئا جديدا في بناء الاقصوصة العراقية ؟ فلا يكون الجواب الا مزيجا من الخيبة والامل .. ذلك لان للسيد سليم مبارك موهبة لا سبيل الى نكرانها ولكنها من الفضاضة والسذاجة بحيث تحتاج الى طويل زمن يعمل في خلاله على صقلهاوتهذيبها

ولا يفوتني ان انبه السيد مبارك الى اخطائه الكثيرة في النحو والاعراب والصرف ، فانها سوف توقعه في مآزق حرجة متعبة ان لم يعمل على تلافيها في المستقبل .. هذا ومن السهولة بمكان ان نعثر على جملة ذات تركيب ركيك مفكك او تعبير لا يؤدي الغرض اداء موفقا .. ولا شك اننا سنتطلع اليه مرة ثانية فلا نجد في مجموعته القادمة ـ ان شاء الله ـ هذه الافكار المراهقة المحمومة التي وجدناها في « احلام واوهام » اللهم الا اذا كان قادرا على تصوير هذه الافكار بصورة بارعة مقتدرة غير مبتذلة .

وآمل ان يتعمق الاستاذ مبارك في الفكرة التي تراوده ويريد ان يجعل منها مادة لاقاصيصه ولا يتعجل كل هذه العجالة المخطوءة .. ويسرني جدا اذا تفضل بقبول تحيتي واحترامي .

بغداد — موفق خضر



● مأساة الانسانية في الجزائر – لمحمد الاخضر عبد القادر السائحي – ١٠٨ صفحة – مع عدة صور – منشورات مكتبة النجاح بتونس [لم يذكر اسم المطبعة] .

● المشعل الخالد – شعر – لامين شنار – ٩٦ صفحة – الغلاف بريشة نبيه رفيدي – مطبعة الشرق بالبيرة رام الله بالاردن .

● المغرب العربي في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي – ليونس صالح الحريشي مدير المشاريع والمباحث الاقتصادية بلجنة تنظيم تجارة الحبوب ببغداد – ١٨٤ صفحة – منشورات دار الاندلس للطباعة والنشر بيروت – [لم يذكر اسم المطبعة] .

● جراح شعب – مجموعة قصص – لرضوان ابراهيم – ١٦٦ صفحة مع عدة لوحات – منشورات البعث الجديد [لم يذكر اسم المطبعة] .

● كتاب المستعرب – في علم اللغة العربية القياسي – المجلد الاول : علم الاصوات – لراجي باسيل – باللغتين العربية والبرتغالية – ٨٨ صفحة – مطبعة جريدة الاخبار في ريو دي جانيرو بالبرازيل .

● كتاب التمهيد – تأليف الامام القاضي ابي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني – عني بتصحيحه ونشره الاب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي – وهو الجزء الاول من سلسلة علم الكلام – ٤٥٦ صفحة – حجم كبير – ورق فاخر – منشورات جامعة الحكمة في بغداد – المطبعة الكاثوليكية ببيروت .

● احلام وثورة – شعر – لعلي صدقي عبد القادر [المحامي الليبي] – ١٤٦ صفحة – لوحات الديوان بريشة الاخوين مصطفى واحمد الحاراتي – منشورات دار النشر المصرية – دار البناء للطباعة [؟]

● ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية – طبعة ثانية منقحة ومزيدة – لجورج صيدح – ٦١٦ صفحة – حجم كبير – وورق ممتاز – مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● آن الاوان – لسعد صائب – ١٦٠ صفحة – حجم كبير – [لم يذكر اسم المطبعة] .

● نهر الرماد – شعر – لخليل حاوي – مع مقدمة لعفاف بيضون – ١٠٠ صفحة – منشورات مجلة شعر – دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● الكلية الجعفرية من المهد الى المجد – وهو البيان السنوي [١٩٥٧–١٩٥٨] للمدارس الجعفرية في صور لبنان – ٦٤ صفحة – مع عدة رسوم – دار الشمالي للطباعة في حريصا لبنان .

● في القومية والانسانية – للدكتور كمال يوسف الحاج استاذ الفلسفة في الجامعة اللبنانية – ١٤٤ صفحة – منشورات عويدات بيروت – مطبعة قلفاط ببيروت .

● حياة حافظ ابراهيم – لاحمد محفوظ – مع مقدمة لعزيز اباظة – ٢٤٦ صفحة – منشورات مؤسسة نصار للتوزيع والنشر بالقاهرة – مطابع الناشر العربي بالقاهرة .

● كانديد او التفاؤل – لفولتير – ترجمها عن الانكليزية يوسف عبد المسيح ثروة – مع مقدمة عن فولتير لبريلز فورد – ١١٨ صفحة – مطبعة الجامعة ببغداد .

● الشعر والتجديد – لمحمد عبد المنعم خفاجي – ٥٢٨ صفحة – منشورات رابطة الادب الحديث – دار المهد الجديد للطباعة [؟]

● خطرات مسلول – لعباس العنبر – ٢٥٦ صفحة – مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● ديوان العرجي – رواية ابي الفتح الشيخ عثمان بن جني المتوفي سنة ٣٩٢ هـ – شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد العبيدي – ٢٢٠ صفحة – حجم كبير – الشركة الاسلامية للطباعة والنشر المحدودة ببغداد

● انا عاطل ... وقصص اخرى – لباسم عبد الحميد حمودي – ٤٠ صفحة – منشورات دار الابتهاج ببغداد – مطبعة الشباب ببغداد .

● التربية ثورة وتحرر – لواصف البارودي – الجزء الاول : نظرات عامة – ١٥٤ صفحة – منشورات دار النشر للجامعيين بيروت [لم يذكر اسم المطبعة] .

● في القومية العربية – لعبد اللطيف شرارة – ١٢٨ صفحة – منشورات عويدات بيروت – مطبعة قلفاط بيروت .

● باتريشيا وقصص اخرى – لعبد الواحد محمد – ١٠٦ صفحة – معمل ومطبعة العراق الحديث للطباعة والنشر [؟]

● مجموعة مسرحيات – لسعدون العبيدي – ١٦٠ صفحة – مصورة – تقديم خالد سعيد – مطبعة شفيق ببغداد .

● Mélanges — Louis Massignon — Tome III — 488 pages gd. f. — Publiés sous le patronage de l'Institut d'Etudes Islamiques de l'Université de Paris et de l'Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● Les Inquiets — Les Peintres : Kamel Telmisany, Ramses Younan, Fouad Kamel—par Aimé Azar—18 pages —Extrait de «La Peinture Moderne en Egypte»— Imprimerie Française Le Caire.

● Les Ainés — Les Peintres : Youssef Kamel, Ahmad Sabry, Ragheb Ayad, Mahmoud Said, Amy Nimr-Smart, H.Y. Amin — par Aimé Azar — préface d'Ahmed Rassim — 36 pages — Extrait de « La Peinture Moderne en Egypte » — Imprimerie [?]

في كلمات ...

● ان الدواء القوى المسمى Clorpactin Xcs والذي يستعمل منذ عدة سنوات لقتل الجرائيم ، يستعمل الان لمنع انتشار السرطان الى اعضاء الجسم السليمة بعد اجراء عملية جراحية لمريض يشكو من السرطان . ويقول الفرد غلوبس رئيس الشركة التي تنتج هذا الدواء ان العلاج المذكور قد برهن على مقدرته في قتل خلايا السرطان التي تفلت من السرطان الاساسي اثناء العملية وقد ظهر ذلك في سلسلة من العمليات الجراحية التي اجريت لمئة مريض في مستشفى البحرية الاميركية بنيويورك . ويقول غلوبس ان هذا الدواء قد يكون خطوة هامة في معالجة السرطان وتخفيض امكانية مراجعة المرض .

● القى الدكتور رونالد رافن خطابا في الجمعية الصحية الملكية في لندن تحدث فيه عن التدخين وسرطان الرئة واورد فيه احصاءات وضعتها مصانع التبغ ثم أعرب عن اسفه لان الشعب قابل اخطار التدخين بعدم الاهتمام . والجدير بالذكر ان نسبة بيع اللفائف هبطت هبوطا ملحوظا منذ ان اعلنت الحكومة رسميا اخطار التدخين وعلاقته بسرطان الرئة الا انه لوحظ ان هذا الهبوط رافقه ارتفاع ملحوظ في بيع حاملات اللفائف ذات المرشحات وتبغ الفليون

وانتقد الدكتور رافن موقف اللامبالاة الذي وقفه الشعب من « البيانات المتوالية على اخطار التدخين وعلاقته بسرطان الرئة » وقال: على الذين لا يدخنون ان يتحاشوا التأثر بسموم التدخين في الاماكن العامة كدور السينما والصالات وعربات سكة الحديد والمطاعم

● شكلت الحكومة الايرانية لجنة لدراسة ادعاء شخص ايراني يدعى اطاي هراتي بانه اكتشف علاجا للسرطان من عصير ينبت في جبال ايران في مواسم معينة . وكان عدة اطباء قد اكدوا شفاء الكثيرين بهذا العلاج

● نشرت مجلة ميديكال تايمز الطبية تقريرا جاء فيه ان اكثر من اربعين بالمئة من اطباء اميركا قد غيروا عادات تدخينهم التبغ خلال السنوات الخمس الماضية . وان دراسات حالات ٢١٢٢ طبيبا اظهرت ان ١٧ بالمئة منهم اقلعوا عن التدخين و١٤ بالمئة خفضوا استهلاكهم من السجاير و١٠ بالمئة زادوا من استهلاكهم وثلاثة بالمئة توقفوا عن تدخين السجاير واخذوا يدخنون السيجار او الفليون اما الباقون فما زالوا يدخنون نفس العدد من السجاير

● ارسل الطبيب المصري الدكتور عمر شوقي برقية الى المؤتمر الدولي لمعرفة سر الحياة في طوكيو يقول فيها : انه عثر على سر الحياة . واعلن نظريته بان المعادن التي في الجسم تصطدم مع الكترونات الاشعة الكونية فتحدث طاقة الكترونية في الجسم وان هذه الطاقة تتحول من حرارية الى كيماوية الى نفسية الى كهربائية وان تشابك الالكترونات الخارجية لذرات الجسم مع بعضها البعض ، تكون ايضا طاقة الكترونية ، وهذه الطاقات هي سر الحياة . ويعتقد الدكتور عمر شوقي ان هذا الاكتشاف سوف يساعد على علاج السرطان والجنون .

● شرح احد اخصائي امراض القلب في كليفلاند طريقة جديدة يمكن ان تحول دون وقوع النوبات القلبية وتصلب شرايين القلب عن طريق اخذ فيتامين E بكميات كبيرة جدا. وقد ابلغ الدكتور ليوغيتمان حشدا من رجال العلم ان ابحاثه تشير الى ان فيتامين E اذا اخذ بكميات كبيرة يستطيع ان يزيل طبقات الدهن السميكة المحيطة بالقلب والتي اتفق عموما على انها تسبب في حدوث النوبات القلبية وتصلب الشرايين في نسبة كبيرة من الناس . وأكد الدكتور غيتمان ان طريقته ما زالت تحت التجربة .

● صرح الدكتور ديل . جي. فريند الاخصائي في بوسطن ان الامراض التي يسببها الاطباء بالاكثار من ايصاء مرضاهم باستعمال أدوية غير صالحة وباستعمال « الريجيم » اخذت بالازدياد . وقال الدكتور المذكور ان لديه خمسين حالة من هذه الان ويتوقع زيادة هذا العدد .

● استطاع علماء جامعة كولومبيا ان يحملوا الافا من الاعصاب الجديدة على النمو حول اطراف العامود الفقري في الهررة . ويبعث هذا الاكتشاف الجديد على الامل للمرضى المصابين بفالج الاطراف الناتج عن مرض او اصابة في العامود الفقري . وقد اعلن العلماء نتيجة ابحاثهم هذه في الاجتماع السنوي لمجمع الجراحين الاميركي وقالوا انهم لم يشفوا بعد شلل الاطراف في الهررة ولا يعلمون ما اذا كان بامكان الاعصاب الجديدة التي حملوها على النمو ان تنقل الخلجات العصبية كالاعصاب الاصلية . واضافوا بان الاعمال والابحاث التي قاموا بها تبعث على الكثير من الامل .

● اشترك ثلاثة اطباء من سويسرا والسويد ومصر في اكتشاف علاج جديد للبلهارسيا ، وتدخل في تركيبه مادة الكبريت ، واسمه « ميراسيل » وهو عبارة عن اقراص تشفي من المرض في اسبوع واحد . وقد تم تسجيل الدواء في زيوريخ ، ويجري انتاجه لتصديره

● اعلن فرع مختبرات ليديرل لصنع العقاقير الطبية التابع لشركة سيناميد الاميركية انه سيجري قريبا تجارب واسعة النطاق على لقاح جديد مضاد لشلل الاطفال . ويصنع هذا اللقاح الذي ادخلت عليه تحسينات كثيرة خلال سنوات عدة من الفيروس الحي الذي يخفف مفعوله عن طريق تصويره في الحيوانات . ويقول الناطقون بلسان الشركة انهم يعتقدون بان اللقاح الجديد سيوفر وقاية من الشلل تفوق حتى تلك الوقاية التي يعطيها مصل سالك الشهير .

● صرح عالمان اميركيان بانهما يتقدمان في ابحاثهما حثيثا نحو اليوم الذي سيتحقق فيه للعالم امكان خزن القلوب والرئات الادمية في ثلاجات لاستعمالها « كقطع غيار » للمصابين في حوادث او امراض خطيرة . وقد تمكن العالمان من نقل هذين العضوين الى حيوان مخبري وعاش بها يوما كاملا .

● امر الدكتور محمد علي وكيل وزارة الصحة المصرية باعداد جميع الادوات اللازمة لمعمل الدم التي طلبها الدكتور سليمان حشيش مكتشف الدم الجديد في امريكا ، وقد بحث الدكتور محمد علي التقرير الكامل الذي اعده الدكتور حشيش ، ووافق على كل طلباته ، وامر مدير معمل المصل واللقاح ، ومعمل الدم الملحق به بتوفير كل التسهيلات المطلوبة للدكتور المصري ، ليبدأ فورا في انتاج الدم الذي يبقى محتفظا بحيويته اكثر من سنتين ، بدلا من الطرق الحالية التي لا تجعله يظل محتفظا بهذه الحيوية اكثر من اسبوعين ، وسينتج معمل الدم مواد طبية تساعد على الوقاية من الاوبئة والامراض ، وهذه المواد ستستخرج من الدم نفسه لاول مرة في مصر.

● طلبت النشرة الصحية التي يصدرها مكتب المعلومات في المانيا الغربية الى جميع المستشفيات التوقف عن ايقاظ المرضى قبل الساعة السادسة والنصف صباحا . وقالت النشرة ان المرضى بايقاظهم في الساعة الرابعة صباحا في بعض المستشفيات يحرمون من النوم الذي هم في اشد الحاجة اليه وعلى الاخص اذا كانوا قد قلقوا خلال الليلة وطلبت النشرة وجوب السماح للمرضى بالنوم بعد تناول طعام الفداء ، اذ ان ذلك يشكل عاملا فعالا في شفائهم .

● حصل الدكتور ابراهيم محمد نبيه ، خبير الادوية والعقاقير بوزارة الصحة المصرية

على نصر عالمي لمصر . فقد ارسل اليه معهد نوبل للكيمياء بالسويد يطلب منه ان يتابع ابحاثه التي بدأها في المانيا على « الكبريت » وكان الدكتور المصري قد نجح في ابتكار انواع من الادوية لم يسبقه اليها احد ، فمنحته جامعة المانيا الدكتوراه مع رتبة الشرف الاولى .

● اجرى الدكتور طومبسون تجربة على خمسة الاف طفل تتراوح اعمارهم بين خمس وسبع سنوات ، اثبتت فيها ان اطفال عام ١٩٥٧ ، يرجحون بذكائهم اطفال الحقبات الاخرى من الاعوام فمن اصل تسعين طفلا اختبرهم شخصيا تبين له ان ٢٦ يملكون مقدرة عقلية ترقى الى ٤١٠ درجة .. والذكاء الخارق يقف عند درجة ١٥٠ ويضيف الدكتور طومبسون قائلا شاهدت طفلا ابن سبع سنوات يجيب بدقة على اسئلة فلكية معقدة لا يراها ، ولا يكتنهها اذا قرأها . وذلك ناتج عن القنابل الذرية والهيدوجينية لان مادة - سترونتيوم ٩ - التي تنفذ الى الجسم لم تكن متوفرة قبل عام ١٩٤٥ ويدعو الدكتور الى التريث مقدار عشر سنوات لمعرفة مدى استمرار هذا الذكاء

● ان متوسط عمر الانسان في الاتحاد السوفياتي هو الان ٦٧ عاما ، أي بزيادة ضعفين على ما كان عليه قبل الثورة . فلقد كان في ذلك الحين ٣٢ عاما . وكانت الوفيات في روسيا ما قبل الثورة تبلغ ضعفي الوفيات التي كانت تحدث في الولايات المتحدة وبريطانيا وهي تبلغ الان ٧،٥ من الالف . وهو رقم اقل بكثير مما هو في الولايات المتحدة وانكلترا .

● يعقد بالقاهرة في اول مارس القادم المؤتمر الرمدي الافريقي الاسيوي الاول . ومن اهدافه دراسة امراض العيون الخطيرة المنتشرة في القارتين الافريقية والاسيوية وبحث وسائل القضاء عليها وتشجيع البحث العلمي وايجاد رابطة علمية بين بلدان هاتين القارتين . وسيدرس المؤتمر الرمد الصديدي والرمد الحبيبي والجلوكوما والكتاركتا وعلاج العين بالذرة .

● اطلق الاتحاد السوفياتي كوكبه الاصطناعي الثاني « سبوتنيك » في ٣ نوفمبر [تشرين الثاني] وهو يشكل الجزء الاخير من الصاروخ الناقل الذي يحتوي في داخله على اجهزة علمية ويحمل الكوكب الاصطناعي الثاني اجهزة لدرس الاشعاع الشمسي في ميادين الاشعة فوق البنفسجية ذات الموجات القصيرة واشعة رونتجن الناتجة عن الطيف الشمسي . كما يحتوي على جهاز لدرس الاشعة الكونية وجهاز لدرس الحرارة والضغط ويحتوي القمر الثاني كذلك على جهاز محكم السد يحتوي في داخله على كلبة من نوع كوباي « لايكا » مرفقة بجهاز لتكييف الهواء ومواد احتياطية للتغذية واجهزة لدرس النشاط الحياتي في شروط الفضاء الكوني ، واجهزة قياسية لنقل المعطيات العلمية التي يتم الحصول عليها الى الارض . كما يضم جهازي ارسال يعملان على موجات طولها ٧،٥ و١٥ مترا . ويحتوي الكوكب ايضا على الموارد الضرورية للطاقة الكهربائية .

يبلغ الوزن الاجمالي للكوكب بما فيه الكلبة وموارد التغذية الكهربائية ٣،٨ .٥ كيلو غراما بلغت سرعة مدار الكوكب الجديد ٨٠٠٠ متر بالثانية . ويبلغ اقصى بعد الكوكب عن سطح الارض ١٧٠٠ كيلو متر وتستغرق دورته الكاملة حول الارض ١٠٢،٧ دقائق وتبلغ زاوية انحناء المدار بالنسبة لسطح خط الاستواء ٦٥ درجة وتعمل جميع الاجهزة داخل الكوكب بصورة طبيعية .

رغم الزيادة الملحوظة في وزن الاجهزة العلمية واجهزة القياس التي يحتويها الكوكب الاصطناعي الثاني والتي تزيد عن نصف طن فان سرعته الى فلكه قد زيدت عن سرعة الاول لكي تتاح زيادة مدة بقائه. وهناك اجهزة لاسلكية للقياس عن بعد (راديو تيليمترية) موضوعة في الارض في الاتحاد السوفياتي تلتقط وتسجل معطيات اعمال الرصد العلمية التي تجري في الكوكب الثاني ووفقا لبرنامج السنة الجيوفيزيائية سيجري بنوع خاص في الكوكب الاصطناعي الثاني دراسة المسائل الطبية البيولوجية الهامة التي يثيرها الطيران عبر الكواكب .

● اكد العالم الروسي الشهير فلاديمير شميليكوفسكين في موسكو ، ان الكلبة «لايكا» قد ماتت وليس ثمة وسيلة يمكن بواسطتها اعادتها الى الارض . وقال ان موت « لايكا » قد فرضته ظروف تجربة اطلاق الجرم الاصطناعي الروسي الى الفضاء . وشرح العالم وضع الكلبة « لايكا » من الناحية الطبية والبيولوجية . واذاع راديو موسكو ان العلماء الروس لم يكونوا يستهدفون استعادة «لايكا» من الفضاء ووعد راديو موسكو بان يقوم العلماء الروس ببذل الجهد لاستعادة الكلاب الاخرى التي سترسل في الفضاء مع الاجرام الاصطناعية

ونشرت جريدة « البرافدا » مقالا شرحت فيه خصائص الجرم الروسي الثاني الذي ارسلت فيه الكلبة « لايكا » . وقد اعلنت البرافدا ان مدة بقاء الجرم الاول هي ثلاثة اشهر . وذلك يعني ان الجرم سيستمر في التنقل ضمن مداره حتى نهاية ١٩٥٧ وسيحترق الصاروخ الناقل قبل الكوكب الاصطناعي . وستفوق مدة تنقل الكوكب الاصطناعي الثاني مدة تنقل الكوكب الاصطناعي الاول .

ثم تحدثت البرافدا عن درس الظواهر البيولوجية للحيوان (الكلب) فاشارت الى ان السفر على الكوكب الاصطناعي يسمح بدرس سلوك كائن حي في وسط فاقد للجاذبية ، وذلك لمدة عدة ايام ان المعلومات الاختبارية التي تم الحصول عليها ، على نطاق الابحاث الميكروبيولوجية قد درست بالتفصيل . فقد تحمل الحيوان بصورة جيدة السرعة لدى اطلاق الكوكب الاصطناعي الى مداره وكان سلوكه جيدا في وسط فاقد الجاذبية . وتدل المعلومات التي تم الحصول عليها على ان حالة الحيوان كانت مرضية طوال مدة التجربة . وختمت البرافدا مقالها فقالت : ان الابحاث التي تمت تشكل فائدة كبرى في طريق تحقيق السفر القادم عبر الكواكب ، وتصلح اساسا لاعداد الوسائل التي تؤمن سلامة طيران الانسان عبر الفضاء الكوني .

● كشف راديو موسكو النقاب عن حادث اخر فذ يتعلق بالطيران في الفلك . فقد اعلن ان تجارب اجريت على ١٦ شخصا ارسلوا في مرات مختلفة الى فلك الارض خارج نطاق الجاذبية واسفرت عن اكتشافات هامة . ومن هذه الاكتشافات التي توصل اليها الروس نتيجة التجارب المذكورة ونتيجة اطلاق الجرمين الاصطناعيين ان فقدان الجاذبية في الاجواء العليا لا يؤذي الانسان بل يمده بمصدر هام للراحة والهدوء وان الذين اجريت عليهم هذه التجارب افادوا ان الانسان عندما يبلغ الاجواء العليا يعتريه احساس غريب فكانه ريشة طائرة في الفضاء . وقال راديو موسكو انه اتضح ان هذه التجارب اذا اجريت مرات متعددة على انسان ما اعتادت اعضاؤه على انعدام الجاذبية وان عددا من هؤلاء الذين اجريت عليهم التجارب تمكنوا من الطيران مددا قصيرة على الارض ، وان كثرتهم اصبحوا يتمتعون بقدرة مدهشة على المحافظة على توازنهم في الفضاء كالسير على الحبل مثلا .

● بدأ الحديث يدور في الاوساط العلمية في موسكو على امكان استخدام الاجرام الاصطناعية نقاط وصل لاجهزة التلفزة في العالم ، وقال العالم الروسي مانابيف انه من السهل تصوير جميع انحاء اوروبا الغربية بواسطة الاجرام الاصطناعية ونقل برامج التلفزة من قارة الى اخرى بهذه الواسطة ايضا وقال ان العالم الروسي ماركوف تطرق الى الفكرة منذ خمسة عشر عاما .

● ذكرت صحيفة ليبراسون البارسية ان عالما فرنسيا التقط صورة لجرم ارضي ، قبل ستة اسابيع من اعلان اطلاق القمر الاصطناعي الروسي الاول الذي يدور حول الارض .

● اعلنت المصادر الصناعية في اميركا انه

على الرغم من تكتم الروس حول الوقود الجديد الذي استخدموه لاطلاق الجرم الاصطناعي الثاني فان الدوائر الاميركية ذات العلاقة تعرفه وان اميركا تملك هذا الوقود .

● اعلن سلاح الطيران الاميركي ان المعلومات الاولية التي تلقاها العلماء تدل على ان الصاروخ المسمى « فارسايد » الذي اطلق فوق المحيط الهادىء في ٢٢ نوفمبر [تشرين الاول] الماضي قد وصل على ارتفاع اربعة الاف ميل في الفضاء ويقول الكولونيل اوجين لافيار الذي اشرف بنفسه على اطلاق « الفارسايد » بانه من الممكن ان يكون الصاروخ قد ارتفع الى علو اربعة الاف وبضع مئات من الاميال وقال بان العلماء لم يتموا بعد تحليل المعلومات التي تلقوها من الصاروخ بواسطة الراديو . وتقول المعلومات التي وردت من الصاروخ ان سرعته بلغت ٢٧ الف و٢٠٠ كلم بالساعة أي حوالي خمسة اميال بالثانية الواحدة . ويعتقد العلماء بانه اذا امكن جعل السرعة تصل الى سبعة اميال في الثانية والمحافظة على هذه السرعة يتمكن هذا الصاروخ من الوصول الى القمر . وسئل الكولونيل لافيار عما اذا كان سيصل الى ارسال صاروخ الى القمر في غضون سنة فاجاب « لا ارى مانعا لذلك من الناحية الفنية » . وقال ان « الفارسايد » لم يقصد منه التوصل الى القمر بل انه يرمي الى جمع المعلومات العلمية عن الاشعة الكونية والحقل المغنطيسي الذي يحيط الكرة الارضية وقال انه ليس لهذا الصاروخ اية استعمالات عسكرية مباشرة وقال انه لم يدر حول الارض لانه لم يوجه بشكل يجعله يدور .

● صرح رؤساء اقسام الابحاث والتطوير في الجيش الاميركي بانه اصبح في استطاعة الانسان الان ان يصعد الى الفضاء الخارجي ويعود الى الارض بسلام . وقال الجنرال جيمز غافن ان هذا الامر اصبح حقيقة واقعة بعد ان اطلقت اميركا قذيفة مصنوعة من مادة خاصة وتمكنت من اعادتها الى الارض . ورفض الجنرال غافن الذي كان يلقي خطابه امام جمع من الطلاب الاميركيين ، ان يكشف النقاب عن المادة التي صنعت منها القذيفة . واضاف يقول ان الاسباب الفنية التي كان يخشى معها من الحرارة الشديدة المتولدة من احتكاك القذيفة بطبقة الهواء الخارجي عند عودتها الى الارض قد امكن التغلب عليها بواسطة هذه المادة واصبح بالتالي في امكان الانسان ان يصعد الى الفضاء ثم يعود الى الارض بسلام .

● كشفت اليابان النقاب عن تجربتها الناجحة لاول صاروخ من صنع ياباني يسبق الصوت وقد اتمت تجربة هذا الصاروخ سبع مرات خلال الشهر الماضي وقال متحدث بلسان وزارة الدفاع ان هذا الصاروخ ذو اجنحة وانه صمم لتجربة اجنحة الطائرات النفاثة لتمكينها من الطيران بسرعة اكبر .

● اعلن سلاح الطيران الاميركي اضافة سلاحين جديدين الى اجهزة الدفاع الاميركية وهما صاروخ يقذف من الجو الى الارض والة تصوير تكبيرية تتبع سير القذائف المسيرة خلال الاميال المائة الاولى من انطلاقها اما الصاروخ الجديد فهو القذيفة الموجهة ذات المدى البعيد المسماة « راسكال » والتي اصابت هدفا ضمن دائرة قطرها ٣ الاف قدم اربع مرات من اربع طلقات خلال تجربتها ولم يكشف سلاح الجو النقاب عن المسافة التي اطلق منها الصاروخ من الجو الى الهدف الارضي ولكن المعروف ان مدى القذيفة يتراوح بين ٣٠٠ ميل و٥٠٠ ميل والغاية من صاروخ « راسكال » هي اطلاقه من قاذفات القنابل ذات السرعة العظميه وهي على مسافة مئات الاميال عن الهدف الارضي بحيث يقل الخطر الذي تتعرض له الطائرة من نيران المدافع الارضية .

وينتظر ان تساعد الة التصوير التكبيرية كثيرا في معرفة الاسباب التي قد تمنع انطلاق الصواريخ في الجو . وتتركز عدسة الالة التصويرية الجديدة على الجسم بصورة اوتوماتيكية عن طريق الرادار .

● اعلن الاتحاد السوفياتي انه سينزل الى البحر قريبا اول باخرة كاسرة للجليد في العالم تسير بالطاقة الذرية . ويقول البيان ان هيكل هذه الباخرة ، التي يصار الان الى صنعها في احدى ترسانات صنع السفن في لينينغراد منذ حوالي السنتين قد انجز حتى الان . وان محركات الباخرة ومولداتها يصار الان الى تركيبها وان العمل قد انجز كذلك في جوانبها وقد وصفت كاسرة الجليد هذه بانها ذات حمولة ستة عشر الف طن وان قوة محركاتها تبلغ اربعة واربعين الف حصان . والمنتظر ان تتمكن من السفر سنة كاملة دون حاجتها الى التزود بالوقود الذرية .

● صرح ناظر البحرية الاميركية بان الغواصة الذرية الاميركية « نوتيلوس » قد مخرت مسافة تزيد عن الالف ميل تحت الجليد في المحيط المتجمد الشمالي وقضت خمسة ايام ونصف تحت الجليد اثناء رحلة خاصة بجمع المعلومات عن الاحوال العامة في المياه التي يغطيها الجليد ودراسة التيارات المائية والطقس البارد وكيفية عمل بعض الالات والادوات في هذه الاحوال الجوية . ثم اعلن ان البحرية وافقت على بناء ١٧ غواصة مماثلة في برنامج بناء الفواصات لعام ١٩٥٨ وقال بان البحرية الاميركية تصف هذه الفواصات بانها غواصات « حقيقية » لانها تستطيع البقاء تحت الماء مدات طويلة بينما تحتاج الفواصات العادية ان تصعد الى سطح الماء للحصول على الاكسوجين والمحروقات وفي ابريل [نيسان] الماضي وبعد سنتين من العمل زودت النوتيلوس بالوقود لاول مرة بعد ان مخرت ستين الف ميل وقد قطعت اكثر من نصف هذه المسافة تحت الماء . وقد قطعت هذه الفواصة منذ انزالها الى البحر حتى اليوم ٩٦ الف ميل منها ٦٤ الف تحت الماء .

● صرح وزير الدفاع الاميركي بان البحرية الاميركية قد اتمت صنع اسلحة ذرية للاستعمال في اعماق البحار . وقال ان دول حلف الاطلسي قد جهزت بهذه الاسلحة وقال الوزير ان الاسلحة الذرية المضادة للفواصات ستلقى بطريق الجو .

● تحدث محمد علي عنابي رئيس وفد تونس لدى الوكالة الذرية الدولية في فيينا بالنمسا عن عزم حكومته على بناء محطة لتوليد الكهرباء الذرية كل خمس سنوات على ان تكون قوة الواحدة منها عشرة الاف كيلوات . وقال بان بلاده لا تملك ابارا للنفط ولا مناجم فحم حجري ولا مجاري مياه قوية تسمح لها بتوليد الكهرباء وستطرح مشروع بناء اول محطة من هذه المحطات للمناقصة في القريب العاجل .

واشار السيد عنابي الى ان مشروع استخدام الطاقة الذرية هو قسم حيوي من مشروع الانماء التي رصدت له الحكومة مبلغ ١٢٥ مليون دولار . وقال ان تونس قد اوفدت عددا من العلماء للتخصص والدراسة في فرنسا وسوف تبعث بعدد اخر الى الولايات المتحدة

● تبدي الحكومة العراقية اهتماما كبيرا بامكان زيادة عائدات العراق من شركة النفط . والمعلوم ان عائدات العراق من نفطه تبلغ نصف ارباح الشركة باستثماره . ولكن التقارير التي اخذت تتحدث منذ مدة قصيرة عن عرض الشركة الايطالية ٧٥ في المئة من الارباح على ايران ، اعادت الى بساط البحث مسالة نسبة العائدات العراقية . وقد نشرت الصحف تصريحا لعبد المجيد محمود وزير الاقتصاد السابق الذي وقع اتفاق ١٩٥١ قال فيه ان من حق العراق المطالبة بمبدأ جديد في توزيع ارباح استثمار النفط اذا تاكد ان ايران حصلت من الشركة الايطالية على نسبة ٧٥ في المئة من الارباح وقال ان الجانب العراقي ارسل الى شركات النفط كتابا متضمنا ان من حق العراق مطالبة هذه الشركات باية زيادة تتعدى حدود المناصفة وقد تنالها اية دولة من دول الشرق الاوسط فكان جواب الشركات انها مستعدة لدرس الطلب .

● اعلن الكونسرتيوم الدولي انه وافق على تخصيص ٥٠ مليون استرلينية تنفقها شركات النفط على توسيع اعمالها جنوب ايران وخصص من هذا المبلغ ١٩ مليون استرلينية من اجل المواصلات وخلق جميع اسباب التسهيلات الضرورية للطرقات وسبل النقل وتوسيع اعمال المرافىء التي تستوعب ناقلات ضخمة تصل حمولتها الى مئة الف طن . وفي جملة ذلك ايضا انشاء المنازل والمكاتب والاندية للموظفين وبناء ارصفة جديدة بحرية وخط انابيب جديد بالاضافة الى اعمال التحري عن النفط وحفر الابار التي سيصل عددها الى تسع ابار مع تنفيذ الدراسات الجيولوجية وعمليات اخذ رسوم لمناطق العمل لمواصلة الدراسات الفنية والعلمية . وخصص لبناء البيوت والبرامج الترفيهية ١٠ ملايين استرلينية وقد قرر انشاء ١٣٠٠ منزل جديد للموظفين ومليون استرلينية للاعمال الطبية .

● اعلن مصدر مأذون في وزارة الاشغال العامة السورية ان الخبراء السوفيات الذين زاروا سوريا اخيرا قد اكدوا وجود معادن الحديد والاميانت والمنغنيز والكروم والبلاتين في شمال سوريا الشرقي ووجود معدن الرصاص في منطقة جبل الشيخ في الغرب ومعدن الكبريت في منطقة راس العين قرب الحدود العراقية ، وكميات من الفحم الحجر في مناطق سوريا الجنوبية .

واضاف المصدر قائلا ان هؤلاء الخبراء لم يقوموا بتحريات علمية بالمعنى الصحيح عن النفط في سوريا الا انهم اعربوا عن اقتناعهم بوجود النفط بشكل جازم في البلاد بعد اطلاعهم على الدراسات الجيولوجية وانواع التحاليل التي اجريت للتربة واجراءات السبر التي تمت حتى الان .

● اعلنت شركة « اميريكان افياشن » نبأ صنعها جهازا اليا كاملا لهبوط الصواريخ والطائرات التي يقودها الطيارون العاديون وهذا الجهاز يشرع بالعمل في الوقت المناسب عند انحدار الطائرة نحو المدرج وبالامكان استعماله في حال هبوط الطائرة مستعينة بالاتها وهو يمكن الطائرة من الهبوط مهما كانت الاحوال الجوية .

● يتوقع ان تزود سفن الركاب الضخمة في السنوات القليلة القادمة ، بزحافات مائية تعينها على مخر عباب البحار بسرعة مائة ميل في الساعة . وستكون هذه الزحافات اشبه باجنحة متصلة ببطن السفينة ترفع جسم السفينة عند شقها الماء وبذلك تزيد من سرعتها

● توصلت معامل بريطانية الى صنع نوع جديد من الفولاذ ينتظر ان يحل اكبر مشكلة يواجهها واضعو تصاميم الطائرات الحديثة ومعامل القذائف الموجهة والصواريخ لان هذا الفولاذ يقوى على احتمال حرارة جد مرتفعة . وبذلك اصبح بالامكان صنع طائرات وقذائف وصواريخ تصمد في وجه الحاجز الحراري بعد ان كانت هذه العقدة مشكلة صناعية تواجه المعامل ، وهو يتميز بعدة صفات يتحلى بها الفولاذ المعروف حتى الان ويضيف عليها ميزات اخرى جديدة ، منها مقاومة الانفصام وقوة الاحتمال وعدم التأثر بالتآكل والتصدع كما انه مطواع لعمليات التلحيم ويتحمل حرارة ٥٠٠ درجة سنتيفراد . لذلك فهو يصلح لعدة اغراض صناعية اخرى .

● اعدت الحكومة العراقية مشروع قانون صيد الحيوانات المائية وحمايتها ينص على ان يكون الصيد البحري في المياه الاقليمية بنظام خاص يقضي بتسجيل سفن الصيد وتعيين مواصفاتها وادوات الصيد المستعملة فيها وغير ذلك . ويمنع الصيد باستعمال السموم والمواد الكيماوية والمواد المتفجرة والوسائل الاخرى كما يمنع تغيير مجرى الماء بقصد الصيد وطرح فضلات المعامل ومجاري المياه القذرة في المياه الطبيعية اذا كانت هذه الفضلات تؤدي الى قتل الحيوانات المائية او اتلاف غذائها وبعدم استعمال الوسائل التي تعيق حركة الاسماك الطبيعية واجاز القانون للوزير المختص بتعيين مواسم الصيد والمناطق المحرمة ، وتعيين الحد الادنى لحجم الاسماك التي يسمح بصيدها ، ومنع استيراد أي نوع من الاسماك الاجنبية بقصد تربيتها في المياه العراقية الا بعد الحصول على موافقة من الدائرة المختصة .

● فحص مكتب السواحل والمساحة بالولايات المتحدة جهاز رادار مبتكر ، يستطيع اجراء عمليات المساحة التي يحتاج اتمامها الى اربعة شهور في ١٤ يوما فقط . وهذا الجهاز من ابتكار علماء من جنوب افريقيا ويعرف باسم « تلروميتر » . وهو يقيس الابعاد والمسافات بواسطة موجات الراديو بين وحدة رئيسية واخرى بعيدة .

● يتمتع المرضى في بعض مستشفيات انكلترا باجهزة راديو تتيح لهم الاستماع الى برامج اذاعات مختلفة دون ان يزعج احدهما الاخر وذلك بواسطة مكبرات للصوت (هوبارلورات) صغيرة موضوعة في داخل المخدات . وتتصل هذه المكبرات بمركز في بناء المستشفى حيث يوجد جهاز راديو لاقط وفونوغراف واله تسجيل على الشريط ومكرفون . وبادارة مثبت على الجدار بجانب السرير يتمكن المريض من ان يختار احدى الاذاعات البريطانية الثلاث او الاستماع الى موسيقى مسجلة على الشريط او الاسطوانات . وباستطاعة المريض ايضا ان يرفع او يخفض الصوت بواسطة زر ثان قريب من الزر الاول . وعلاوة على كل ذلك يتمكن المريض من ان يستعمل الجهاز نفسه كتلفون لمخاطبة المرضات وذلك بعد الكبس على زر منبه كما ان المرضات يتمكن من التكلم مع المرضى او اصدار التعليمات اليهم وذلك عن طريق المكرفون الموجود في المركز .

● ذكرت صحف نيويورك ان محطات اللاسلكي في جميع انحاء العالم التقطت اشارات لاسلكية غريبة من المؤكد انها ليست صادرة عن القمرين الاصطناعيين الروسيين الاول او الثاني .

● اخفقت الطائرات النفاثة واجهزة الرادار في اكتناه سر جسمين شوهدا في الفضاء فوق جوهانسبرغ باتحاد جنوب افريقيا وقد صعدت طائرات – سابر – الى اقصى ارتفاعها وهو ٤٥،٠٠٠ قدم ولكنها لم تتمكن من الاتصال بالجسمين ويقول المراقبون على الارض ان ارتفاع الطائرات لم يكن كافيا للاقتراب منهما. واخفقت اجهزة الرادار في التعرف على الجسمين اللذين بدا احدهما بشكل قرص يعكس اشعة الشمس من صفيحة فضية .

● شاهد الدكتور بريبلسكي واثنان من زملائه من مرصد ستروملو بالقرب من كانبره جسما غامضا يسير في السماء اشد لمعانا من كوكب « الزهرة » ، وهو يتجه نحو الغرب عبر السماء الشمالية على مستوى منخفض من الافق وذلك خلال عدة دقائق . وقال هؤلاء العلماء الفلكيون الذين سبق لهم ان شاهدوا مرور الجرم الارضي الروسي سبوتنيك رقم ٢ ان هذا الجسم الغريب هو غير مالوف بحيث لا يشبه اي جرم شوهد في السابق .

● شاهد بضعة الاف من سكان مدينة غراتز في النمسا صحنا طائرا يميل لونه الى الاخضر يسير في السماء تاركا وراءه سحابة يشع منها النور . وقد ارتفع هذا الصحن فجاة في الفضاء واختفى نحو الشمال .

● شوهد جسم غريب مشتعل بشكل كتلة ملتهبة مستديرة ، يخترق سماء دمشق ويحلق على ارتفاع شاهق متجها من الغرب الى الشرق ثم شوهدت الطائرات النفاثة السورية تحلق في الجو متعقبة هذا الجسم الغريب .

وقد سئلت مديرية مرصد المطار عن هذا الجسم فاجابت بان المعلومات لم تكتمل لديها بصدده وانها لا تعرف حقيقته ولم تستطع الكشف عن كنهه .

● وردت على وشنطن تقارير عن جسم لماع غريب مر فوق غربي ولاية تكساس وعكفت دوائر السلاح الجوي الاميركي على دراستها . وجاءت كذلك تقارير من جنوب ولاية مكسكو الجديدة تفيد ان جسما لماعا كرويا قد شوهد يمر فوق الولاية .

وقد شاهد الجسم ضابطان من البوليس في مكسيكو الجديدة بفارق ١٧ ساعة بينهما. وقال احدهما انه شاهد الجسم اللماع ويبلغ طوله بين ٢٠٠ و٣٠٠ قدم وسرعان ما اختفى في الفضاء وقال الثاني انه شاهد الجسم اللماع على علو ٥٠ ياردة فوق مركز الابحاث الذرية .

وقالت المصادر الاميركية المسؤولة ان هذا الحادث لا علاقة له باعمال المركز الذري . وصرح ناطق بلسان وزارة الدفاع الاميركية بان الوزارة لم تتلق اية تقارير رسمية عن الحادث وان افادة شهود العيان تدرس الان

وافاد بعض شهود العيان ايضا في ولاية تكساس انهم شاهدوا الشيء اللماع الغريب وفي اللحظة التي مر فيها فوقهم توقفت محركات سياراتهم وانقطعت الطاقة الكهربائية في السيارة فانطفأت الاضواء . ولم تعلق المصادر الرسمية على هذا الحادث الخارق .

● صرح البروفسور خوان اولساخر مدير المتحف العلمي الوطني في مدينة كوردوبا في الارجنتين بان التحليل الذي اجراه لنيزك سقط قرب مدينة بنانا في اغسطس الماضي ، اظهر ان النيزك يحتوي مركبا معدنيا « من صنع الانسان » وقال ان النيزك الذي سقط على مرأى من مئات الناس في ٢١ اغسطس بلمعان ودوي عظيمين كان يحتوي عناصر الالومينيوم والمغنيزيوم والليتيوم .

● اخرج فريق من علماء جامعة كولومبيا في احدى تجاربهم التي يجرونها لحساب السنة الجغرافية الطبيعية برغوثا رمليا دقيق الحجم، ودودة ، من اغوار قياسية عند شواطىء افريقيا الغربية . وقد ظلت الحشرتان حيتين مع ان البرغوث اخرج من عمق ١٣٢٠٠ قدم والدودة من عمق ١٦٢٠٠ قدم ، واستطاعا تحمل الاختلاف الكبير في درجتي الحرارة والضغط بين قاع المحيط وسطحه .

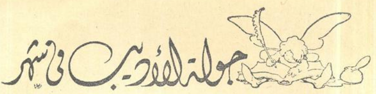
● عثر على آلة تصوير تلسكوبية تحتوي على فيلم يعتبر خير الافلام التي تظهر صورة الشمس بوضوح تام . وكانت الالة مربوطة في مظلة جوية سقطت من ارتفاع ٨١ الف قدم . وكانت جامعة منيسوتا قد اطلقت بالونا ضخما من البلاستيك على بعد خمسة اميال من المكان الذي هبطت فيه المظلة وكان في البالون قارب صغير يحتوي على آلة التصوير التي تمكنت من اخذ ٨٠٠٠ صورة للشمس .

● اعلن العلماء في مرصد طوكيو ان البقع الشمسية التي ظهرت على سطح الشمس منذ بداية الشهر الماضي ، تزايدت حتى اصبحت مساحتها ٦٥ ضعفا لمساحة الكرة الارضية . ويؤكد العلماء انه من المحتمل ان تحدث انفجارات شمسية اخرى . تسبب الاعاصير المغناطيسية وتعرقل جميع المواصلات اللاسلكية فضلا عن تغيرات طبيعية خطرة في انحاء العالم .

● علم من مصادر دائرة الاثار الاردنية ان اعمال الحفر التي تجريها المدرسة الاميركية للابحاث الشرقية في خربة « المبيقة » في قضاء الخليل باشراف دائرة الاثار الاردنية دلت على ان هذه الخربة كانت مأهولة بالسكان حتى القرن الثاني قبل الميلاد . وقد استعين بحجارة سورها في بناء قلعة صليبية كانت قائمة بالقرب من الخربة ووجدت ادوات فخارية ونحاسية وزجاجية وتمثال صغير من العاج يمثل ابا الهول . وقالت المصادر انه اتضح ان تاريخ هذه الخربة يعود الى عصر الكنعانيين اي الى حوالي ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد

● عثر في « دور دوني » في جنوب فرنسا على بعض عظام هيكل بشري لعملاق يبلغ طوله حوالي ٢،٥٠ متر كان يعيش منذ نحو ٥٠،٠٠٠ سنة . واكتشف الهيكل عندما بدأت الحفريات في جنوبي فرنسا منذ العام الماضي للتنقيب عن الماء في مكان يقع على ارتفاع ٣٥٠ مترا فوق احدى المغارات وعثر المنقبون على عظام حيوان ثم عظمتي ساق وعظم ضلع مكسور وفك عريض وعلى هيكل عظمي لولد كان يعيش قبل التاريخ .

● أكد المستكشف البحري المعروف القومندان ميموند بوتشر الذي يقوم حاليا بابحاث في اعماق مياه البحر على مقربة من سواحل جزيرة لينوزا انه اكتشف في اعماق الماء أطلال بناء هائل ضخم محاط بحوائط عالية منحوتة . وقال انه عثر ايضا في قاع الماء على تمثال ومراسي سفن ذات احجام كبيرة ربما تكون من معدن الرصاص .



من وحي مكة المكرمة

●

صحفي مغترب عاش في هذه البلاد، وفي دنيا العرب كافة باحلامه الذهبية ثلث قرن في الارجنتين وقد زار الملكة العربية السعودية اخيرا ، وزار مكة المكرمة ، وعلى ضوء بعض مشاهداته كتب المقالة التالية :

قد تكون اسلاميتي الدافع الاساسي لوضع هذا العنوان لمقالتي « من وحي مكه المكرمه ». وقد يكون الدافع الحقيقي ايضا لارسال كلمتي هذه انطباعات تركت في نفسي تأثيرا عميقا بعد زيارتي هذا البلد الامين الذي ، حقق الله احلامي الذهبية بزيارته بعد حنين دام ثلث قرن او يزيد

ما مر يوم من عمري في المهجر دون ان افكر باني غريب ، بالرغم من صرف ثلثي عمري في بلاد ، تحترم الغريب كاحترامها لابنائها ، ولا تفرق شرائعها بين المهاجر ، وابن البلاد الاصلي واذا انقطعت صلة البعض بينهم ، وبين بلادهم فان صلتي ببلادي لم تنقطع فكل مقال، وقصيدة وخطاب ، وانشودة ــ كانت لي بشيرا ونذيرا وتركت صدى بعيدا في نفسي ، وليعذرني قرائي الكرام اذا ذهبت الى ابعد من هذا ــ اذ استطيع القول بان القصيدة التي كانت تنشدها ام كلثوم بصوتها الرخيم ومطلعها : [الى عرفات الله يا خير زائر عليك سلام الله يا عرفات] من مسافة عشرين الف كيلو مترا بواسطة الاذاعة المصرية ، وصوت العرب كانت تكهرب شعوري وتتركني اعيش في بلادي بروحي وتفكيري العميق ، واذا كان المعول على ما يخالج الروح ، والقلب فلا عبرة للمسافات ، نعم كم تصاعدت زفراتي عندما كانت مطربة هذا العصر تلقي في موسم الحج هذه القصيدة وهي تقول الى عرفات الله يا خير زائر .

كم تمنيت ان اكون بين الحجيج مسلما كنت ناجي ربي سويعات من الزمن واطلق الدنيا سويعات اخرى وانطلق بروحي انطلاق الطير في عالم اللانهاية .. ثم شاء الله ان اكحل عيني بمشاهدة البلاد العربية ، وابلغ امنيتي واني لسعيد ان ارى هذه البلاد السعيدة التي وقفت جهدي على خدمتها منذ صدور جريدة (العلم العربي) اي منذ ٢٤ عاما حتى الان .

ولي على حنيني لعروبتي وعقيدتي هذه الابيات التي نظمتها في عدة مناسبات ولفظها القلب دما:

دعني امج كؤوس الراح من عرقي
مما اذيت على الاقلام والورق
احن للكوخ للازهار انشقها
من حوله لشذى النسرين والحبق
احن للحقل للاطيار راقصة
في مطلع الشمس اوفي حمرة الشفق

●

يهنيني بيوم العيد صحبي
وشمس العيد لم تشرق عليا
فقلت لصاحبي سيجيء عيدي
متى حريتي عادت اليا
متى شاهدت اهلا من نجاري
وأختا ان امت تبكي عليا
هنائي ان اعود الى بلادي
فقيرا عشت فيها او غنيا

●

لغير العرب لما يرن قلبي
ولا رفت لغيرهمو جفوني
اذا انكرتهم لا عشت يوما
وشلت ان زهدت بهم يميني

واكثر ما يسرني ان ارى البلاد التي تركتها صبيا ، يرتع الاجنبي في اراضيها ، ويلعب وليس لها علم يرفع .. ان اراها متطهرة من درن الاستعمار وقد فرضت سيادتها فرضا ، بعد ان نالت عزتها واستعادت كرامتها ويعود ولعي لمشاهدة المملكة العربية السعودية الى زمن الطفولة يوم كنت اتصور الصحراء مصدر الالهام والوحي والنبوة وهل زال هذا التصور من نفسي ؟ حاشا وكلا ... ان ايماني بنهضة هذه المملكة كان يزداد كلما ازددت سنا ، وعلما! وها قد زرت مكة ، وعدت الى تفكيري الاول ، ونقلت صدى اماني ورغباتي التي اعطانيها الله كاملة غير ناقصة الى اسرتي في الارجنتين التي تنطبع بطابعي وعقيدتي رغم البيئة والمحيط والتيارات واجعل من جريدتي مسرحا لما رايت، وسمعت .

وكان همي ان اقتطف اول ثمرة من ثمرات جهادي المرير في غربتي .. ان اقتطفها في حقل مخصب بالكرامات والفضائل ، واللامبالاة بالمادة الفاتكة ، وحطام الدنيا ، في مهد محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . في البيت الحرام ... حيث اقتطفت تلك الثمرات الروحية وحيث زرت بمعية الشيخ عبدالله بلخير مكة المكرمة والبيت الحرام . وهل تغني الثمرات المادية عن الثمرات الروحية اذا كان الانسان يعيش بروحه ؟

قد تكون مكة المكرمة هي الدافع الاول ، والهدف الاول وقد يكون بيت الله الحرام . والاماكن المقدسة مبعث احلامي ولكنني وانا الصحفي العربي المسلم الذي صرفت ٣٤ عاما في بلاد اغرقتها الصهيونية بالدعايات وملأها المستعمرون بالوشايات وبيني وبين عناصر الشر وسماسرة الفتنة صولات وجولات فيما كتبت في جريدتي باللغتين العربية، والاسبانية مدة ربع قرن تقريبا سيما عما يتعلق بهذه المملكة الفتية ومليكها المعظم الذي قطع بنصف عقد من السنين مسافة نصف قرن باستباق الزمن ... ان صحفيا مثلي لا يمكنه ان يمر بهذا البلد الامين مرور عابر سبيل او عائد عليل دون ان يحمل في جعبته صورة ناطقة عن وضعية البلاد ، ويزود قراء جريدته الجياع لمعرفة هذه البلاد بواسطة صحف عربية (لا صحف افرنجية مفرضة) واسوق اليهم المعلومات التي اسمها والدراسات التي اقتبسها عن بلاد احيطت بالشبهات وكثرت عنها الاشاعات ، وكان نصيبها من الدعايات الفاسدة في الخارج اكثر من نصيب شقيقاتها .

ان كل ما كان مرتسما في مخيلاتي وانا اشد الناس تعصبا للبلاد العربية ومحاربة للدعايات الاجنبية بان مكة (مثلا) هي عبارة عن مدينة لا تزال تعيش في عصر الظلمة بدون ان يتناولها الرقي قليلا او كثيرا بل دون ان يكون لها من المدنية الحديثة والعمران الحديث نصيب ، وانها عبارة عن مجموعة بيوت قديمة متراصة نصيب العناكب منها اكثر من نصيب اهلها ! ولكن سرعان ما اخذ يزول الشك من نفسي عندما رحت اشاهد تلك الدور الفخمة والقصور الضخمة ترتفع على هضبات مكة وتخترق الايدي العاملة النشيطة الجبال والقمم ليبني ابن مكة صرحه الذي يقول بامثاله الشاعر العربي .

لنا جبل يحتله من نجيره
رفيع يرد الطرف وهو حسير

ولا يعني الشاعر (بالجبل) الامثل هذه الصروح صروح العز والكرامة التي كانت تبنى على الجبال الرواسي !

ليست هذه المواكب الزاهرة التي تشق الطرقات في الوديان وتخترق الجبال الا نتيجة تنازع البقاء في جميع الامم . ثم ان هذا المشروع الجبار الذي تبنته حكومة صاحب الجلالة الملك سعود ايده الله واخذت على

عاقها انجازه وهو توسيع الحرم الشريف هو بحد ذاته مشروع خمسين سنة لا خمس سنوات وما كنت لاتخيل ان ارى مشروعا كبيرا يشير اهتمام الحكومة كهذا المشروع العظيم .

لقد يتخيل للدارس الذي لا يترك مرحلة من مراحل تنقلاته تمر دون ان يدون مشاهداته ان هناك مدينة بكاملها ترمم وهناك قرى بحذافيرها تهدم . بل هناك جيش من نوابغ العالم العربي واشهر مهندسيه تقتحم معارك الانشاء والترميم لتطلع على الدنيا الجديدة في دنيا العرب بعد سنوات قليلة باعجوبة القرن العشرين وهو نهاية توسيع الحرم الشريف الذي سيتسع لنحو مليون حاج وقد علمت ان نفقات توسيع الحرم الشريف الذي سينتهي بعد ثلاث سنين سيكلف الحكومة نحو خمسمائة مليون جنيه ولم يقبل جلالة الملك سعود ان تساهم الدول العربية ولو مساهمة رمزية بهذا المشروع العظيم .

اما المشروع الثاني العظيم فهو مشروع الاذاعة الجديدة التي ستنشأ في مكة المكرمة وتنتهي بعد ثلاث سنين حيث ينطلق منها الى العالم اجمع : « هنا مكة المكرمة الله اكبر لا اله الا الله » هذا المشروع هو توأم لمشروع توسيع المسجد الحرام ، في الكعبة المقدسة ، وفي هذين المشروعين جهود جبارة تنوء تحت اعبائها دول لا دولة واحدة ، وتضعف ميزانياتها! ان المملكة العربية السعودية غدت اخيرا حسكة في حلاقيم الصهيونية العالمية في امريكا الجنوبية ، نظرا لموقف جلالة الملك سعود الحازم من عدوانها ، والعدوان الثلاثي على مصر ، وكانت زبانية الاستعمار في امريكا الجنوبية خاصة في الارجنتين ، والبرازيل توهم الرأي العام ، با نموقف جلالة الملك سعود من العدوان على مصر ، لا يتعدى موقف المتفرج ، والتحايد ، او اظهار الشعور الرمزي ولكن عندما ارتفع صوت اسد الجزيرة من عرينه في الداخل ، والخارج ، تأييدا لمصر ، وانتصارا لها ، وقول جلالة الملك للرئيس جمال عبد الناصر (كل ما نملكه من قوة ، ورجال ، ومال تحت تصرف مصر) صعق المستعمرون ، وباؤا بالفشل الذريع .

واراني مدينا بما شاهدته ، ولمسته في مراحل تنقلاتي ، واختباراتي ودراساتي ، وتعليماتي من جهة ، وما اتزوده من المعلومات عن نهضة هذه البلاد اجتماعيا ، وثقافيا ، وعمرانيا ، وانشره في جريدتي (العلم العربي) وفي قسميها الاسباني ، والعربي اراني مدينا الى رجل الجد ، والعزم والاخلاص ، والوعي العربي المتفتح ، والثقافة المركزة ، والعقل النير الموجه ، الذي يقول بامثاله الشاعر العربي :

اذا عدت رجال الفضل يوما
فانك الف الف في الرجال

واعني بهذا معالي الوزير المفوض لشؤون الاذاعة والصحافة والنشر الشيخ عبدالله بلخير نعم يعود الفضل باطلاعي على الكثير من تقدم هذه البلاد - في المدة الاخيرة - بما اغذي به جريدة العلم العربي في الارجنتين عن نهضة المملكة العربية السعودية ونهضتها ومساعي جلالة الملك سعود المعظم لجمع كلمة العرب ، والمسلمين يعود الفضل الى معالي الوزير الذي افرغ كل جهوده لجعل هذا البناء الضخم ، نقطة الانطلاق المدوية ، في الافاق ، المؤدية رسالة شعب ، وامانة امة ، وعدالة ملك ، وخير من يعرف بحقيقة المملكة في الداخل والخارج ويعطي صورة الحقيقة للعالم اجمع عن حياة امة وبعث شعب وانشاء جيل وخلق عقلية جديدة تتمشى مع موكب الحضارة ...

لقد اختلطت في مرافق الحياة باكثر العاملين في جهاز الدول من امركية وعربية وعرفت موظفين بسطاء في دوائر شتى في دول شتى اذا شاء البعض ان يشغلهم بسؤال بسيط او بكلمة واحدة في وقت عملهم يتأففون ويضجرون ويمنعون ايا كا نمن الحديث معهم بينما شاهدت معالي الوزير الشيخ عبدالله بلخير ينطلق في عمله دون ان يضيق صدره من هذا وذاك واولئك من الذين يزورونه كل يوم زرافات ووحدانا ويجتمعون في مكتبه في ايام عمله فيقضي حاجة الجميع ويستمع الى الجميع ويرضى الجميع ومن لم يقدر على ارضائه (على هامش القانون) يرضيه بابتسامة المسلم النبيل الذي لم تغير الوظيفة سجيته . واني لابرى نفسي من ان تكون هذه الكلمة مصدر غاية لا نهاية ، بل هي كلمة حق لايراد بها باطل ولا شك ، والسلام على المخلصين العاملين وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وعلى هذا فليعمل العاملون .

جدة — عبد اللطيف الخشن

من عرف العرب بالشعر الطلق؟

●

حين يختلف اثنان على رأي رجل ثالث ويمتد بهما الخلاف ، فان حل خلافهما هو في الرجوع الى الرجل الثالث منشيء الخلاف يحتكمان اليه ويسالانه حقيقة الموضوع الذي كان هو خالقه .

هل تساءل احد ممن يتابعون تصارع الحديث والقديم في الشعر العربي اوشاركون به ، عن طرف اخر قد يكون طرفا ثالثا في الخلاف ؟ كلا ، لان الظاهر في سياق المساجلات بين شعراء الشعر الحر والشعراء الكلاسيكيي الصيغة هو العكس .

قد يبدو جميلا اذا ان نقول الان من هو ذلك الطرف الثالث في الخلاف ، او ، بالاصح، من هو احد منشئي الخلاف .

★ ★ ★

البير اديب مخضرم . مخضرم في حياته لا في ادبه . يعرفه القدامى مديرا عاما لراديو الشرق عهد الفرنسيين في لبنان ، ويعرفونه صحافيا متنقلا في صحف مصر ومجلاتها المحتجب معظمها اليوم . ويعرفه « الجدد » صاحب المجموعة « لمن ؟ » والمجلة « الاديب» وقلائل من يقرون اليوم بفضل مجلة البير اديب عليهم بالامس ، عندما حضنتهم تلك المجلة وقبلت نتاجهم الذي لم يكن دائما صالحا للنشر . الا ان الرأي يكاد يكون مستقرا على ان تشجيع اديب لنفر من كتاب البلاد العربية كان مثمرا ... وعند سهيل ادريس وعبد الوهاب البياتي وجبرا ابراهيم جبرا وثريا ملحس واحمد سويد وعبدالملك نوري وخليل حاوي والفيتوري والعنتيل ورزوق والناعوري والحيدريين والنشاشبي وسميرة عزام ونقولا قربان ، عند هؤلاء وسواهم الخبر اليقين .

★ ★ ★

لما ظهرت « لمن ؟ » في شباط ١٩٥٢ عرفتها دار المعارف المصرية على الغلاف ب « مجموعة

من الشعر الرمزي » . ولكن المجموعة ليست رمزية بقدر ما هي تعبيرات باطنية تبلور بعضها تلقائيا بلورة رمزية بينا ذهب بعضها الاخر مذهب الواقعية الايحائية الموقعة .

وعلى الرغم من كل ما تحمل هذه المجموعة ومما لا تحمل ، ليس هذا هو المهم فيها . طريقة الاداء هي الاهم ، سواء بالنسبة لصاحب المجموعة ام بالنسبة لمتابعي حركة الشعر الحديث ومناهضيها والمشاركين بها .

« الشعر الطلق طلق من كل قيد » . هذا ما يقوله البير اديب ويؤمن به . « المستقبل للشعر الطلق » . وهذا ايضا ما يقوله ويؤمن به. لذلك يصر على الكتابة حرا متحررا، حرا ومتحررا من بعض الوضوح احيانا .

والواقع ان الشعر الطلق طلق بالفعل من القيود ، من الوزن من القافية ، واحيانا من اصطلاحات المعاجم . التركيز فيه على التجربة ولا قيمتة له بدونها . يمر الشاعر بالتجربة فيعانيها ثم يتناساها ويتركها تنام في لاوعيه حتى تختمر . وبعدما تختمر توضع كلمات ويجيء وضعها واعيا لانها اختمرت فياللاوعي، وتصبح التجربة ناضجة لانها عيشت واقعيا وباطنيا ، ويجيء العمل الشعري لتجسيد التجربة عملا واعيا تلقائيا لا اثر للتفكير المتعمد فيه . ولعل اثار بودلير كلها تولدت هكذا وتولدت هكذا اشعار رمبو و « قصائد » العقلانيين . وقريب منا اوجزت مدام فرانس ده دلماسي هذه الطريقة الشعرية بقولها « اغمض عينيك واقطع ما بينك وبين كل ما يحيط بك لكي ترى العالم باكثر جلاء وسعة ». وشعراؤنا يغمضون اعينهم ولكن يغمضون احيانا وعيهم فيحفظون فيه مرئياتهم ومحسوساتهم ومعايشاتهم ليعودوا فياخذونها شبه جاهزة . هذا مع العلم بان شعراءنا عندما يغمضون اعينهملا يروندائما العالمباكثرجلاء واكثر سعة

البير اديب ينظر في الشعر هذه النظرة . اذا قلبت القصيدة العربية التقليدية راسا على عقب ، يقول ، يبقى معناها هو اياه ، لانها لا تقوم على تجربة شعرية . لان موسيقاها تهريجية عادية . الشعر الطلق تجربة كله . فيه موسيقى صامتة لا وجود لها في شعرنا التقليدي لان قيود شعرنا التقليدي لا تسمح بايجاد موسيقى صامتة . واي معنى للشعر اذا لم يكنتجربة معيشة تعزفها موسيقىصامتة؟

من اجل ذلك قصير هو البيت فيالقصيدة الطلقة . من اجل ذلك قد يقف البيت الواحد عند نقطة نهائية وقد يقتصر على كلمة اوحرف واحد . وحين يطول البيت وحين تلتقي قافيتان متشابهتان فلان رغبة تلقائية ارادت ذلك لا هندسة سابقة للقصيدة .

ارجع الى « لمن ؟ » تجد ما قراته هنا مجسدا في معظم مضمونها . « تلامذة » « لمن ؟ » اذا رجعت اليهم يقولون لك القول نفسه . متزعمو الشعر الحديث في البلاد العربية اليوم يقولون الشيء نفسه . البير اديب لا يزال يقول الشيء نفسه . عارفو اديب يقولون انه هو الذي عرف العرببالشعر الطلق .

البير اديب عرف العرب بالشعر الطلق ؟ هل هذا صحيح ؟ هل سبق اديب امين الريحاني ؟ هل سبق مي ؟ كثيرون يؤكدون الـ « نعم » . اما جبران فيعتقد اديب بانه جهل الشعر الطلق بمفهومه الحالي . ونوافقه نحن على ان جبران ليس عنده شعر طلق وانما عنده شعر. عنده شعر في كل شيء حتىفيموته .

اما شباننا من ادونيس الى البياتي ورفاقهما فلا يزالون يحافظون على بعض روح الكلاسيكية في النظم . لم يحرروا شعرهم من كل قيد وان كانوا قد اطلقوه من ثلاثة ارباع القمقم . ولعل ذلك ما يكسب شعرهم قيمة ليست للشعر الطلق الذي تقتصر صعوبته على معاناة التجربة معاناة كلية ثم تجسيدها بموسيقى.. صامتة ..

* * *

ليس هذا كل مفهوم الشعر الطلق ، بل كل شعر ، عند البير اديب . والذين يعرفون البير اديب يعرفون ماهية الشعر في نظره . يفهمه وجدانيا ويفهمه مع ذلك ، علميا . لا يريده دارجا على قضايا العلم والاختراعات والاكتشافات ، كلا ، وانما يريد الشاعر ان يختزن التقدم العلمي في نفسه قبلما يتعاطى الشعر ، لانه يريد الشعر ، على وجدانيته ، غير ساذج النظرة في الحياة والحيوانات .

ولا يحسبني احد متحدثا عن مدرسة ادبية حين اتحدث عن البير اديب . فالبير نفسه لا يدعي المدرسة . ان لهنظرة في الشعر خليقة بالمرور بها والوقوف عندها . وله ، الى ذلك ، محبذون . ولئن يكن البير اديب نال من « تلامذته » وممن فسح لهم في مجال الشهرة على صفحات مجلته عقوقا بلوحقدا وصغرا بهيئة « شكرا » « ممنون » « يعني شو بدي الك » ، فله فضل تنشئة بعضهم وتوجيه بعضهم الاخر وهذا ما لا يمكن احدا نكرانه . وهذا ما خبره اليقين عند من ذكرتهم في بدء الكلام وعند سواهم ايضا .

* * *

السؤال الان : هل يوفق شعراء «الاديب» و « تلامذتها » ، وانصار الشعر الحر في لبنان والعراق ومصروالسودان وسوريا والاردن على ما يقوله عارفو البير من انه هو الذيعرف والبحرين الى اخر صقع تطاه مجلة البيراديب» العرب بالشعر الطلق في مفهومه العلمي ؟ هل يقول البير اديب ، وهو الطرف الاخر في الخلاف القائم ، كلمته اخيرا ؟

خمسة عشر عاما تتكلم حين يتكلم البيراديب.

[النهار] انسي الحاج

قالوا في « الاديب »

●

نواصل فيما يلي نشر بعض ما قالته الزميلات في الاديب شاكرينعطف الاخوان ومحبتهم راجين ان تبقى الاديبدائما عند حسن ظنهم بها :

* * *

قالت جريدة العمل الغراء التي تصدر في بيروت :

خمس عشرة سنة انقضت ومجلة « الاديب » لمنشئها الاستاذ البير اديب دائبة في خدمة الفكر والحرف على افضل وجه وبثبات واطراد الى الامام ليس مثلها ثبات واطراد .

وقد استقبلت عامها الجديد بعدد ممتاز زاخر بالممتع والشائق من نتاج الاقلام الطيبة. ومن كتاب هذا العدد : [......]

فنهنيء الزميلة على ما حققته من خدمات ، ونتمنى لها رواجا وانتشارا لائقين بالمكانة التي اقتطعتها لنفسها على صعيد صحافة الادب .



١٦ اكتوبر ١٩٥٧ ــ اعلن فوستر داليس ناظر الخارجية الامريكية انه اذاهاجم الاتحاد السوفياتي تركيا فان العمل الذي ستقوم به امريكا لن يكون دفاعيا بحتا .

ــ وصلت الملكة اليزابيث والامير فيليب قرينها الى وشنطن في زيارة رسمية .

١٧ ــ ردت تركيا على المذكرة السورية بمذكرة قالت فيها انها لا تدبر لسوريا أي اعتداء

ــ الف انطوان بينيه الحكومة الفرنسية الجديدة .

١٨ ــ قررت الجمعية العامة للامم المتحدة النظر في الشكوى السورية ضد تركيا .

ــ اسقط مجلس النواب الفنلندي حكومة سوكسلانين المؤلفة من الفلاحين والاشتراكيين.

ــ رفضت الحكومة الوطنية الفرنسية منح الثقة لوزارة بينيه .

١٩ ــ صدر بلاغ لبناني سوري مشترك اثر انتهاء زيارة الملك سعود نص على اعتبار الاعتداء على اي بلد عربي اعتداء على كل منها والسعي لتوحيد موقف العرب .

ــ قطعت المانيا الغربية علاقاتها الدبلوماسية مع يوغسلافيا لاعترافها بالمانيا الشرقية .

٢١ ــ اذاعت وزارة الانباء السعودية ان الملك سعود عرض وساطته بين سوريا وتركيا وقد قبلت الحكومتان الوساطة .

٢٢ ــ وصل الى وشنطن هارولد مكميلان رئيس الحكومة البريطانية لاجراء محادثات رسمية

ــ عقدت الجمعية العامة للامم المتحدة جلسة لمناقشة الشكوى السورية من تركيا وبعد الخطب والمناقشات طلبت سوريا التاجيل ثلاثة ايام .

٢٣ ــ قرر وزير الخارجية الامريكية وقف كامل المعونة الامريكية الى يوغوسلافيا بسبب اعترافها بالمانيا الشرقية .

ــ استقبل الملك سعود فطين رشدي زورلو وزير الدولة والمبعوث التركي لبحث الوساطة في القضية التركية السورية .

٢٤ ــ ارسل الرئيس شكري القوتلي الى الملك سعود رسالة يبسط فيها الاسباب القومية التي تتطلب ان يسحب جلالته الوساطة بين سوريا وتركيا .

٢٥ ــ استانفت الجمعية العامة للامم المتحدة بحث الشكوى السورية من احتشاد القوات التركية على الحدود .

ــ صدر بيان امريكي بريطاني اثر انتهاء المحادثات بين الرئيسين ايزنهاور وماكميلان. وكان من نتائج المحادثات الاتفاق على عقد مؤتمر في باريس لاقطاب حلف الاطلسي في ديسمبر القادم حتى لا يقتصر توحيد الابحاث والجهود والموارد العلمية على بريطانيا وامريكا .

وسيطلب ايزنهاور من الكونجرس تعديل تشريع ماكماهون القاضي بمنع مد الدول الاخرى بالاسرار النووية .

٢٦ ــ على أثر عودة الماريشال جيورجي جوكوف الى موسكو بعد زيارة ليوغسلافيا والبانيا صدر بلاغ ذكر فيه ان ديوان المجلس السوفياتي الاعلى قد اقال الماريشال جوكوف من منصبه كوزير للدفاع وعين مكانه الماريشال روديون مالينوفسكي .

ــ اعلنت قيادة منظمة جنوب شرق اوروبا التابعة لمنظمة الاطلسي ان القوات الاطلسية البرية والبحرية والجوية ستقوم بمناورات عند شواطىء تركيا الجنوبية .

ــ الف جي موليه الحكومة الفرنسية الجديدة

٢٨ ــ فاز الحزب الديموقراطي التركي وهو حزب رئيس الحكومة عدنان مندريس بكثرة المقاعد في الانتخابات النيابية .

ــ وصل الى وشنطن ثم عاد الى باريس في نفس اليوم الجنرال لويس نورستاد القائد الاعلى لقوات الحلف الاطلسي وقد صرح على اثر مقابلته للرئيس ايزنهاور بان القوات الحليفة ستجيب بالقوة على اي عدوان يقع على ايةدولة من دول الحلف الاطلسي .

ــ على أثر انتهاء زيارة الملك فيصل لطهران صدر بلاغ ايراني عراقي مشترك تعهد فيه الشاه والملك بمواصلة الجهود في سبيل تعزيز حلف بغداد للدفاع عن منطقة الشرق الاوسط.

ــ وصل رئيس الجمهورية اللبنانية ترافقه قرينته الى مدريد في زيارة رسمية لاسبانيا

ــ تم في دمشق توقيع اتفاق بين سوريا وروسيا للمساعدة الاقتصادية والفنية يفتح الاتحاد السوفياتي بموجبه لسوريا اعتمادامالبا غير محدود لاستعماله في سبع سنين .

٢٩ ــ رفضت الجمعية الوطنية الفرنسية منح الثقة لوزارة جي موليه .

ــ القيت قنبلة داخل البرلمان الاسرائيلي على اعضاء الحكومة فاصابت بن غوريون رئيس الوزراء واربعة وزراء اخرين بجراح.

٣٠ ــ اشتدت الاضطرابات في تركيا نتيجة النقمة المتزايدة من الانتخابات التركية الاخيرة وقد اعلنت الاحكام العرفية في عنتاب على اثر مظاهرات انصار الحزب الجمهوري .

٣١ ــ اصدرت المحكمة في مصر احكاما تتراوح بين خمس وسبع سنين على المتهمين بالانتماء للحزب الشيوعي.

اول نوفمبر ١٩٥٧ ــ وصل الى موسكو اللواء عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة المصرية تلبية لدعوة الحكومة السوفياتية .

ــ اعادت الجمعية الوطنية التركية انتخاب جلال بايار رئيسا للجمهورية .

ــ تم الاتفاق بين الوفد السوري في هيئة الامم ووفود الدول الغربية على استبعاد القرارين السوري والياباني وتكليف همرشولد امين الجمعية بمهمة ازالة التوتر بين سوريا وتركيا

٢ ــ اعلن في موسكو طرد الماريشال جوكوف من مجلس السوفيات الاعلى ومن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بتهمة انه خفف من الدور الذي يقوم به الحزب الشيوعي داخل الجيش واهمل تشريب الجنود مبادىء الشيوعية وضاق صدره عن الانتقاد .

٣ ــ اطلق الاتحاد السوفياتي جرماصطناعيا ثانيا فيه كلب يدور حول الارض .

٤ ــ وجه الرفيق خروشوف تحذيرا الى الدول الغربية جاء فيه ان القواعد العسكرية التي احاط بها الغربيون الاتحاد السوفياتي لم يبق لها من نفع بعد الصواريخ عابرة القارات

٥ ــ اعلنت روسيا انها لن تشترك في لجنة نزع السلاح التابعة للامم المتحدة ولجنتها الفرعية كما هما مؤلفتان وانه يجب توسيع نطاقهما لتشملا جميع دول العالم .

ــ تمكن فيليكس جايار من تاليف الحكومة الفرنسية وفاز بثقة الجمعية الوطنية .

٧ ــ وصل رئيس الجمهورية اللبنانية وقرينته الى اثينا في زيارة رسمية لليونان

ــ اعلنت الحكومة البريطانية انها نقلت مركز قيادة القوات المسلحة في الشرق وافريقيا من قبرص الى لندن .

ــ احتفل الاتحاد السوفياتي احتفالا كبيرا بالذكرى الاربعين للثورة امتاز بعرض الاسلحة الجديدة القائمة على العلوم والابحاث الفنية اثناء العرض العسكري الضخم الذي جرى بموسكو

٨ ــ القى الرئيس ايزنهاور خطابا تحدث فيه عن قوة امريكا العسكرية وما تملكه من انواع الاسلحة الحديثة ووجه الدعوة الى التضحية وحشد الطاقات العلمية والتعاون العلمي بين امريكا وحلفائها . ومما قاله ان لدى امريكا طائرة تحمل ما يوازي كل متفجرات الحرب العالمية الثانية كما ان لديها صواريخ تبحث عن الهدف واخرى تذهب وتعود .